التشكيل الفني لصورة البطل
في الشعر العربي الحديث
"عمر المختار أنموذجًا"

إعداد الدكتور

عوض عبد الباعث الأخرس

تخصص الأدب والنقد ـ قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة

جامعة الأزهر

التشكيل الفني لصورة البطل في الشعر العربي الحديث" عمر المختار أنموذجًا"

عوض عبد الباعث فرج الأخرس

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة، جامعة الأزهر بالقاهرة مصر.

البريد الإلكتروني: drawadfarag@gmail.com

الملخص:

يتناول البحث بالدرس والتحليل صورة البطل في الشعر العربي الحديث المتمثلة في الشهيد عمر المختار؛ للوقوف على: معرفة أنماطها وتجلياتها الفنية والموضوعية، مع الكشف عن: المعطيات التي أسهمت في تشكيل صورة البطل، وإبراز انعكاساتها على لغة الشعر، ومبناه ومعناه. وقد اعتمد الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي، ؛ للوقوف على :مقومات التشكيل الفني لصورة البطل عمر المختار، ومعرفة فاعليتها في تشكيل لغة الشعر وصوره، وتقنيات التعبير وانعكاساتها على المتلقي، مع اختيار أكثر النصوص تعبيرًا وتوظيفًا للشخصية البطولية. وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث هي أن البطل في ديوان الشعر العربي حظي بمكانة رفيعة قديمًا وحديثًا، فتجلت صورة البطل في العصر الحديث في كثير من الشخصيات كان المختار في مقدمتها، وقد اتضحت أصداء شخصيته فيما نظم حوله من أشعار صورت بطولاته التي وضعته في مصاف القادة والزعماء. ويظهر البحث كيف ارتبطت النزعة الدينية عند المختار بقيمة البطولة، وكيف استطاع شعراؤنا المعاصرون توظيف الأحداث والوقائع التي امتلأت بها سيرة المختار في بناء درامي تلاحم فيه الفكر مع الشعور. وقد أشرت في توصيات البحث أن هذه الصفحات لا أدعي لها النضج والوفاء بحق الموضوع من الدرس والبحث، فلتكن باعثَ عزمٍ لمن يكمل النقص ويتم الحق، فالموضوع لازال في حاجة إلى جمع متفرقاته والغوص في بحاره لإبراز صورة أكمل للأجيال القادمة عن البطل العظيم عمر المختار، والله ولي التوفيق وواهب السداد.

الكلمات المفتاحية: عمر المختار – الصورة – البطل – الزعماء – الدراما – لغة الشعر.

The Artistic Formation of the Hero in the Modern Arabic Poetry "Omar Al- Mukhtar as a Model"

By: Awad Abdel- Ba'eth Al-Akhrass
Department of Arabic Language and Literature
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University
E-mail: drawadfarag@gmail.com

Abstract

This research discusses and analyzes the image of the hero in modern Arabic poetry, as embodied in the martyr Omar Al- Mukhtar, to identify the types, artistic and objective manifestations of the hero giving voice to the introductions that contributed to the formation of such image of the hero and highlight its reflections on the language of poetry both structurally and semantically. The researcher has relied on the descriptive and analytical approach so as to trace the basic artistic formation of Omar Al- Mukhtar's image as a hero as well as acknowledging its influence upon the shaping of the language of poetry, its imagery, the mechanism of expression and its impact upon the reader with specific reference to the texts where the character of the hero is best represented and employed. The most outstanding findings of this research include the fact that the hero in the Arabic volume of poetry has enjoyed a high ranked status both in ancient and modern times. The image of the hero in the modern age has been manifested in many characters headed by Omar Al- Mukhtar. The repercussion of Al- Mukhtar's character has been present in the poetry composed around his heroic deeds that put him on equal foot with the leaders and commanders. The research also shows how the religious inclination of Omar Al- Mukhtar was closely connected to the value of heroism and how our modern poets managed to employ events and facts, which filled the biography of Omar Al- Mukhtar, to form a dramatic structure where thinking and emotions are closely connected. Regarding the recommendations of the research, the researcher does not claim maturity or perfection for the topic of this research but he designs it to be a stimulus for those who seek filling gaps and perfection since this topic is still in need of more efforts to introduce a more elaborate image of Omar Al- Mukhtar to late posterity.

Key words: Omar Al- Mukhtar, image, hero, leaders, drama, the language of poetry.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن جاذبية حامل القلم إلى الحديث عن البطولة والأبطال في تراثنا العربي لتزداد وتشـتد لاسـيما إذا كانت بغيته الكشـف عن القدوات المنشـودة والأمثلة الملهمة للأجيال حماية لهم من اليأس أوالتيه، وهدايةً لهم إلى طريق الحق والخير والجمال؛ بتزكية النفس، والتحرر من سـلبيات السـلوك، ونوازع الشك، ودوافع الشر، وأُسوةً تدفعهم إلى مزيد من العمل من أجل رفعة أوطانهم وتحرر قرارهم وكسر قيود الاضطهاد والقهر.

والحديث عن البطولة والأبطال من ألوان الحديث المحبب إلى النفس والسمر المؤنس للقلوب" فالحديث عن البطولة والأبطال شهيٌّ إلى كل نفس، حبيبٌ إلى كل قلب، يستوي في الشوق إليه الكبار والصغار والنساء والرجال، لا تمل الأسماع روايته، ولا يُخْلق التكرار جِدَّته [١]"

وقد ارتبطت البطولة بالألوان الأدبية – خاصـة الشـعر – ارتباطًا وثيقًا، بل تعد غرضًـا رئيسًـا من أغراض الشعر منذ نشأته إلى عصرنا الحاضر، فالنفس البشرية تأنس لشعر البطولة والحرب، ترى فيه عزًا ومجدًا، وعلاقة البطولة بالشـعر علاقة ترابط، فهما صـنوان يصـعب الفصـل بينهما، وترابطهما ذو جذور تاريخية ممتد عبر العصور الأدبية.

وقد وجد الباحث أن هناك حضورًا بارزًا للبطولة والأبطال روحًا وشكلا في الشعر العربي لا سيما زمن الحرب، وأن قيم البطولة فيه متصلة بقيم البطولة في قصائد الشعراء.

ومن ثَمَّ يتناول البحث بالدرس والتحليل صـورة البطولة المتمثلة في الشـهيد (عمر المختار)؛ للوقوف على: تجلياتها الموضـوعية والفنية، ومقوماتها المادية والمعنوية، وتتبع صـورها، وتذوق معانيها، ووحدتها البنائية التي أسـهمت في تشكيل صـورة البطل، ورسـم ملامحها، وإبراز انعكاسـاتها على لغة الشعر، ومبناه ومعناه، وصوره.

ومن الجدير بالذكر: أن حياة البطل (المختار) حافلةٌ بمواقف: الجهاد والمقاومة، والتضـحية

(١) البطولة، عبد الرحمن رأفت الباشا، ص٨،٩ ط دار الأدب الإسلامي ١٩٩٦ م.

والفداء، والصـــمود والتحدي، والدعوة والعمل، وقد حظيت هذه المواقف البطولية باهتمام الأدباء الذين أُعجبوا بصـمودهِ وقوة انتمائه لدينه، وأمته، وصـدق إخلاصـه لقضـيته ووطنه؛ فرسـموا صـوراً أبرزت بطولاته وعبَّرت عن تضـحياته، وأكدت ثقته بنفســه، وبعطاء أمته وتضــحياتها، وقدرتها على إنجاب الأبطال الذين يسعون بصدق وأمانة إلى الذود عن مقدراتها.

وقد شـكلت المواقف البطولية، وصـور تضـحيات المختار، مصـدر إلهامٍ لكثير من الشـعراء؛ فرســموا ملامحها؛ وعبروا عن إمكاناتها المتميزة، وقدراتها الفائقة في: البذل والعطاء، والتضــحية والفداء، وشـكلوا صـوراً فنية أبرزت عمق الانتماء، وكشـفت حجم الإصـرار على الذود عن الوطن، واسترداد الحقوق السليبة، وفق منهج يقوم على: تقوى الله، وحب الوطن والإحساس بالمسؤولية.

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما طبيعة صورة البطل في الشعر الحديث المتمثلة في بطولة الشهيد عمر المختار؟

وقد تفتق عن هذا السؤال الرئيس سؤالان:

١- ما معطيات وأنماط البطولة في شخصية عمر المختار؟

٢- ما مستوى التشكيل الفني لصورة البطل المختار الشعرية؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة: إلى تسليط الضوء على صورة البطل متمثلًا في شخص عمر المختار؛ والوقوف على: أصدائها في الشعر الحديث، وملامحها، ومقوماتها، وأنماطها، وتذوق معانيها وتمثل مضامينها: الفكرية والروحية، والكشف عن مستوياتها الوجدانية، وطاقاتها الدلالية، وآفاقها الجمالية، مع معرفة العوامل التي أسهمت في بلورة صورة البطل، ورسم ملامح البطولة.

كما حاول البحث أن يبرز الطرق المتعددة والمتنوعة التي تناول بها الشعراء المعاصرون شخصية البطل، وكيف رسموا من سيرتها دروبًا يُستضاء بها ويُسار عليها، ومحاولاتهم في إسقاط أثر البطل على واقع حياتهم وقضايا أمتهم.

وإبراز مدى احتفائهم بالبطولة كقيمة إنسانية، وبالمختار كبطل يستحق أن تبرز أمجاده وتستلهم شخصيته، لما له من حضور مشهود في وجدان الشاعر والمتلقي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تناولت موضوعًا له أهميته في ثقافة المقاومة، حيث بحثت في شعر البطولة حول الرجل الذي عاش البطولة بكل أشكالها، عاشها منظومة جهادية متكاملة بكل مكوناتها: بعطاءاتها الفكرية، وتجلياتها الروحية، وتفاعلاتها الوجدانية، إضافة إلى كونها كشفت عن قدرة الشعر على مواكبة قضايانا النضالية، وتمجيد رموزها، وتحقيق فاعلية التثوير والتنوير في وجدان المتلقي.

وآمل أن تفتح هذه الدراسة آفاقًا أمام الدارسين؛ للكشف عن ملامح البطولة في الأدبين: العربي والإسلامي، ودراسة انعكاسات البطولة على حياة الأفراد، وبناء المجتمعات.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعنى بدراسة صورة البطل في شخص عمر المختار؛ للوقوف على: مقوماتها، متابعة أنماطها، وصورها، مع استنباط أبعادها الدلالية والجمالية، ومعرفة فاعليتها في تشكيل لغة الشعر وصوره، وتقنيات التعبير وانعكاساتها على المتلقي كالقناع والمعادل الموضوعي.. مع اختيار أكثر النصوص تعبيرًا وتوظيفًا للشخصية البطولية.

الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدراسات تتعلق بموضوع الدراسة بشكل غير مباشر، منها ما يدور حول الاستدعاء أو دراسة شخصيات تاريخية، وعلى ما لهذه الدراسات من قيمة منهجية ونقدية إلا أنني لم أقف على دراسة تتناول صورة البطل متمثلة في شخص عمر المختار، ومن أبرز هذه الدراسات:

- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د.علي عشري زايد،١٩٩٧م، وهي دراسة قيمة سباقة غير أنها ذات طابع شمولي لم تقف عند شخصية مستدعاة بل جل حديثها عن ظاهرة الاستدعاء وليس عن الشخصية.

- شخصية البطل في الشعر العربي المعاصر الإمام الشهيد أحمد ياسين نموذجًا د.حماد أبوشاويش.مجلة الجامعة الإسلامية بغزة ٢٠٠٥م.

- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر السعودي، د. عبدالله بن خليفة السويكت،٢٠٠٩م، وهي دراسة موسعة للشعر السعودي الحديث الذي يتناول الشخصيات التراثية القديمة، غير أنه لم يتطرق لشخصيات مستدعاة من العصر الحديث، ولم يتجه صوب أبطالنا المعاصرين.

- صورة البطل في شعر أبي تمام، رسالة ماجستير، قابل رشيد نافع المرامحي، كلية اللغة العربية جامعة

أم القرى٢٠١٣م.

وهذه الدراسات القيمة ذات السبق في هذا المنحى الدراسي استنار بها الباحث، غير أنها لم تعرض لبطولة المختار.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على تتبع شعر البطولة المنظوم في البطل عمر المختار؛ للوقوف على: أنماطه، صوره وأساليبه.

خطة البحث:

هذا وقد قسمت البحث وفقا لما يناسب المنهج البحثي وما اقتضته طبيعة البحث إلى: مقدمة، وتشمل: مشكلة الدراسة، أهداف الدراسة وأهميتها، منهج البحث، الدراسات السابقة، حدود الدراسة، خطة البحث.

تمهيد: (البطولة في التراث العربي)

الفصل الأول: عمر المختار- البطل الحاضر في الشعر العربي.

المبحث الأول: أسباب بطولة المختار (سيرة ومسيرة).

المبحث الثاني: حضور المختار في الشعر الحديث وأنماط بطولته.

الفصل الثاني: الدراسة الفنية، ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: هيكل بناء القصيدة.

المبحث الثاني: اللغة ومستوياتها في قصيدة البطولة.

المبحث الثالث: الصورة ومحتوياتها في قصيدة البطولة.

وتحت كل مبحث عدة مطالب يربطها بينها علاقة مشتركة بعنوان الفصل.

الخاتمة: وتشمل: أهم النتائج والتوصيات، فهارس.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به، وأن يجنبنا الزلل، وأن يسدد على طريق الخير والحق خطانا، وأن يفتح أمامنا أبواب التوفيق والنجاح، وأن يلهمنا الرشد ويهدينا القول الطيب والعمل المرفوع إنه على ما يشاء قدير.

التمهيد: (البطولة في التراث العربي)

ارتبط الشعر العربي منذ الجاهلية بالبطولة والأبطال، وشكلت صراعات العرب وأيامهم مادة أدبية أبدع الشعراء من خلالها أروع قصائدهم الحماسية التي كانت مثار اهتمام المتلقي العربي، وخلدت هذه الأشعار أحداثًا وأبطالًا تعلق الناس بهم وهتفوا بذكرهم في كل موطن، وكانت هذه الأحداث وهؤلاء الأبطال أيضًا وراء هذه الإبداعات الخالدة.

كما جسد صراع الإنسان العربي مع بيئته صراعًا من نوع آخر، فمع فقر الطبيعة وجدبها وشيوع القحط وكثرة الحل والترحال برزت لنا بطولات أخرى تجسد من خلالها المفهوم الخُلقي والنفسي للبطولة، فالكرم والعفة والنجدة والشهامة والإباء والشمم والإيثار وغيرها من صفات النفس شكلت في مجموعها ملامح صورة البطل في مخيلة العربي الذي يجمع إلي صفات الجسد من القوة صفات النفس من مكارم الأخلاق.

وقد شكَّلتْ البطولة في قصائد الحرب – قديمًا وحديثًا – الفكرة الرئيسة، والصورة الأحلى والأجمل، وصارت البطولة مكونًا أساسيًا لقصيدة الحرب والفخر في كل العصور، تتناقلها الأجيال وتستمد منها القوة والروح والعزيمة.

كما صارت المواقف البطولية، وصور تضحيات الأبطال مصدر إلهام لكثير من الأدباء؛ فرسموا ملامحها، وعبروا عن إمكاناتها المتميزة، وقدراتها الفائقة في البذل والتضحية، وشكلوا صوراً فنية أبرزت حجم الإصرار على الذود عن الوطن، والشرف، واسترداد الحقوق السليبة.

وكانت الحرب وتصوير البطولة والتغني بها هي موضوعهم الأسمى، وحديثهم اليومي، وشعرهم الأثير، وأضحت قصائدهم تتحدث عن المعركة وأبطالها الشجعان الذين تحدو الموت، وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الذبِّ عن قبائلهم وأوطانهم وأعراضهم.

ومن الطبعي أن يدور شعر الأيام حول فكرة البطولة بوصفها محور الأفعال الإنسانية التي تتمركز حولها الرؤى والأفكار، وقد غدت ملامح صورة البطل واضحة في شعرهم؛ لأنه الذي يخدم القبيلة ويذود عن حياضها وصاحب الدور الملحمي، وبوصفه قائد الجيوش، وحامل الألوية، ومفتاح النصر

الذي خلد سيرة قبيلته.

وقد وسم الشعر – بوصفه السجل الخالد للمآثر العربية – شخصية البطل بصفات مثالية أقرب ما تكون إلى الكمال في نظر الشعراء بحكم حضور الشعراء الفعلي لأغلب المعارك وقربهم الشديد من الوقائع؛ ذلك الذي مكنهم من الوقوف بدقة على تفاصيل الفعل البطولي لاسيما في سياق أشعار الفخر والمدح والرثاء.

والبطولة لفظة ذات دلالة على القوة والشجاعة، وميدان للتنافس، يتنافس فيها الفرسان على البقاء، وإثبات الذات؛ لإظهار قوتهم وبراعتهم؛ لذا احتل البطل مكانة عالية عند العرب، وصار مقدمًا على غيره، وهذا التقديم نابع من طبيعة النفس البشرية المجبولة على حب أصحاب الشجاعة والإقدام، والذود عن الديار وصون الأعراض والأموال.

وعليه وجدنا البطولة حاضرة في الشعر العربي، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر قديم منها، فإما أن يكون هو مدارها، أو يتحدث عنها كصفة لاقت صدى في نفسه، فأراد الإشادة بها في شعره، ولا غرابة في ذلك، فالبطولة صفة تمثل الشخصية العربية المتكاملة التي استطاع الشعر أن يخلد ذكرها، فهو لسانها الناطق لحالها، الواصف لفعالها، الممجد لقدرها.

وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري:[1] " لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها[2]"

ومع تطور حياة العربي في ظل الإسلام وسمو روحه اكتسبت صورة البطل معانيَ أعمق فيها من

(١) أبو هلال العسكري: هو الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥ هـ). وكان شاعرا وأديبا له مؤلفات كثيرة، من مؤلفاته: المحاسن في تفسير القرآن. ديوان المعاني. الفروق. جمهرة الأمثال. شرح الحماسة. الأوائل. كتاب الصناعتين. ذم الكبر. الفروق اللغوية. الأمثال. معاني الأدب. ينظر: تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٩/ ٣٣٨، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٩٠م.

(٢) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ص ١٤٤، مطبعة البابي الحلبي مصر، ١٩٧١ م.

الفداء والبسالة والتضحية والسمو والتفاني والإخلاص والإقبال علي الموت بوصفه حياة أبدية في جنات النعيم، كما أن فيه ابتغاء مرضاة الله عز وجل وغير ذلك، وأضحى الجهاد ميدانًا فسيحًا يتهافت إليه الأبطال؛ ليسطروا من خلاله أروع الملاحم وأبرعها، وكان الشعر العربي يهزج بهذه البطولات ويسطرها بحروف من نور تشكلت من خلالها صورة البطل ومقوماتها وملامحها في تاريخنا الإسلامي عبر عصوره المختلفة.

وقد تطور الأمر في العصور التالية لصدر الإسلام، فالصراع فيها كان ملتهبًا بأشكاله المختلفة فهناك الصراع مع العدو الخارجي من فرس وروم وغيرهما، وهناك الصراع الداخلي مع الزنادقة والخارجين عن نظام الدولة ومثيري الشغب بها.

كذلك كان هناك صراع القيم والأخلاق في أمة تنوعت أجناسها وثقافاتها، وقد أعطانا التراث في شتي هذه الميادين صورة متكاملة ولوحة كبري للبطل والبطولة في هذا العصر.

وظل البطل والبطولة حاضرين في وعي الشعراء العرب منذ فجر التاريخ، فصارت ظاهرة التغني بالفروسية والكرم والشجاعة وغيرها من مفردات البطولة حاضرة بشكل قوي في القاموس الشعري العربي، تقرأها في شعرهم منذ امرئ القيس وعنترة.... وحتى اليوم.

كما يتداعى إلى ذهن المطالع للأدب العربي أن هناك حضورًا بارزًا لصورة البطل روحًا وشكلا، وهذا واضح جلي في الشعر العربي زمن الحرب، وبخاصة عند الحديث عن البطولة والأبطال، وبالنظر في تفاصيل صورة البطولة عند الشعراء في أدبنا العربي يتبين أن هذه الصورة شكلت أنموذجًا متميزًا- سواء أكانت بطولة الحرب أم بطولة النفس - تنبع مكوناته من أعماقهم الإنسانية، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بمعنى وجودهم، بل كانت كذلك مكونًا مهمًا من مكونات طباعهم الشخصية التي لا مجال للشك في صدقها، أوالقول بأنها مفتعلة أومتكلفة.

وقد توالت العصور وظلت البطولة فكرة مقدسة مبجلة وصولا إلى العصر الحديث؛ لتشكِّل بُعدًا جديدًا في قصيدة الحرب في الشعر العربي، تستمد منها الدم والروح والطريق والهدف؛ حيث صاحب الشعرُ الأبطالَ ونزل معهم حيث نزلوا، ورحل حيث رحلوا يسجل مجدهم ويروي بطولاتهم للتعرف على معناها ومبناها، وأنواعها وملامحها.

وقد تجلت صورة البطل في أسمى صورها وقيمها في الشهيد البطل عمر المختار الأنموذج الجليل في التضحية والفداء.

وتأتي هذه الدراسة بهدف تقديم تصوّرٍ وافٍ عن صورة البطل في الشعر الحديث في شخص البطل الشهيد عمر المختار، وترصد صورة مبدعي المجتمع العربي، وكيفية معايشتهم للبطولة ورموزها، وردود أفعالهم على تأثيراتها، ومدى استجابتهم لمتغيراتها.

على أن هذه الدراسة سوف تعنى بدراسة البطل بحسبانه الشخصية التي تلعب دورًا رئيسًا في النص.

وقد خُصَ القائد المغوار (عمر المختار) بالكثير من المدح والفخر والرثاء في قصائد متناثرة، أو في مجموعات شعرية حملت اسم القائد، وكانت بطولته هي الموضوع الأول لهذه القصائد؛ فهو فيها الزعيم الوفي المخلِّص، والقائد المنصور المحبوب، وارث المجد وأخلاق أبطال العرب الأماجد.

وقد حاول الباحث الالتفات إلى ذلك وإظهار عناية الشعر الحديث بالبطل، وعرض نماذج شعرية كثيرة تباينت مستوياتها الفنية - لكنها في مجملها- توضح صفات البطولة التي بها تجلى، وأردية البطولة التي بها اكتسى وتحلى.

الفصل الأول

عمر المختار البطل الحاضر في الشعر العربي

(تـوطـئـة)

الحديث عن البطل المعاصر (المتمثل في شخص عمر المختار) حديث عن جهاد الشعب العربي وتضحياته- الفردية والجماعية - في تلك الحقبة في أسمى صورها وأنبل غاياتها، وأعظم إنجازاتها، وأروع ملامحها، وهو حديث يبعث الأمل في النفوس، والطمأنينة في القلوب، كما يدفع إلى التأمل في سر نجاح الأنموذج البطولي المعاصر، والكشف عن مآثره الجليلة في شتى مناحي الحياة، مع بيان أهدافه النبيلة التي سعى إلى تحقيقها بوعي عميق، وعمل دؤوب لا يعرف الكلل ولا يتطرق إليه الملل.

بل يعد المختار – من وجهة نظر الباحث- الشعلة التي أنارت دروب الساحات العربية الباحثة عن الحرية المفقودة، واسترداد الأوطان المسلوبة، مستحدثة أنساقًا جديدة في التضحية والفداء والبطولة والإباء.

ومن الجدير بالذكر أن حياة البطل عمر المختار حافلة بمواقف: الجهاد والمقاومة، والدعوة والعمل، والصمود والتحدي، وقد حظيت هذه المواقف البطولية باهتمام المفكرين والمؤرخين والأدباء الذين أُعجبوا بصموده وقوة انتمائه: لدينه، وأمته، ووطنه، وصدق إخلاصه لقضيته وشعبه؛ فرسموا صوراً أبرزت بطولاته وعبرت عن تضحياته، والذود عن قضايا أمته.

المبحث الأول

أسباب بطولة المختار (سيرة ومسيرة)

يعد عمر المختار من عظماء هذه الأمة، ومن أبطالها المعدودين الذين جاهدوا في سبيل الحق والسلام، وذادوا عن الأرض والعرض، حاملين لواء عقيدتهم الإيمانية ودوافعهم الجهادية ضد المحتل الغاشم، في ظل ثوابتهم الثقافية، ومكوناتهم الشخصية الحاملة على الكرامة والإباء، والعزة والكبرياء.

ولا ريب أن البطل نتاج ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، وأن المكونات الثقافية للمجتمع تسهم في تكوين شخصيته؛ مما يعني أن البطل يتأثر بمحيطه الاجتماعي، وهذا يفرض البحث عن:

المطلب الأول: العوامل الخارجية المؤثرة في تكوين البطل.

لا يخفى مدى تأثر الفرد بعوامل الوراثة والبيئة، ولا يصح دراسة أي شخصية بمعزل عن مجتمعه، وعوامل تكوينه الوراثية والبيئية، بل يجب " دراسة الشخصية من خلال دراسة المجتمع والثقافة؛ لأن الشخصية تنهض – أصلًا – على مقومات اجتماعية وثقافية[١]" ولا بد أن ينظر إلى الشخصية المتميزة من حيث اجتماع عدد من العناصر أو المكونات الأساسية فيها "فهي حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة، كذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة[٢]".وهذا من دوافع البحث في جذور البطولة وبواعثها عند بطلنا المختار.

أ: مولده ونسبه ونشأته وشيوخه:

ولد السيّد عُمر بن مختار بن عُمر المنفي الهلالي (٢٠ أغسطس ١٨٥٨م،(الشهير بعمر المُختار، المُلقب بشيخ الشهداء، وشيخ المجاهدين، وأسد الصحراء) من أبوين صالحين في قرية جنزور بمنطقة دفنة في الجهات الشرقية من برقة التي تقع شرقي ليبيا على الحدود المصرية.

(١) البطولة بين الشعر الغنائى والسيرة الشعبية عنترة بن شداد نموذجا محمد أبو الفتوح العفيفي ص١٠.

(٢) الثقافة والشخصية، سامية حسن الساعاتي ص ١٢٠.ط/ دار النهضة العربية، ط٢ بيروت ١٩٨٣.

وينتمي عمر المختار إلى بيت فرحات الذي ينتسب إلى قبيلة المنفة الهلالية إحدى كبريات قبائل المرابطين ببرقة والتي تنتقل في باديتها [١]،

وكان مولده بالبطنان في الجبل الأخضر، ونشأ وترعرع في بيت عز وكرم، تحيط به شهامة المسلمين وأخلاقهم الرفيعة، وصفاتهم الحميدة التي استمدوها من تعاليم الحركة السنوسية القائمة على كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ-.

توفي والده في رحلته إلى مكة لأداء فريضة الحج، وتولى الشيخ حسين الغرياني رعايته محققًا رغبة والده، فأدخله مدرسة القرآن الكريم بالزاوية، ثم ألحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي؛ لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان والقبائل الأخرى.

وقد ظهر منه نبوغ منذ صباه مما جعل شيوخه يهتمون به في معهد الجغبوب الذي كان منارة للعلم، وملتقى للعلماء، والفقهاء والأدباء والمربين الذين كانوا يجتهدون في تعليم الناس وتربيتهم على مبادئ الإسلام وتعاليمه الرفيعة [٢].

وقد مكث بالمعهد الجغبوبي ثمانية أعوام للدراسة والتحصيل على كبار علماء ومشايخ السنوسية في مقدمتهم الإمام السيد المهدي السنوسي قطب الحركة السنوسية، فدرس على يديه العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه، والحديث والتفسير واللغة العربية وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ولكنه لم يكمل تعليمه كما تمنى[٣].

---

(١) ينظر: عمر المختار – لمحمد الطيب الأشهب الإدريسي- ص (١٧) سلسلة أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا ط١٩٥٧، جهاد عمر المختار وتضحيات الجماهير. هاشم يحيى الملاح، مجلة البحوث التاريخية، العدد (٢)، يوليو ١٩٨٨م

(٢) ينظر: الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. علي محمد محمد الصَّلَّابي، ص ٣، ط/ المكتبة العصرية، صيدا- لبنان.

(٣) ينظر: معجم السياسيين المثقفين في التاريخ العربي والإسلامي، د. فؤاد صالح السيد، ص ٥١٥،ط/ مكتبة حسن العصرية – بيروت – الطبعة الأولى ٢٠١١م

وقد تناولته الألســـن بالثناء بين العلماء ومشـــايخ القبائل وأعيان المدن، حتى قال فيه الســـيد المهدي واصـــفـًا إياه "لوكان عندنا عشـــرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم". فقد وهبه الله تعالى ملكات منها جشـاشـة صـوته البدوي، وعذوبة لسـانه واختياره للألفاظ المؤثرة في فن المخاطبة، وجاذبية سـاحرة لدرجة السيطرة على مستمعيه وشد انتباههم [١].

ولعل ذلك – من وجهة نظر الباحث – من أبرز مقومات البطولة عند المختار، أعني رجاحة العقل وطلاقة اللسان، ومن ثَمَّ التأثير في الجماهير.

وقد استقر المختار فترة من الزمن في قرو مناضلاً ومقاتلاً، وشارك في الجهاد بين صفوف المجاهدين في الحرب الليبية الفرنســية في المناطق الجنوبية (الســودان الغربي). ثم عُيِّن شــيخـًا لزاوية كلك (بين السـودان وتشـاد) ليقضـي حقبة من حياته معلمـًا ومبشـراً بالإسـلام في تلك الأصـقاع النائية، وبعد وفاة السيد محمد المهدي السنوسي عام ١٩٠٢م تم استدعاؤه حيث عُيِّن شيخـًا لزاوية القصور [٢].

ب - المختار وطلب العلم (مدرسته و شيوخه) :

ومن أشـهر شـيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، السـيد الزروالي المغربي، والسـيد الجواني، والعلامة فالح بن محمد بن عبدالله الظاهري المدني وغيرهم كثير، وشـــهدوا له بالنباهة ورجاحة العقل، ومتانة الخلق، وحب الدعوة، وكان مخلصـــًا في عمله متفانيـًا في أداء ما عليه، ولم يعرف عنه زملاؤه أنه أجَّلَ عمل يومه إلى غده، وهكذا اشتهر بالجدية والحزم والاستقامة والصبر، ولفتت شمائله أنظار أساتذته وزملائه وهو لا يزل يافعـًا، وأصبح على إلمام واسع بشئون البيئة التي تحيط به، وعلى جانب كبير من الإدراك بأحوال الوسط الذي يعيش فيه، وعلى معرفة واسعة بالأحداث القبلية وتاريخ وقائعها، وتوسع في معرفة الأنساب والارتباطات التي تصل هذه القبائل بعضها ببعض، وبتقاليدها، وعاداتها، ومواقعها، وتعلم من بيئته التي نشأ فيها وسائل فض الخصومات البدوية، وما يتطلبه الموقف من آراء ونظريات، كما أنه أصـبح خبيرًا بمسـالك الصـحراء وبالطرق التي كان يجتازها من برقة إلى مصـر والسـودان في

(١) ينظر: عمر المختار نشأته وجهاده، د. إدريس الحريري، ص٦٥ وما بعدها

(٢) ينظر: معجم السياسيين المثقفين في التاريخ العربي والإسلامي، ص ٥١٥.

الخارج وإلى الجغبوب والكفرة من الداخل، وكان يعرف أنواع النباتات وخصائصها على مختلف أنواعها في برقة، وكان على دراية بالأدواء التي تصيب الماشية ببرقة ومعرفة طرق علاجها نتيجة للتجارب المتوارثة عند البدو ــ وهي خبرات مكتسبة عن طريق التجربة الطويلة، والملاحظة الدقيقة – وكان يعرف وسم كل قبيلة [١].وقد كان للمدرسة التي تلقى المختار فيها علومه أثرٌ بيِّنٌ في تكوين شخصيته، فقد اتصفت هذه المدرسة بطابع " سياسي نظري وعملي، وغرست في نفوس طلابها القيم الفردية والجماعية للحرية الإنسانية، كما كانت مدرسة حربية عسكرية إلى جانب رسالتها الفكرية والاجتماعية، يمارس فيها التدريب العسكري الذي يتفق مع ما يتطلبه الذود عن الوطن، إذا ما أصيب بأذى كالفروسية والرماية واستعمال السلاح وطرق فكه وتركيبه وإنتاج الذخيرة الحية "[٢].وهذه المعطيات تدل على ذكاء عمر المختار وفطنته منذ شبابه ومنابت بطولته .

المطلب الثاني: العوامل الذاتية.

أ: الجانب التعبدي من حياته:

اشتهر عن عمر المختار حرصه الشديد على أداء الصلوات في أوقاتها، وكان له ورد يومي من القرآن الكريم، فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الإمام محمد المهدي السنوسي: ياعمر(وردك القرآن) ولم يزل بفضل الله محتفظًا بمصحف شيخه الإمام محمد المهدي في حله وترحاله ولم يفارقه حتى فارق هو الحياة.

ولا شك أن المحافظة على تلاوة القرآن والتعبد به تدل على قوة الإيمان، وتعمقه في النفس، وبسبب الإيمان العظيم الذي تحلى به عمر المختار انبثقت عنه صفات جميلة، كالأمانة والشجاعة، والصدق، ومحاربة الظلم، وبغض القهر والخنوع، كما تجلى هذا الإيمان في حرصه على أداء

---

(١) ينظر: عمر المختار –لمحمد الطيب الأشهب الإدريسي– ص(٢٦)، الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. علي محمد محمد الصَّلَّابي، ص ٤ .

(٢) ينظر: عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري، ص١٨، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

الصلوات في أوقاتها ، وكان يتعبد المولى عز وجل بتنفيذ أوامره ويسارع في تنفيذها، وكان كثير التنفل في أوقات الفراغ، وكان قد ألزم نفسه بسنة الضحى وكان محافظًا على الوضوء حتى في غير أوقات الصلاة، ومما يروى عنه أنه قال: لا أعرف إنني قابلت أحداً من السادة السنوسية وأنا على غير وضوء منذ شرفني الله بالانتساب إليهم.

لقد كان هذا العبد الصالح يهتم بزاده الروحي اليومي بتلاوة القرآن الكريم، وقيام الليل واستمر معه هذا الحال حتى استشهاده. لقد كان على خلق عظيم يتميز بميزات التقوى والورع، ويتحلى بصفات المجاهدين الأبرار.

وكأني أراه من خلف السنين وهو قائم يصلي لله رب العالمين في وديان وجبال وكهوف الجبل الأخضر وقد التف ببرده الأبيض في ظلمة الليل البهيم وهو يتلو كتاب الله بصوت حزين، وتنحدر الدموع على خدوده من خشية العزيز الرحيم.

إن من أسباب الثبات الذي تميز به عمر المختار حتى اللحظات الأخيرة من حياته مداومته على تلاوة القرآن الكريم والتعبد به وتنفيذ أحكامه، لأن القرآن الكريم مصدر تثبيت وهداية؛ وذلك لما فيه من قصص الأنبياء مع أقوامهم، ولما فيه من ذكر مآل الصالحين، ومصير الكافرين والجاحدين بأساليب متعددة. فرزقه الله الثبات وهداه طريق الرشاد، ولقد صاحبه حتى النفس الأخير، وهو يساق إلى حبل المشنقة وهو يتلو قوله تعالى:{يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية}[1][2]".

ولا يخفى ما للجانب الإيماني من أثرٍ قويٍ في تكوين شخصية البطل ومن بواعث ظهورها فلاريب أن " الإيمان بالله يقف على قمة البواعث التي تبعث على البطولة، ذلك أن الإيمان الحق قوةٌ مبدعةٌ خلَّاقة إذا مست القلوب بسحرها اهتزت بأروع الشمائل وربت بأجل الخصائل، وأنبتت من البطولة

(١) سورة الفجر الآيتان:٢٧، ٢٨.

(٢) ينظر: عمر المختار – محمد الطيب الأشهب الإدريسي- ص(١٥٩)، الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. علي محمد محمد الصَّلَّابي، ص ٤.

أجلها تضحية وفداء، وأسخاها بذلًا وعطاءً، وأبقاها على الدهر[١]"

ب: وصف عمر المختار الخِلقي

كان عمر المختار متوسط القامة مربوعها يميل إلى الطول قليلاً، ولم يكن بالبدين الممتلئ أو النحيف الفارغ، أجش الصوت، بدوي اللهجة، رصين المنطق، صريح العبارة، لا يُمل حديثُه، متزن في كلامه، تفتر ثناياه أثناء الحديث عن ابتسامة بريئة، أوضحكة هادئة إذا ما اقتضاها الموقف، كثيف اللحية وقد أرسلها منذ صغره، تبدو عليه صفات الوقار والجدية في العمل، والتعقل في الكلام والثبات عند المبدأ وقد أخذت هذه الصفات تتقدم معه بتقدم السن[٢]. ولعل هذه الصفات الخِلقية – من وجهة نظري – ساعدت في نماء البطولة في نفسه ولم تحبسه عن الفداء والبذل، بل كانت معينةً له على ذلك ومساعدة.

ج: وصف عمر المختار الخُلقي

تأصلت في المختار صفات خُلقية منحته إياها أنماط تربيته وبيئته إضافة إلى التكوين الشخصي، فاتسم بالشجاعة الفائقة، والإقدام والجرأة، والعزيمة القوية، والإرادة الجبارة، والصبر على الشدائد، والصمود والبسالة في عقيدة راسخة وقوة إيمان لا يذعن صاحبها للخضوع، ولا يتحول عن مبدأ ولا معتقد، فهي تعاليم الإسلام وآداب القرآن التي كونت في نفس المختار ذلك البطل المسلم الذي يدافع عن الحق، يعيش له ويموت عليه، مهما تحمل الأذى ولاقى العنت.

وهذه الصفات الجليلة تظهر في سيرة عمر المختار منذ شبابه الباكر، وهناك أحدث كثيرة تدلنا على شجاعة عمر المختار وقد تناولتها المجالس يومذاك بالإعجاب الشديد [٣].

كما كان صاحب قلب موصول بالله تعالى، وقد ظهرت صفة الشجاعة في كثير من مواقف حياة

---

(١) البطولة، عبد الرحمن رأفت الباشا، ص ٢٣، ٢٤.

(٢) ينظر: عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص١٥

(٣) ينظر: عمر المختار – محمد الطيب الأشهب الإدريسي– ص (٣٩)، الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. علي محمد محمد الصَّلَّابي، ص٦.

المختار لا سيما في جهاده في تشاد ضد فرنسا، وفي ليبيا ضد إيطاليا إلا أنه لم تسكره نشوة النصر، وحلاوة الغلبة. (١)

وهكذا تخبرنا السطور السابقة أننا أمام قمة شامخة من قمم الجهاد والبطولة في تاريخنا العربي العريض، لعبت البيئة مع التنشئة والتربية أدوارًا واضحة في تكوينه الشخصي إضافة إلى استعداده النفسي وحضوره الوجداني، ولا يخفى أنه يمكن لبعض الأفراد أن يؤثروا في مصير مجتمعهم بفضل الميزات والسمات الفردية التي يمتازون بها " فالأفراد ذوو التأثير بوسعهم – بفضل ما يتمتعون به من كفايات عقلية وشخصية – تغيير شكل الملامح التي تتسم بها الأحداث وكذلك نتائجها (٢) " ،وهكذا كان المختار اسمًا إذا ما ذكره السيف حيَّاه مصلطًا في سبيل الله، وإذا تذكره القلم خشع إجلالًا لذكراه.

وهذا العرض المقتضب (وفق طبيعة البحث)حاول الباحث من خلاله أن يظهر ملامح الشخصية وسماتها، والمؤثرات التي أهَّلت المختار لنيل تلك المكانة في قلوب الخاصة والعامة حيًّا وميتًا، فكل بنان يشير إلى قبره ليقول: هنا يرقد شيخ المجاهدين وبطل الأبطال، والمثل الحي على الكفاح والنضال والذود عن الأوطان، فهو الأنشودة للمناضلين، وهو الأنموذج لأباة الضيم الذادة عن الأوطان والأديان.

ولما لا وقد" نشأ المختار نشأة إسلامية عربية صريحة، أَبِيَّ النفس صافي القلب عيوفًا غيورًا شجاعًا مقدامًا، انخرط منذ شبابه في سلك الدعوة السنوسية مؤمنًا بها مخلصًا لها مجاهدًا في سبيل

---

(١) للاستزادة ينظر: عمر المختار نشأته وجهاده، د. إدريس الحريري، ص٦٥ وما بعدها، – برقة العربية بين الأمس واليوم، محمد الطيب الأشهب، ط/ مطبعة الهواري، مصر– طبعة أولى ١٩٣٦م – معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١–١٩٣١م. خليفة محمد التليسي ط/ الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٣م. عمر المختار ورجاله "سيد شهداء القرن العشرين"، عصام عبد الفتاح،ط/ دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. – الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. علي محمد محمد الصَّلَّابي،ط/ المكتبة العصرية، صيدا–لبنان – أعلام التصوف السنّي (سيرة المجاهد عمر المختار) علي محمد محمد الصَّلَّابي،ط/ دار الروضة، إسطنبول، تركيا، ٢٠١٧م. – جهاد عمر المختار وتضحيات الجماهير– هاشم يحيى الملاح، مجلة البحوث التاريخية، العدد (٢)، يوليو ١٩٨٨م. –عمر المختار.. نشأته واستشهاده مقال بالشبكة العنكبوتية (الأنترنت)موقع الإسلام ويب بتاريخ ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩ م

(٢) البطل المعاصر في الرواية المصرية، د/ أحمد إبراهيم الهواري ص ٢٠، ط/ دار المعارف ١٩٧٩.

نشـــرها، فكان محل الثقة وموضـــع الرضـــا من إمامها، ثم كان بعد ذلك علمًا من أعلامها وبطلًا من أبطالها الذين أبلوا بلاءً حسنًا في الدفاع عن الوطن ورد عادية الاعتداء الأثيم[١]".

وهذه التنشئة – كما لا يخفى على قارئي الكريم – لها أثرٌ بيِّنٌ في الاستعداد النفسي لا سيما وأنه من أبناء الصحارى ذوي الفطرة السليمة والجبلة النقية التي لم تتلوث بملوثات وأوضار المدنية المزيفة، ومن ثَمَّ أحب الآخرة أكثر من حب أعدائه للدنيا. ورحم الله شوقي إذ يقول[٢]:

خيرت فاخترت المبيت على الطوى لم تبن جاها أو تلم ثراءَ
إن البطولة أن تموت على الظمأ ليس البطولة أن تعُب الماءَ

---

(١) ينظر: عمر المختار –لمحمد الطيب الأشهب الإدريسي– ص(١٠)

(٢) الشوقيات، ديوان أحمد شوقي،٣ / ١٨، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت. أحمد شوقي علي شوقي (١٨٦٨ – ١٩٣٢ م) التحق بمدرسة الحقوق فدرس عامين، ثم تحول إلى قسم الترجمة بالمدرسة ذاتها عامين آخرين. أرسله الخديو توفيق إلى فرنسا ليدرس القانون والآداب، ليعود بعد ثلاث سنوات ويأخذ موقعه في الحاشية، والعمل في القصر. نفي عن وطنه مع إعلان الحرب الأولى (١٩١٤) وخلع الخديو عباس حلمي، وظل في المنفى حتى (١٩٢٠) ونجاح ثورة (١٩١٩) في مصر. توثقت صلته بسعد زغلول، فرشحه عضواً بمجلس الشيوخ عن دائرة «سيناء». رأس جماعة أبولو عند إنشائها.

الإنتاج الشعري:

– دواوينه: «الشوقيات» في صورته المكتملة من أربعة أجزاء، و «الشوقيات المجهولة» – جمعها محمد صبري «السربوني» في جزأين،

الأعمال الأخرى:

– أولاً: له سبع مسرحيات شعرية: ١ – علي بك الكبير ، ٢ – مصرع كليوباترا ، ٣ – قمبيز ، ٤ – مجنون ليلى ، ٥ – عنترة ، ٦ – الست هدى ، ٧ – أميرة الأندلس

ثانيـًا: له روايات: عذراء الهند، لادياس، أو آخر الفراعنة ، دل وتيمان ، شيطان بنتاؤور ، ورقة الآس. ثالثـًا: له كتاب: «أسواق الذهب» وهو خواطر وأفكار من النثر المسجوع .

منحته الأمة العربية لقب: «أمير الشعراء» في الحفل الذي أقيم لتكريمه عام ١٩٢٧ بالقاهرة.

يعد شوقي رأس المدرسة الإحيائية، في الشعر العربي الحديث، وهو الاتجاه الذي مهد له وأسسه محمود سامي البارودي، كما يعد أهم محور أثار حركة نقدية في القرن العشرين.

المراجع: مشاهير شعراء العصر – أحمد عبيد: ص٦٢ وما بعدها، ط/ المكتبة العربية – دمشق ١٩٢٢ . شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ،عباس محمود العقاد – مطبعة حجازي – القاهرة ١٩٣٧ . شوقي شاعر العصر الحديث – شوقي ضيف ط/ دار المعارف. القاهرة ١٩٥٣ .

فهذه هي صورة النفوس الأبيَّة التي تؤكد ثقة الأمة بنفسها، وبعطاء قادتها وصبرهم وكفاحهم من أجل مبادئ الحق والخير، وتضحياتهم من أجل أن تبقى أممهم ثابتةً قادرةً على التحدي، صامدةً في مواطن البلاء والمحن.

تلك النفس التي ارتقت بنفسها وبأمتها، وبالحياة الروحية والمادية، فالمختار يمثل الصورة المثلى للبطل المجاهد، والمعلم المخلص، والداعية الصادق الذي ساهم في بناء أجيال من الأبطال ذوي الهمم العالية والنفوس الأبيَّة.

فالبطل الحقيقي هو " من يكون في حالة صراع دائم مستمر يحاول أن يحي القيم الأخلاقية، وأن يهزم القوى الشريرة التي تناهض تلك القيم، وتحاول أن تدحر تقدم الإنسان[١]" وهنا يظهر أثر العقيدة الإسلامية التي حظي البطل في ظلها بروح جماعية، وإيمان راسخ وعقيدة محفزة على الجهاد، وصبغ بطولته بصبغة الإيمان وهذا مما "ينفي عنه صور الانتقام والثأر والحزازات، ويبدو البطل فيه متحركًا بدافع الواجب المقدس الذي يؤمن به ويستشهد من أجله [٢]".

(١) البطل في الأدب العربي المعاصر (الشخصية البطولية والضحية) د/ سلمى الخضراء الجيوسي – مجلة الآداب – السنة الخامسة والعشرون – العدد العاشر ص ٧٤، سنة ١٩٧٧، بتصرف يسير

(٢) ينظر: شعر الفتوح الإسلامية د. النعمان القاضي – ص(٢٥٣)ط/ الدار القومية – القاهرة ١٩٦٥

المبحث الثاني

حضور المختار في الشعر الحديث وأنماط بطولته

لقد احتل الأبطال مكانة متميزة في مجتمعاتهم بوصفهم مقاتلين قادوا الجيوش، وكانوا مفتاح النصر الذي خلَّد سيرة قبائلهم وشعوبهم، ومن الطبعي أن يدور شعر الأيام حول فكرة البطولة بوصفها محور الأفعال الإنسانية التي تتمركز حولها الرؤى والأفكار، وينجذب خيال الشعراء ووجدان القلقين ممن أصابتهم حرفة الأدب إلى تلك الشخصيات الفذة؛ لأنها في نظرهم الأنشودة العذبة للشباب المتوثب للجهاد والكفاح والتضحية، والقدوة الحيَّة الماثلة للأعين لأباة الضيم وأُسْد العرين.

وعليه فاستدعاء الشخصيات البطولية -أمثال المختار- بما تحمل من قيم ومُثُل يزيد من قيمة النص الأدبي؛ حيث يتكئ الشاعر في ذلك على ما تمتلكه هذه الشخصية من قيم عربية أصيلة تساهم في التغني بالأمجاد والبطولات والمآثر الطيبة الموروثة عن الآباء والأجداد.

أضف إلى ذلك أن حالة الإنسان العربي المعاصر، وما يعانيه من العجز والهزائم المتلاحقة، وما ترتب عليها من جمود وتخلف في هذا الزمان، جعلته في حاجة إلى اللجوء إلى أفذاذ الأمة بتاريخهم المزدهر الوضاء.

ويبدو للباحث أن القصد من تصوير الأبطال الخلاص من واقع الأمة الأليم وتجاوزه، في الوقت الذي ينوء فيه كيان الأمة كله منسحقًا تحت وطأة الهزائم والفجائع، واستشراف النصر، والإرهاص به في أفق غامت فيه بيارق النصر، وعمت حالة الانكسار والتحسر على مآل الأمة، فكثيرًا ما يجيء استدعاء صورة القادة والأبطال لدى بعض الشعراء لغرض استنهاض الأمة من الضعف، وانتشالها من التردي الذي تعيشه، وبعث الأمل في نفوس أبنائها؛ كي يستردوا شيئًا من ماضيهم الحافل بالانتصارات والبطولات التي أضاءت جبين الزمان، ولا يخلو ذلك من إطلالة على "الواقع الجريح تمسكًا بالجذور، وتشبثًا بهوية الأمة، وزرعًا للثبات في النفوس، وانتزاعًا للقنوط الذي يكبل مسيرة الأمة في نضالها المعاصر ضد الأعداء[١]"

(١) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق د/ صابر عبد الدايم ص ١١٩، ط/ دار الشروق -القاهرة.

ويجد القارئ أن تجربة الشاعر المعاصر وموقفه النفسي والشعوري يعبران عن ظاهرة مأسوية تتمثل في وهن الهمة في مناصرة المجاهدين المناضلين في سبيل تحرير المقدسات وتطهيرها من دنس المحتلين، في زمن العجز والتخاذل العربي، زمن انحسار البطل العربي، وانكسار الكرامة والنخوة العربية.

وقد وفق الشعراء في دعم النص والمضمون، عن طريق انتقاء الشخصيات التراثية: الخصبة بإمكانات الإيحاء ووسائل التأثير، القادرة على البوح بالجو النفسي والفكري، وتجسيد صورة المناضل المجاهد في هذا الزمان؛ لتضفي عليه قداسة وأصالة وعراقة، ولست أرى أن استدعاء هذه النماذج ضربٌ من استعذاب الأطلال [١] بل هو استشراف الرؤية للمستقبل وابتعاث للأمة من ثباتها، ودعوتها إلى وحدتها وحريتها، ومن ثم ريادتها. وفي ذلك يقول الشاعر التونسي محمود بورقيبة [٢]:

مضى عمر المختار لله رافلا ... بثوبٍ نقي حِيكَ من خالص الطهر
مضى عمر المختار لله بعدما ... قضى الواجب الأسمى بأعلى ذرى الفخر
مضى عمر المختار لله هانئًا ... سعيداً شهيداً وانطوت صفحة العمر
مخلفةً للعالمين مآثراً ... هي الغرر البيضاء في جبهة الدهر
ومن دمه المسفوك سطر آية ... سيحفظها التاريخ بالحمد والشكر

(١) وفي هذا رد على ما ذكره د. محمد نجيب التلاوي في كتابه (شعرية الحرب- الرؤية الفنية والوظيفة الشعرية ص٨) من أن الشعر المعاصر يفتقد الرؤية الاستباقية والريادة الفكرية ولا يعدو أن يكون ظاهرة صوتية. ط/ النادي الثقافي بجدة العدد ١٦٣ الطبعة الأولى ٢٠١٢م

(٢) هو محمود بن محمد الصغير بن علي بورقيبة،. ولد في تونس سنة ١٩٠٩. وتوفي بها سنة ١٩٥٦م. عمل بالإذاعة التونسية منذ تأسيسها (١٩٣٨)، إلى أن فصل عنها قبل وفاته بأيام..كان يوقع بعض قصائده بأسماء مستعارة، منها: أبونظارة، وفلان، وأبوجلال، وأبونجوى، وفتى الجبل، وغيرها. لقّب بشاعر الشباب، وعرف بكونه شاعرا منشغلا بالقضايا الاجتماعية والأدبيّة وبأنه كان يجيد نظم القصائد الطّوال في شتّى الأغراض والمضامين. انظر: نصف قرن من المسرح العربي في تونس ١٩٠٧ – ١٩٥٧ حمادي بن حليمة، الصّفحات ٩٤، ١٠٣، ١١٠، منشورات الجامعة التونسية، تونس ١٩٧٩، الشعر التونسي المعاصر (١٨٦٠ - ١٩٧٠) - محمد صالح الجابري،ط/ الشركة التونسية للتوزيع - تونس ١٩٧٤. والأبيات في ديوانه المسمى: محمود بورقيبة – حياته وشعره،جمع الحبيب بن فضيلة،ط/ المركز الوطني للاتصال الثقافي تونس ٢٠٠٨

ويرى فيه شوقي الراية الخفاقة التي تثير وتستثير الأجيال، فيقول [١]:

ركـزوا رفـاتـك في الـرمـال لـواء يسـتـنـهـض الـوادي صـبـاح مسـاء
يـا ويـحـهـم: نصـبـوا مـنـاراً مـن دم تـوحـي إلـي جـيـل الـغـد الـبـغـضـاء

ويستحث معروف الرصافي الخطا نحو النصر وعدم الميل لدعوات الاستكانة في قصيدته (إلى الحرب)[٢]:

ألا انهض وشـمر أيهـا الشـرق للحرب وقبل غرار السـيف واسـل هوى الكتب
ولا تـغـتـرر أن قـيـل عصـر تـمـدن فـإن الـذي قـالـوه مـن أكـذب الـكـذب
ألسـت تـراهـم بـيـن مصـر وتـونـس أبـاحوا حمى الإسـلام بـالقتـل والنهـب
ومـا يؤخـذ الطليـان بـالـذنـب وحـدهـم ولكـن جـمـيـع الـغـرب يؤخـذ بـالـذنـب

---

(١) الشوقيات، ديوان أحمد شوقي،٣ / ١٨.

(٢) ديوان معروف الرصافي، ص٤٤٥، ط/ دار العودة – بيروت ١٩٧٢م. معروف بن عبد الغني بن محمود الرصافي (١٨٧٥ – ١٩٤٥ م) ولد في بغداد، وفيها توفي. التحق بالمدرسة الرشيدية العسكرية التي كان التعليم فيها باللغة التركية، غير أنه تركها على أثر رسوبه في صفها الثالث موليًا وجهه شطر المدارس الدينية العلمية، فتلقى علوم اللغة العربية على يد محمود شـكري الآلوسـي. نبغ في الشـعر ونشـر قصـائد في كثير من المجلات العربية الأدبية ومن أهمها: المقتبس والمقتطف والمؤيد في مصر، فذاعت شهرته. تنقل بين القدس والآستانة ثم عاد مرة أخرى إلى بغداد حيث أصدر جريدة «الأمل» التي توقفت عند العدد الثامن والستين، وفي عام ١٩٢٤ عين مفتشًـا للغة العربية، ثم مدرسًـا للغة العربية وآدابها في دار المعلمين العالية. اسـتقال من وظيفته ليدخل معترك السـياسـة، فدخل مجلس النواب ممثلاً للأمة خمس مرات. وفي عام ١٩٤٥ أصيب بنزلة صدرية، لم تمهله، فكانت النهاية، وتم دفنه بمقبرة الإمام أبي حنيفة في حي الأعظمية.

الإنتاج الشعري:

– له «ديوان الرصافي» – بيروت ١٩١٠، والأناشيد المدرسية – نظم معظمه في القدس – ١٩٢٠، وتمائم التعليم والتربية – وهي قصائد كتبها لأبناء المدارس بأسلوب مبسط، وقد نظم معظمها في الآستانة – ١٩٢٢.

الأعمال الأخرى: – له العديد من المؤلفات والبحوث في مجالات اللغة والأدب، منها: «ودفع الهجنة في ارتضـاخ اللكنة»، و «نفح الطيب في الخطابة والخطيب»، و «نظرة انتقادية في الأدب» ، وطبقات الشـعراء – بحث نشـره منجمًا في مجلة الأمل ، وعلى باب سجن أبي العلاء ، والأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه و «آراء أبي العلاء»، و «نظرة إجمالية في حياة المتنبي»، وله الكثير من الآثار المخطوطة منها: «الرسـالة العراقية»، و «خواطر ونوادر»، و «دفع المراق في كلام أهل العراق»، و «الزم الألزم من لزوم ما لا يلزم»، و «خطب الرصافي في مجلس النواب العراقي».

المراجع:-: معروف الرصافي دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية – بدوي طبانة، مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٤٧ ، معروف الرصافي حياته وشعره – قاسم الخطاط ومصطفى السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي: – المطبعة الثقافية – القاهرة ١٩٧١.

ويستلهم إسماعيل بخيت في قصيدته أسطورة الفداء والبطولة من ذكرى المختار الضوء لطريق اشتد ظلامه على السائرين، فالمختار مِشْعلُ الطريق ومُشِعلُ الثورة(١)

قل للشهيد الذي لم تبل أعظمه ... لا شيء رغم البلى في الكون يعظمه
ستون عاما على هذا الرحيل مضت ... كأنها بعض عام ضن معظمه
ستون ذكرى وخمس في ذواكرنا ... وفي ضمائرنا ما الله يعلمه
ذكرى تجيء وتمضي إثرها ذكر ... والذكر يرفع من قدرٍ ويعظمه
والذكريات شموس ليس يدركها ... داعي الغروب وإن يشتد مظلمه
فهي المنائر في ليلٍ يحاصرنا ... عبر السنين جموح عز ملجمه
وهي المنابر تدعو الله ضارعة ... أن يستجيب بقلب ضج مفعمه
وهي الكواكب في البيداء هادية ... للتائهين بشعب ضاع معلمه

ويقول أيضا في هذه القصيدة(٢):

فاضت عليك المنايا بالخلود فهل ... جادت يداها بما شحت يد الزمن
فسودت بمداد النور صفحتكم ... وسطرت بسناه صفحة الوطن
وسجلتك شهيدا في شهادته ... إرهاصة الصحوة الكبرى من الوسن
وشعلة الثورة العظمى ومشعلها ... وقوة المتأبي سطوة الوهن

ويرى وحيد الدهشان في قصيدته قلادة الشعر فيه الأنموذج الأعلى في سمات البطل الذي تشرئب له

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري ص ٢١٨ وما بعدها. إسماعيل بخيت أحمد (مصر١٩٤٣-٢٠١٩. حاصل على ليسانس آداب - قسم صحافة من جامعة القاهرة ١٩٦٨، وماجستير الصحافة ١٩٧٢. رئيس تحرير مجلة (إكسير) مؤسس (جماعة شعراء حلوان والمعادي) التي أصبح اسمها فيما بعد (جامعة الشعراء).نتاجه الأدبي: ديوان الوردة العذراء، مسرحية غنائية (من فات قديمه)١٩٦٦. مسرحية (فدان شحاتة)١٩٦٥ - مسرحية (غريب)١٩٦٥.فاز بجائزة المجلس الأعلى للشباب والرياضة .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

العيون وتتعلق به القلوب [١]:

ذكـراك في جـيـد الـزمـان قـلادة وعلى لسـان الدهر صـرت نشـيـدا
وجـهـادك الـمـيـمـون في تـاريـخـنـا لـحـنٌ تسـامـى روعـةً وخـلـودا
قـابـلـتـه عـبـر الـخـيـال فضـمـنـي بـلـلـت بـالـدمـع الـسـخـيـن خـدودا
فـانسـابـت الـكلـمـات تنعي حـاضـرا تـعـلـي لـمـن بـذلـوا الـدمـاء بـنـودا
أنـت الـمـقـاوم عـزمـه لا يـنـثـنـي ولـيسـألـوا قـبـل الـعـداة الـبـيـدا
أنـت الـمـفـاوض لا يـفـرط سـاعـة بـالـحق لا بـالسـيـف كـنـت شـديـدا
أنـت الإبـاء وجـبـهـة لا تـنـحـنـي إلا لـرب الـعـالـمـيـن سـجـودا
والـحـر يـبـقـى بـالشـهـادة ذكـره ويـمـوت من عـاشـوا الـحـيـاة عـبـيـدا

وعلى ذلك رأى الشاعر المعاصر في شخصية المختار الإلهام والمشعل الذي ينير الدروب ويحي جذوة الجهاد، فناداه وطلب حضوره ساحات الوغى ليشد به الأزر ويشركه في الأمر، وفي ذلك يقول د. محمد حامد الحضيري [٢]:

---

(١) عمر المختار قدوة الجهاد –في الذكرى السبعين لاستشهاده جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري ص ٦٠، ط/ غزلان للطباعة والنشر الطبعة الأولى القاهرة ٢٠٠٢م. هو: وحيد حامد قابل الدهشان ولد بالمنوفية سنة ١٩٥٧- تخرج في كلية الهندسة والتكنولوجيا بشبين الكوم قسم هندسة الإنتاج والتصميم عام ١٩٨١ ، وعمل بشركة القاهرة للمنتجات المعدنية حتى أحيل إلى المعاش المبكر وتفرغ للنشاط الأدبي، عمل محررا أدبيا بالعديد من الدوريات منها مجلة المهندسين وجريدة آفاق عربية والأسرة العربية والنهوض، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية وعضو اتحاد كتاب مصر وعضو نادي الأدب بقصر ثقافة المصرية.نتاجه: في رحاب الدعوة، وطن يحيرنا، طوف وشوف، أصداء الشوق والرجاء، القدس في القلب، غدا لا ينفع الندم، نحن الشهادة عشقنا. المصدر:منتدى الدهشان الثقافي

(٢) عمر المختار والانتفاضة الفلسطينية الباسلة جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري ص ٧٦، ط/ غزلان للطباعة والنشر الطبعة الأولى القاهرة ٢٠٠٢م. ولد محمد حامد الحضيري في مدينة سبها في حي الجديد سنة ١٩٢٧م من أسرة عرفت بالعلم والفقه علي مستوي إقليم فزان بصفة خاصة وليبيا بصفة عامة. نال محمد حامد الحضيري ليسانس في الآداب والتربية من جامعة بنغازي الليبية تحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في النقد الأدبي الحديث من قسم

انـهـض أيـا مـخـتـار فَـجِّـر ثـورةً تـثـري الـنضـــال وتـلـهـم الشـــعـراء
أن يـبـعـثـوا نـهـجًـا قـويـمًـا في الـجـهـا د، رســـمـتـه لـلـثـائـريـن لـقـاءَ
وهـو الـذي مـا زال يـرشـــدنـا إلـى أن نســـتـعـيـد لـقـدســـنـا الأضـــواء
ونـرد ســـلـبـا والســـلـيـب مـن الـعـدا فـــإذا اقـــتـــديـــنـــا نـــردع الأعـــداء
دومـا أيـا مـخـتـار أنـت رصـــيـدنـا في ســـاح حـقٍ كـي نـعـيـد إبـاءَ

وينضم إلى د.الحضيري الشاعر أحمد عبد الهادي يستعذب النداء ويستصرخ الهمم متمثلا بالمختار البطل المنافح والمكافح، فيقول في قصيدته في ذكرى الشهيد(١):

في يـوم ذكـراك يـا مـخـتـار يـا عـمـر نـدعـو حـمـاة الـحـمـى يـأتـون مـا قـدروا
نـدعـو إلـى الـبـذل أبـطـالا ضـــراغـمـة مثـل الرجـال الألى بـالأمس قـد عبروا
إن الـجـهـاد ســـبـيـل الـحـق قـدَّره رب الأنـام فـهـل نـجـثـو ونـعـتـذر
جـئـنـا إلـيـك أيـا مـخـتـار يـا عـمـر نســتـنشـد الشـعر في رؤياك من حضـروا
أنـت الشـــهـيـد ومـخـتـار لـمـن بـذلـوا أغـلـى الـدمـاء ونـار الـحـرب تســتـعـر

اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة.كان أحد المساهمين والداعمين لاستقلال ليبيا وقيام الدولة، وكان من ضمن الشباب النشطين المشجعين في أحداث سبها عام ١٩٤٩م: أصدر أعماله الشعرية كاملة وعددها ٤٨ عملا ولديه العديد من المؤلفات الشعرية من أهمها ديوان الحضيريات وأفديك ياوطني ومن أبرز كتبه "محمد رسول الإنسانية " ، عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة وعضو اتحاد الكتاب العرب بالقاهرة وأستاذ الأدب الحديث. وكان يحيي ذكرى استشهاد الشيخ عمر المختار في صالونه الأدبي سنويا بمنزله في القاهرة.توفي ٢٠١٣م بمدينة سبها.

(١) عمر المختار قدوة الجهاد –في الذكرى السبعين لاستشهاده جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري ص ٨١. هو: أحمد محمد عبد الهادي مواليد كوم امبو بأسوان في أوائل الأربعينيات تخرج في كلية التجارة كان مديراً للنشاط الثقافي بهيئة خريجي الجامعات وصل لدرجة مدير عام في الجهاز المركزي للإحصاء، له كتاب عن أبي حيان التوحيدي، دقق ديوان أبي القاسم الشابي...، له عشرة دواوين،منها: صدى العروبة/ شعاع وغيوم/ أحاسيسي / أغاني الغرباء، من وحي الإسلام. آلام وأنغام، اللحن الضائع، وفاء القريض، توفي بالقاهرة في ٤ يونيو ٢٠١١، ترجم له أ/ عزت سعد الدين بمعجم البابطين.

أعطيت إيطاليا درسا مضى زمن من بعده، والحَشا منهم ستنفجر
حققت نصرا ونصرا إثر ملحمةٍ يزهو بها الشعب في الأوطان يفتخر
فأنت قدوتنا في كل معركة وأنت شمس لنا إن غيب القمر
في يوم ذكراك فلتقبل تحيتنا واستصرخ العُرب كيما الظلمُ ينحسر

وفي قصيدة معلم الزمان لعبد الحميد فارس[1] ينادي المختار ويناجيه ويستحثه على معاودة الجهاد وإيقاظ الأمة فيقول:

يا شيخُ قم إن الزمان يعلم ولأنت أستاذ له ومعلم
ولأنت في دنيا الجهاد الرائد ولأنت في دنيا الكفاح الملهم
مختار شمس هداية للمتقين السا لكين، وفي الحروب عرمرم
وإذا وعظت فأنت أهدى واعظٍ وإذا ادَّرعت فأين منك الضيغم
ذكراك في كل القلوب دليلها نحو العلا وبها يكون السلم
يا شيخنا إن الشعوب بحاجةٍ لك في الجهاد به تفوز وتنعم
يا شيخ قم وانظر لأمتك التي كادت لكثرة ما بها تتهدم
وانشر على الدنيا لواء كفاحها إن الجهاد شفاؤها والبلسم
كل اللئام على بنيك تجمعوا كلٌ يُمَنِي النفسَ إذ يتوهم

وهكذا تجمعت أفئدة الشعراء وتعالت صيحات نداءاتهم على رمز البطولة والفداء في العصر الحديث؛ مستلهمين من سيرته النور والنار؛ لإيقاد جذوة الكفاح من جديد بعد أن خبت أو كادت أن تخبو.

---

(١) عمر المختار– في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري ص ١٥٥،ط/ الأولى ٢٠٠٠م. .هو:عبد الحميد فارس (١٩٣٨-١٩٩٧م)

ولد في صعيد مصر،تخرج في كلية الآداب)قسم الجغرافيا(بجامعة الإسكندرية عام ١٩٦٠، كان عضوًا برابطة الأدب الحديث بالقاهرة، كما كان له نشاط ملحوظ في مجال الجمعيات الخيرية بضاحية حلوان.حصل على وسام الاستحقاق. له ديوانان: وجدان شاعر، هتاف الروح، وله قصائد نشرتها صحف عصره،قصائده تتحرك بين الذكريات الدينية والإشادة الوطنية، مع نزوع قومي واضح، وبخاصة حين يتعلق القول بفلسطين. ينظر: معجم البابطين ١/ ٣٦١٣

وقد تمثلت صـــورة البطل المختار في مضـــامين القصـــائد الشـــعرية التي بين أيدينا في عدة محاور، أبرزها البطل المجاهد، البطل الأسير، البطل المعلم والقدوة.

أولا : البطل المجاهد -

لما كانت البطولة إحدى القيم الكبرى في المجتمع العربي على مدى أجياله وفي شـــتى عصـــوره وأمصـاره، بكل ما تشـتمل عليه من الشـجاعة والجرأة والإقدام، ومن ثَمَّ سـعى الشـعر العربي إلى إبراز تلك القيمة العظيمة وتسليط الضوء عليها.

ولايزال الشعر العربي في العصر الحديث يحمل في طياته روح البطولة في صورها المتعددة الموروثة والمســـتحدثة يحفل بها ويمجدها، وذلك لأن البطولة العربية في أدبنا أنموذجٌ حيٌّ[١] تتفاعل مع الأحداث، وتتجدد مع الأيام، وتحمل طموح الأجيال، لأنها "عميقةُ الجذور في الروح العربية، حيَّةٌ في القلوب، تحمل تبريرها باستمرار، عكسها في الغرب إذ أصبحت نفحة البطولة ضعيفة أمام نظام العصر الآلي[٢]" ولعل اســـتيقاظ الإنســـان العربي في العصـــر الحديث على احتلال أرضـــه وســـيطرة القوى الاســـتعمارية على مقدراته وثرواته، بل حريته وقراره، أدى إلى تنامي هذه الروح مع حركات الدفاع والكفاح التي انتشـــرت في ربوع الوطن العربي تكافح وتنافح عن حريتها واســـتقلال أوطانها، ومن ثَمَّ تعالت الأصـــوات واشـــرأبت الأعناق في انتظار البطل المخلص والقائد الملهم، والمجاهد المجالد، وقد تحدث الشـــعراء عن شـــخصـــية البطل في أشـــعارهم بإجلال وتبجيل؛ لإدراكهم قيمة البطل بكل صوره في أوطانٍ ترزح تحت ذل الاحتلال.

لاســـيما وأن الجهاد فريضـــةٌ يفخر المســـلم بالإقبال عليها؛ خاصـــة إذا اعتدى عليه معتدٍ فانتهك حرماته، أواحتل أرضـــه، وقد أدرك المختار (رحمه الله) هذه الحقيقة وتمثلها في وقائع حياته، ومن هنا بدا ميله إلى الحرب والجهاد وصـــد المعتدين، وهذا أمر فطري عند رجل تربى على الكرامة، وعدم

---

(١) ينظر:البطل في التراث العربي، نوري حمودي القيسي، ص ٨، ط/ المجمع العلمي العراقي١٩٨٢م.

(٢) في قضـايا الشـعر العربي المعاصـر (دراسـات وشـهادات) د.عز الدين إسـماعيل ص ١٠٣، ط/ المنظمة العربية للتربية واالثقافة والعلوم – تونس ١٩٨٨م.

الرضا بالدنية في نفسه ودينه ووطنه، وقد تمثلت الأشعار والقصائد التي عُنِيت بالمختار بطلًا ومجاهدًا، وصورت جوانب جهاده وتضحياته في سبيل دينه ووطنه، وصد العدوان ورد الطغيان، ويرصد ذلك شوقي ذلك ويصوره بقوله:

يا أيُّها السَّيفُ المُجرّدُ في الفلا ... يكسو السيوفَ على الزمانِ مضاءَ
تلكَ الصّحارى غِمْدُ كلِّ مُهنَّدٍ ... أبلى فأحسنَ في العدُوِّ بلاءَ
خُيّرْتَ فاخترْتَ المبيتَ على الطوى ... لمْ تبْنِ جاهًا أو تلمَّ ثراءَ
إنَّ البطولةَ أنْ تموتَ منَ الظما ... ليسَ البطولةَ أنْ تعبَّ الماءَ
في ذمَّةِ اللهِ الكريمِ وحفظِه ... جَسدٌ ببرْقةَ وُسِّدَ الصّحرَاءَ
لمْ تُبْقِ منهُ رحى الوقائعِ أعظُمًا ... تبلى، ولمْ تُبْقِ الرِّماحُ دِماءَ

فالشاعر في هذه المقطوعة يتحدث إلى عمر المختار، ويرى فيه سيفًا مسلولاً من غمده في سوح الحرب، يعلوعلى سيوف من سبقوه حدةً وقوةً ومضاءً وعزيمةً، والسيف هنا رمز يمد المقاتلين والمجاهدين على مرِّ الأيَّام بالثبات والصمود، وأن هذه الصحاري تحوي في جنباتها الكثير من فرسان العرب الذين أحسنوا في مقاومة المستعمرين، فأبلوا فيهم البلاء الحسن، كما يرصد الشاعر موقفًا بطوليًا آخر بعيدًا عن ساحات القتال، لكنه لا يقل عنها بطولة، ويتمثل ذلك في أنهم قد خيروه بين أمرين إما أن يكون غنيًا وصاحب عزٍّ وجاهٍ في نظر المستعمر ببيعِ نفسه لهم، أوأن يكون فقيرًا مضطهدًا، فاختار الوطن بدافع من تدينه وطنيته ومبادئه، فكانت المقارعة مع الصبر على ما أصابه من فقرٍ وعوزٍ.

فالبطولة الحقَّة من وجهة نظر شوقي هو أن تموت متعطشًا إلى الحريَّة تروي شجرتها من دمك، وليست البطولة أن تموت من التخمة تحت لواء أعداء الوطن وناهبيه، ثم يستكمل مسيرته في الحديث عن البطل داعيًا الله عز وجل أن يكون في ذمته ورعايته، وليحفظ الله هذا الجسد الذي وُرِيَ الثرى ببرقةَ، والذي جعل من الصحراء وسادة له، ثم يعود ليشير إلى تفاني المجاهد المختار في نضاله واستبساله حتَّى أنَّ شدة رحى المعارك لم تبق منه عظمًا لم يصبه بلى، وأنَّ رماح المعارك نالت من دمائه فلم تبق منها باقية.

وهكذا صور الشاعرُ البطلَ المجاهد الصامد على الحق البائع للدنيا والجاه والمشتري لدينه ووطنه وإن كان الثمن حياته، وهنا تكمن بطولة المجاهد الصامد المسلح بالتقوى والإيمان، وعليه صار مثالًا في الجهاد يحتذيه كل باحث عن الحرية لوطنه، يقول د. الحضيري [١]:

شـــعـــب الـعـروبـة إن أردت قـيـادةً ... تشـــفـي سَـــقـامـا فـاخـتـر الأســـمـاء
واســـتـلـهـم الـخـطـوات من عـمـر الـفـدا ... واجـــمـــع لـــك الـــتـــأيـــيـــد والآراء
انـهـض أيـا مـخـتـار فـجِّـر ثـورةً ... تـثـري الـنـضـــال وتـلـهـم الشـــعـراء
أن يـبـعـثـوا نـهـجًـا قـويـمًـا في الـجـهـا ... د رســـمـــتـــه لـــلـــثـــائـريـن لـقـاء
وهـو الـذي مـا زال يـرشـــدنـا إلـى ... أن نســـتـعـيـد لـقـدســـنـا الأضـــواء
ونـرد ســـلـبـا والســـلـيـب من الـعـدا ... فـاذا اقـتـديـنـا فـلـن نـخـيـب رجـاء
دومـا يـا مـخـتـار أنـت رصـــيـدنـا ... في ســـاح حـقٍ كـي نـعـيـد إبـاء

ويرى فيه محمد وجدي شبانة أنه مصدر الفخر لبلاده وللأجيال المتعاقبة؛ وهو في حربه النبراس الذي حرك حماس الأمة ودفعها لمعركة الوجود والخلود [٢]:

طـاولـي بـرقـة أفـلاك الســـمـاء ... واهـتـفـي بـاســـم الـكـمـاة الـبســـلاء
عـمـر الـمـخـتـار لـغـزٌ شـائـكٌ ... حـيَّـرَ الأفـهـام أعـيـا الـحـكـمـاء
دوَّخ الـطـلـيـان في ســـاح الـوغـى ... مـلأ الأرض نضـــالًا والســـمـاء
عـمـر الـمـخـتـار صـيـاد الـعـدا ... لـقـن الـطـلـيـان درس الشـــرهـاء
أمـعـن الـطـلـيـان في اســـتـقـطـابـه ... فـرأوا فـيـه صـــمـود الأقـويـاء

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ١٤٨.

(٢) المرجع الســـابق، ص ١٥٠. محمد وجدي شـبانة مواليد محافظة دمياط عام ١٩١٩، وتوفي عام ٢٠٠٢م، بعد حصوله على التوجيهية التحق بمدرسة الخطوط الملكية، وبعد التخرج منها عمل مدرسًا بالمدارس الفنية ببورسعيد، ثم انتقل في عام ١٩٦٠ إلى القاهرة ليعمل بمكتب وزير الاقتصاد، أسس جمعية الأدب والفكر المعاصر، وترأس صالون الرابطة الإسلامية، جُمِعَ شعرُه في رسالة ماجستير بعنوان: شعر محمد وجدي شبانة، جمع وتحقيق ودراسة للباحث محمد سعيد قبالي بمكتبة كلية اللغة العربية بالمنوفية جامعة الأزهر ٢٠١٢م.

حـــاولـــوا إذلالَـــه لـــكـــنـــهـــم لـــم يـــنـــالـــوا مـــنـــه إلا الإزدراء
أشـــهـــدَ الـــتـــاريـــخ أنَّـــا أمـــةٌ نـــبـــتـــت مـــن كـــبـــريـــاء وإبـــاء
ألـهـب الشـــعـب حـمـاســا وقـوى بـث في الأحـرار روح الـكـبـريـاء
وقـــفـــوا وقـــفـــة آســـاد الشـــرى فـانـجـلـى عـن أرضـــهـا الـخـصـبـة داء

ورغم المصـير المحفوف بالمكاره فقد واجه المختار ذلك بالصـبر والإقدام؛ ليعلم العدو قبل الصـديق كيف تكون البطولة ومن هم الأبطال الحقيقيون الذين يتحكمون في أنفسـهم قبل أن يتحكموا في أتباعهم، ويقهروا رغباتهم قبل أن يقهروا عدوهم، يقول عبد الغفار الدلاش في قصـيدته البطل الشهيد[1]:

يـمضـــي الـزمـان ومـا تـزال شـــهـابًـا مـلء الـقـلـوب مـهـابـةً وصـــوابـا
ســـطَّرت في التـاريخ سِـــفرًا نـاصـــعًـا أعـلـى الـبـطـولـة لـلـورى مـحـرابـا
يـا أيـهـا الـعـمـلاق في آيـاتـه قـدت الـفـوارس كـالـلـيـوث غضـــابـا
لـقَّـنـت إيـطـالـيـا دروس كـرامـة خـرَّ الـعـدو لآلـهـا إعـجـابـا
لـم يـعـهـدوا تـلـك الـبـطـولـة عـنـدهـم أو يـعـرفـوا إلا دُجـىً وظـلامـا
هـذا هـو الـمـخـتـار ســيِّـدُ ذاتـه مـلأ الـبـقـاع مســالـكًـا وشـــعـابـا

وبهذا يبقى المختار أنموذجًا يحتذى وقدوة تتبع في الجهاد والذود عن الأوطان، والتحكم في النفس، يتعلم منه الشباب كيف يصيرون قدوة للأجيال كما صار المختار ببطولته الفذة ، والتي يحدثنا د. جابر

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشـعراء، ص ١٥٨. عبد الغفار عفيفي الدلاش (مصـر١٩٢٩) تخرج في كلية أصـول الدين بالأزهر الشـريف ١٩٥٦، ونال العالمية وإجازة التدريس من كلية اللغة العربية عام ١٩٥٧. عمل إماماً وخطيباً ومدرساً بوزارة الأوقاف منذ عام ١٩٥٨ حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٩٤، وقد أوفدته وزارة الأوقاف أثناء عمله بها الى كل من ليبيا، وفولتا العليا، وفرنسـا، واليونان. عمل معداً للبرامج الدينية والأدبية بالإذاعة من عام ١٩٥٧ - ١٩٨٤.دواوينه الشـعرية: فلسـفة الحياة - موكب النور- المنار - رائد النور - مع الله - شـهداء الحرية(مسرحية)، المصدر: مدونة راسخون.

قميحة عنها فيقول[١]:

لا تـذكـرن فـيـالـقًـا مـن تـغـلـبٍ وفـوارسًـــا مـن عـبـسٍ أو ذبـيـانِ
دع عـنـك هـوميـرا ودع طـروادة وخـوارق الـيـونـان والـرومـان
وانظر لـمن صـاغ البطولـة في الوغى بـعـزيـمـة عـمـريـة الإيـقـان
انـظـر لـينسـيـك الـمـلاحـم كـلـهـا رجـلٌ تـحـدى سـطـوة الـطـلـيـان

وهنا يتجلى موقف الشاعر المعاصر من أبطاله، فالعمل البطولي الذي يصوره الشعراء المعاصرون" يكتب أبعادًا شمولية، فهو ليس نتيجة الشجاعة الفردية فقط، بل صرخة الغضب الإنسانية ضد العدوان والانحدار، وهي تنبع من غريزة الإنسـان التي تدفعه إلى الخروج للدفاع عن حضـارته وثقافته عندما تكونان مهددتين، فالعمل البطولي إيجابي ونبيل دائمًا، وإن كان في الشعر المعاصر نموذجٌ واحدٌ يصور الحب الغيري المثالي فإنه هذه الشخصية البطولية التي تنبري باستمرار للموت متجاهلة جاذبية الحياة اليومية ومختارة العقل الذي يرفعها إلى أعلى درجات البطولة[٢]".

وهكذا مجد الشـاعرُ العربي البطلَ المجاهد في صـورة المختار، مع سـيطرة الانفعال الدافع إلى التأمل والغوص في أحداثٍ جهادية وما تحمله من تفجر وجداني وثراء فكري؛ لتبقى صـورة البطل في

(١) عمر المختار في الذكرى الثامنة والستين، ص ١١١. د.جابر المتولي قميحة شـاعر وأديب مصـري (١٩٣٤-٢٠١٢م)، حصل على ليسانس دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٥٧ .ماجستير في الأدب من جامعة الكويت عام ١٩٧٤ .دكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة القاهرة عام ١٩٧٩ . كما حصـل على ليسـانس في القانون من كلية الحقوق جامعة القاهرة ١٩٦٥ ، ودبلوم عالٍ في الشريعة الإسلامية ١٩٦٧ .عمل مدرسـًا للأدب العربي الحديث بكلية الألسن بجامعة عين شمس ، ثم أستاذاً مساعداً.دواوينه الشعرية :لجهاد الأفغان أغني .

الزحف المدنس. مؤلفاته : له في الأدب والنقد:منهج العقاد في التراجم الأدبية .

أدب الخلفاء الراشدين .التقليدية والدرامية في مقامات الحريري .أدب الرسائل في صدر الإسلام

الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود .التراث الإنساني في شعر أمل دنقل .

صوت الإسلام في شعر حافظ إبراهيم .الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف.

(٢) البطل في الأدب العربي المعاصر، د/ سلمى الخضراء الجيوسي ص ٧٥.

معطيات الشاعر المعاصر ذات أبعاد متعددة، لا تقف عند البطولة القتالية، بل بطولة المواقف حتى لو كانت ترزح تحت قيود الأسر وغياهب السجن.

ثانيا: البطل أسيرا

قال تعالى:" وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ"(١) وهذا التدافع الإنساني والتصادم الحضاري يفرز ظلمًا بين بني الإنسان ويفضي إلى التقاتل والتناحر، ويطمع القوي الغاشم في الضعيف المسالم، ومن ثم تقع المعارك التي تخلف القتلى والجرحى والأرامل واليتامى والأسرى.

وكلمة الأسر تعني السجن والتوثق من قيده وأخذه بالأسار، وهي القيود حتى لا يفلت(٢)

وقد كان العدو الإيطالي غاشمًا في تعامله مع أصحاب الأرض، وحاول بسط نفوذه على مقدرات ليبيا بالقوة والبطش، ودارت بينه وبين الشعب الليبي معارك مستعرة، بقيادة الفارس المغوار عمر المختار الذي لم يدخر جهدًا في قتالهم وصد عدوانهم بدافع من عقيدته الراسخة وحبه لوطنه واعتزازه بعروبته، والحديث هنا لا ينصب على كيفية وقوعه في الأسر، فهذا له مكانه من كتب التاريخ، بل الأهم هو موقفه وكيف قابل هذا الموقف وصنع فيه بطولة، وهزم أعداءه حتى في استشهاده في أسره، وهنا مغزى البطولة التي نبحث عنها، والتي صورها الشعر ورسم لها لوحاتٍ خالدة وصورًا من صور البطولة النادرة، وقد كانت له مواقف في أسره بدت من خلالها معالم شجاعته وبطولته وإبائه، وتجلت في رفضه الإغراءات التي عرضت عليه من قبل العدو الإيطالي (مادية ومعنوية) في مقابل تراجعه عن مواقفه ضدهم وتحوله من العداء إلى المصادقة والمخادنة، وذلك باطلاق سراحه وفك أسره والوعد بالتعيين في منصب قيادي تابعٍ لهم، مع التعويضات المالية المغرية بحياة فارهة مودعًا الأسر ومتحولًا من التقشف والفقر إلى الترف(٣)، لكن نفسه الأبية وشيمه العربية وعقيدته الجهادية أبت عليه أن يقبل

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥١.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (أسر)ط/ دار المعارف – مصر ١٩٨١م.

(٣) ينظر: الإيطاليون في ليبيا، أنجيلو ديل بوكا ص ٢٦٥، نقلا عن عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ٨٤.

ذلك، بل رفضــه ووضــع كل ذلك تحت قدميه مهينًا بذلك عدوه، وهذا ديدن الأحرار المناضــلين، وهددهم وهو في أســره أنه متى فك قيده عاد ليحمل الســلاح ويقود المعارك؛ ليســجل بتلك المواقف اســمه في ســجل الخالدين الذين اشــتروا الآخرة بالحياة الدنيا، وهذا منزع بطولي لا يقل عن حمل السلاح ومجابهة الأعداء، فهو ميدان جديد يظهر ملمحًا آخر من ملامح بطولة المختار " فالبطولة كل موقفٍ رائعٍ فذٍ من مواقف الحياة بعثت عليه غاية جليلة نبيلة، فاندفع إليه البطل في لحظة من لحظات السمو على كل ما يخضع له الناس من رغبة أو رهبة؛ إخلاصًا لما آمن به من القيم والمثل، وعلى هذا فليســت البطولة مقصــورةً على المواقف الرائعة التي يأتي بها الأبطال في ســاحات الوغى، وإنما هي ضــروبٌ وألوانٌ [1]" يرصــد ذلك ويصــوره الشــاعر المعاصــر مســتلهمًا من ذلك ســمات البطولة في المختار في ثوب الأسير الأبي الصامد، فيقول شوقي في قصيدته الشهيرة:

خُيِّرْتَ فاخترْتَ المبيتَ على الطوى ... لــمْ تــبْــنِ جــاهــًا أو تــلــمَّ ثــراءَ

إنَّ الــبــطــولــةَ أنْ تــمــوتَ مــنَ الــظــمــا ... لــيــسَ الــبــطــولــةَ أنْ تــعــبَّ الــمــاءَ

ويقول د. الحضيري في قصيدته بطل الجهاد [2]:

طَـلـبَ الـجـهـادَ فـريضــةً وفضــيـلـةً ... لـيـحـوز مـن رب الســمـاء رضــاء

وســقــوط آخــر مــعــقــل لــم يــثــنــه ... يــلــقــى الســلاح ويــوقــف الــهــيــجــاء

بـل ظـل في وضــعٍ يـواصــل صــامـدا ... ومــقــاتــلا أعــداءه الــجــبــنــاء

ورمـوا أصــيـل الـخـيـل في ســاح الـفـدا ... أســروا الـغـضــنـفـر يـلـعـن الـخُـبـثـاء

بـغـيًـا تـمـادوا في الـرعـونـة مســرفي ... ن، وســاموا الأَســدَ الصــؤولَ غـبـاء

أن يـوقـف الـهـيـجـاء ويـهـجـر سُــوحـهـا ... ويُــهَــدِّىء الــعــلــمــاء والأدبــاء

ويَـحُـثَّ جـنـدا قـاتـلـت بـقـيـاده ... تــرمــي الســلاح إذا أراد جــزاء

مــالًا وفــيــرًا فــيــه مــا يــغــنــيــه ده ... رًا شــرط يــحــيــا لا يــثــيــر عــداء

(١) البطولة، د/ عبد الرحمن رأفت الباشا ، ص ٢١، ٢٢.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ١٤٦ وما بعدها.

قد ردَّ في سُخطٍ على جلادهم خزيا لعَرضٍ يخدش الزعماء
لم يُغْرِه يحظى بأعلى منصبٍ أو راتبٍ حمل الأذى والداء
عرضوا عليه بأن تُفَكَّ قيودُه لا سجنَ، لا سجانَ، لا إيذاء
وتعهَّدوا لن يشنقوه وواعدو ه سيرحمون سنينه البلجاء
في صولة الآساد، ردَّ مهدِّدًا تبًّا أيا أوغادُ لا إمضاء
للآثم الغازي الذي خرم الفضا ما قدَّر الأعراف والآباء
قسما إذا فُكَّتْ قيودي لا أَنِي إنِّي لأشعلها لظىً حمراء

وفيما ذكر تتمثل كل بواعث البطولة في مواقف المختار وهو في أسره، من الإباء والكرامة والزهادة والإيثار، فضلا عن قوة الإيمان وصدق العقيدة؛ لتكتمل أمامنا كل عناصر البطولة وصورها التي تجسدت في الفارس الهمام والبطل المغوار الذي كان مضرب المثل في الفداء والبطولة حتى في أسر العدو أو أسر الشيخوخة وتقدم العمر فلم يعقه الأسر بكل أشكاله عن أن يظل بطلًا وفيًا لأمته وما يؤمن به وجمع الناس عليه، يتغنى بذلك إسماعيل بخيت في قصيدته أسطورة الفداء والبطولة ويقول(١):

غالبت عمرك والأعمار غالبة لكنْ بعزمك لم يترك لها الغلب
وذي سنونك لم يهزمك طاعنها كأنها سنوات ليس تحتسب
كنت الفتى صبِّي القلب مفعمه حبُّ الفداء لديك المجد والرتب
تهوى البطولةَ والأبطالَ تغبطهم فيما سمعتَ وفيما قصت الكتب
والبذل عندك دون الأرض ملحمة ترضى المنون وليس الأرض تنتهب
والروح عنك دون الأهل ترخصها والنفس تذهب ليس العرض يغتصب

وهكذا انتصر المختار على أسره مرتين: مرة على أسر سنه وتقدم عمره، ومرة على أسر عدوه له وحبسهم إياه؛ ليظل بطلا في أسره كما كان بطلا في حربه وتحرره، وهذا ديدن الأحرار، ومسلك

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ٢٢٠.

الأبطال. يصور ذلك علي النحوي[1] فيقول:

هـمْ يـرحـلـونَ لأنّـكَ الـبـطـلُ الـذي ... قـدْ قـالَ: إنّـا هـا هـنـا فـلـيـرحـلـوا
كـانوا على ظهرِ الجحيمِ وجئتَ منْ ... أقصـى الـمـدينـةِ حـافـيـًا فـتـرجّـلـوا
لله درّكَ سـاومـوكَ فـبـعـتَـهـمْ ... بصـلـيـلِ سـيـفٍ في الوغى لا يَخـذِلُ
وركـبـتَ صـهـوةَ غـيـرةٍ عـربـيّـةٍ ... بسـوى الـمـنـونِ أوِ الـعـلا لاتُشـغَـلُ
عـيـنـاكَ مـا نـامـتْ ولا رمـقـتْ سـوى ... كـريـمـة وطـنٍ لـكـل يـتـمـثـلُ
يـا بـاذلاً روحَـكَ هـل تـرى ... غـيـرَ الـنّـفـوسِ لأجـلِ أرضٍ تُـبـذلُ ؟!
أوقـدتَ بـالـمسـرى فـؤادَكَ والـلـظـى ... يضـرى وقـلـبُـكَ زاهـرٌ لا يـذبـلُ
ومشـيـتَ هونـًا حينما سـكنَ الدّجى ... فـكـأنّـمـا الـمسـرى لـديـكَ مؤجّـلُ !!

وإذا كانت حياة المختار قد ختمت بمشهد مؤلم لكل نفسٍ أبيّة إلا أنه كان ملمحًا جديدًا في أنشودة بطولته، فاستطاع أن يجعل من وقعة شنقه ساحة للبطولة ومنزلًا من منازل الفروسية، وقد رصد الشعر ذلك الموقف مصورًا بطولة المختار أمام المشنقة في تعبير بديع، يصور ذلك الملمح البطولي أمير الشعراء في قصيدته الغراء:

لَـبّـى قَضـاءَ الأَرضِ أَمـس بِـمُـهـجَـةٍ ... لَـم تَـخـشَ إِلّا لِـلسَـمـاءِ قَضـاءَ
وافـاهُ مَـرفـوعَ الـجَـبـيـنِ كَـأَنَّـهُ ... سُـقـراطُ جَـرَّ إِلـى الـقُـضـاةِ رِداءَ
شَـيـخٌ تَـمـالَـكَ سِـنَّـهُ لَـم يَـنـفَـجِـر ... كَـالـطِـفـلِ مِـن خَـوفِ الـعِـقـابِ بُـكـاءَ
وَأَتـى الأَسـيـرُ يَـجُـرُّ ثِـقـلَ حَـديـدِهِ ... أَسَـدٌ يُـجَـرِّرُ حَـيَّـةً رَقـطـاءَ
عَضَّـت بِسـاقَـيـهِ الـقُـيـودُ فَـلَـم يَـنُـؤ ... وَمَشَـت بِـهَـيـكَـلِـهِ السُـنـونَ فَـنـاءَ
تِسـعـونَ لَـو رَكِـبَـت مَـنـاكِـبَ شـاهِـقٍ ... لَـتَـرَجَّـلَـت هَضَـبـاتُـهُ إِعـيـاءَ
وَتَـخَـيَّـروا الـحَـبـلَ الـمَـهـيـنَ مَـنِـيَّـةً ... لِـلَّـيـثِ يَـلـفِـظُ حَـولَـهُ الـحَـوبـاءَ
حَرَموا المَماتَ عَلى الصَـوارِمِ وَالقَنا ... مَـن كـانَ يُـعـطـي الـطَـعـنَـةَ الـنَـجـلاءَ

(١) هو: علي بن حسين النحوي شاعر سعودي ولد في الأحساء ١٣٨٧هـ حاصل على الماجستيرفي الأدب بعنوان المرأة في الشعر الأحسائي الحديث، له مشاركات شعرية منشورة بالصحف السعودية، وقد وصلتني هذه القصيدة بالبريد الإلكتروني من الشاعر.

ومن ذلك -وهو كثيري قصائدهم - قول فرج أبي الجود:في قصيدته (عمـــر المختار):

نـظـر بـعـيـنـيـه وحـيَّـانـا بـعـيـونٍ تـمـتـلـئ حـنـانـا
يضـــحـك والـمـوتُ بـجـانـبـه ضـــحْـكَ الـمســرورِ فـأبـكـانـا
ضـــرغـامٌ يـنـظـر في شـــمـمٍ لـيـقـيـم الـعـزة بـنـيـانـاَ
لـم يـخـش الـمـوتَ وحـنـظـلَـه كـــلا بـــل أقـدم ظـمـــآنـا
لـيـضـيـفَ لـنـبـلِ شـمـائـلِـه بـرهـانًـا يـتـبـع بـرهـانـا
نصـــبـوا لـلـفـارسِ مشـــنـقـةً وأقـام الـغـاصـبُ مـيـدانـا
وأتـوا بـالـلـيـث عـلـى عـجـلٍ يـــزأرُ فـيـهـزُ الأركـــانـا
يـمشـى لـلـمـوت بـلا جـزعٍ والـمـوتُ يُـقَـهْـقِـرُ خـجـلانـا
مـبـتـسـمًـا خـاشـعـةً يـده تـكـتـب لـلـجَـنَّـةِ عـنـوانـاَ
أســلـم لـلـبـارئ مـحـتـسـبـا الـروحَ ســعـيـداً فـرحـانـا
الأرض تـــودع ســـيـــدهـــا والـدمـع يـذيـب الأجـفـانـا
والـمَـلَـكُ الـطـاهـر يـحـمـلـه والـجَـنَّـةُ تـهـتـف بشـــرانـا
والـنـاس تـكـبـر في ورع حـتـمـا سـنـراك وتـلـقـانـا
أســـد عـــربـي لـيـبـي حـــر مـا هـان ومـا خـانـاَ
والـحـر يـخـيـط مـنـيـتـه بـإبـاء الـعـزة أكـفـانـاَ

ويقول عمر أبوغريبة في قصيدته[1]عليك سلام الله ياعمر:

أعيَيْتَ يا شـيخُ في الســاحاتِ حيلتَهم ورَنَّـقَ الصَّـــفْـوَ في أحـلامِـهـم كَـدَرُ
حـتـى كَـبَـتْ بـك في غـمْـراتِـهـا فَـرَسٌ مـا ردَّهـا قـبـلُ مـن أهـوالِـهـا الـخـطَـرُ
لا يشـــمـــتـنَّ عـدوٌّ هـدَّه طَـرَدٌ إنْ نـالَ صـيـداً فـقـد أعـيـا بـه الـظـفَـرُ
قـد ســاقـك اللهُ مـأســوراً عـلـى قـدَرٍ مـنـه فـلا كـفـرَ إن أهـوى بـنـا الـقـدَرُ

(١) ديوان عمر أبي غريبة – نشر بموقع ملتقى رابطة الواحة الثقافية بالشبكة الدولية (الإنترنت) بتاريخ ١٥ / ٩/ ٢٠١٠م.

وكنتَ مستشهدًا من قبلِها فهدى إليك أجراً وأجرُ القتلِ مدَّخَرُ
إذا اصطفى اللهُ عبداً زاد محنتَه والله يبلو الذي أصفى ويختبرُ
فجيءَ بالحبلِ مشدوداً بحقدِهِمُ والناسُ قد جُمِعوا والموتُ يبتَدِرُ
فانبَتَّ حبلٌ من الأعداءِ مرتعشٌ كذاك حبلُ دُعاةِ الشرِّ منبترُ
ما لُفَّ حول شَموخِ العُنْقِ يشنقها حتى تباكى على الأقدامِ يعتذرُ
تفاءل الشيخُ والآجالُ ترمقه بادتْ حبالُكمُ والظلمُ مُندثرُ
لمّا ترنّح جسماً ما هوى وعلا فوق الرقابِ وطرْفُ العِلجِ منحسرُ
تلقّفتْه أيادٍ من ملائكةٍ إنا جزيناهمُ الحسنى بما صبروا
ما زلتَ يا سيدي في أرضِنا علَماً يلتفُّ من حولِه الأفرادُ والزُّمَرُ
ولا يزال لك العِرفانُ متصلاً وما يوفّيك عرفانٌ ولا شُكُرُ
وأنت فوق جبينِ المجدِ ناصيةٌ وأنت في مصطلى ديجورِنا قمرُ
فانعمْ برَوْحٍ وريحانٍ ومغفرةٍ تترى.عليك سلامُ اللهِ يا عمرُ

فهذه الأبيات وغيرها من مقطوعات شعرية كثيرة رصدت هذا الموقف وصورت فيه بطولة المختار واتخذت منه ملهمًا للأجيال في حربهم على عدوٍ لم يستطع الانتصار على غريمه إلا بشنقه، فهزمه المختار في ساحات الوغى وساحات الإنسانية والكرامة، فكان له الشرف وكان لهم من شنقه العار والخزي، يصور ذلك علي النحوي في قصيدته (إلى روح الشّهيد عمر المختار) فيقول:

ووقفتَ ما بينَ الحشودِ مكبَّلًا بالقيدِ لكنْ بالحياةِ مكلّلُ
ووقفتَ حيثُ الموتُ يفرشُ نطعَهُ لبنيكَ في وجهِ المدى تتأمّلُ
ووقفتَ - يا الله - إنّكَ بيرقٌ للبيدِ إنْ عصفَ الهجيرُ يظلّلُ
ووقفتَ لمْ تدرِ السّحابُ بأنّها من تاجِ رأسِكَ بالكرامةِ تهطلُ
لا الحبلُ يوهنُ مقلتيكَ ولا الرّدى فالحبلُ في عنقُ الضّراغمِ يُفتلُ
ترقى إلى عرشِ السّماءِ مباركًا كالأنبياءِ وكالملائكِ تنزلُ
موتٌ بحجمِكَ والخلودُ يلفّهُ مازال يُدهشُ الجموعِ ويُذهلُ

لـوّحـتَ لـلأجـيـالِ تـوقـدُ فـيـهـمُ هـمـمَ الـجـبـالِ وأنـتَ شـيـخٌ أعـزلُ

عاش المختار تجربة الأسـر، ومثلت مظهرًا من مظاهر بطولته، ففاض عليه بالصـمود والتحدي، وكشـف عن الثقة بالنفس، وقوة الروح المسـتمدة من إيمانه بالله -عز وجل- ويقينه في دوره كقدوة لشـعبه الذي وثق فيه واتبعه واتخذه قدوة ومعلمًا، وهذا يؤكد أن البطولة كما تكون في سـاحات الوغي تكون أيضًا في الصبر والصمود في مجابهة الأعداء في طغيانهم أو إغرائهم.

وهكذا اتضح مما رصده الشاعر المعاصر في معايشته لآثار المختار البطل، ما يدفعنا إلى أن نطالع صورة النفس البشرية في بطولتها في ميدان الاقتداء كما شاهدناها من قبل في سوح الوغى ومنازل الأبطال مجاهدةً وأسيرةً.

ثالثا: البطل المعلم والقدوة.

من أبرز ما يميز شـخصـية عمر المختار قيمه الإنسـانية وتعدد سـماته الريادية في النضـال وفي العلم والدعوة، ولا ننسـى نشـأته العلمية وبيئته التربوية وأثرهما على شـخصـيته، ومن ثم كانت له أدواره التعليمية في ميادين العلم والدعوة كما كانت أدواره في ميادين الذود عن الحياض، ولما لا وقد ألبسـه الزمان مع المكان أردية العلم والورع، والتقوى والزهد، فصـار مثلا يحتذى، ورمزًا يقتدى، وهذا الأمور سـاعدته كثيرًا في أداء أدواره البطولية المتعددة، واسـتطاع التأثير في كل من حوله، يجذبهم إليه جذب النار للفراش؛ لخالص ورعه وغزير علمه وقوة شـخصـيته، مما جعل أتباعه يلتفون حوله التفاف السـوار بالمعصـم، يرون فيه قائدهم ومعلمهم، وقد عبر الشـعراء عن ذلك البعد الإنسـاني والبطولي في شخصية المختار بمواقف وصورعدة، من ذلك ما خاطب به د.عبد الغفار الدلاش المختار قائلا [١]:

يـا حليفَ الصـمصـامِ يـاعمر المختـار مـــاذا أقـــول في ذكـــراكـــا
ثُـرَتَ لـلـحـقِ مـؤمـنًـا وطـنـيـا تـبـذل الـروح راضـيًـا لـحـمـاكـا
تشـعـلُ الـنـارَ في الـعـدو ضـرامـا لـتـبـيـد الـجـحـود والإشـراكـا
وتـؤمُ الـجـمـوعَ وقـت صـلاة وتـقـود الأبـرار والـنُّسـاكـا
لـم يـرعـك الـمشـيـبُ أن تـتـوانـى أو يـقـيـدْ مـن الـمـهـيـب حـراكـا

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ١٩٢.

ثـابـت الـخـطـو والـجـلال مـلـيـكـا لـم يـرُعـك الـحِـمـام حـيـن أتـاكـا
في سـمـاء الـخـلـود تـحـيـا شـهـيـدًا راضـي الـنـفـس طـيـبًـا ومـلاكـا
ومـنـارا عـلـى الـدهـور مضـيـئـا يـا حـلـيـف الأمـجـاد مـا أحـراكـا
كـيـف نـنـسـى وأنـت فـجـرٌ سـنـيٌ خـالـد الـذكـر مـفـعـم بـثـنـاكـا؟

وهكذا يربط الشـعراء – دائما – جهاده وبطولته الحربية ببطولته القيادية والتعليمية، وهذا في رأيي لأنه كان يسـتمد بطولته الحربية من دوافع إيمانية عقدية، فكما جهز جيشًـا مدربًا على فنون القتال، كذلك بنى أناسًا غرس فيهم القيم والمثل وعلمهم التضحية والفداء والتمسك بالدين والأوطان، فصار صفحة لا يطويها الزمان، يقول رشاد محمد يوسف في قصيدته (عمر المختار طليعة الأحرار)[1]:

نـورٌ عـلـى قـمـمِ الـجـبـالِ ونـارٌ وطـلائـعٌ يـرنـو لـهـا الأحـرار
وصـحـائفُ لـلـمـجـد خطَّ سـطـورهـا لـلـثـائـريـن الـفـارسُ الـمـغـوار
روحُ الـفـداءِ هـنـا ونـبـض كـيـانـه وهـنـا الـجـهـاد وجـيـشـه الـجـرار
وهـنـا نضـال الشـعـب سـجَّـله الثرى وزكَـت بـه الـربـوات والأغـوار
الـثـائـر الـعـربـي خـطَّ قـراره وأعـدَّ عـدَّتـه وعـزَّ قـرار
لـن تـنـحـنـي هـامُ الـرجـال لـغـاصـبٍ مـهـمـا اسـتـبـد الشَّـرُ والأشـرار
فـالأرضُ عـرضٌ والـعـقـيـدة ذمـةٌ والـنـبـتُ والـحـرمـاتُ والأسـتـار
سـتـظـل تـذكـره الـجـمـوعُ مـهـابـةً ويـحـيـطـه الـتـكـريـم والإكـبـار
يـا مـعشـر الـفـاشـسـت إنَّـا أمـةٌ خـطـواتـهـا في الـمـحـنـة الإصـرار
إن مـات حـرٌ قـام ألـفٌ بـعـده يـتـواصـلـون كـأنـهـم أقـمـار

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشـعراء، ص ١٧٦. رشـاد محمد محمد يوسـف (مصـر)ولد عام ١٩٣٣..يشـرف على صـفحة الشـعر والشـعراء بمجلة الأزهر. رئيس جمعية الأدب والفكر المعاصـر، وعضـو رابطة شـعراء العروبة، وجمعية العقاد الأدبية، وعضـو نادي القصـيد، وجمعية أبوللو الجديدة، وظل عضـواً بمؤتمر الثقافة الجماهيرية بوزارة الثقافة.نشر محاولاته الشعرية في صحف المصري، ومنبر الإسلام، والشعب، ومنبر الإسلام، ومنار الإسلام، والوعي الإسلامي، والأمة، والدوحة، وغيرها..دواوينه الشعرية: من وحي العقيدة ١٩٥٥.جراح الفجر١٩٩٨

الله أكبر يا ملاحم سطِّري عاد النبي وعادت الأنصار
رمزُ البطولة والشهادة والفدا رمزُ الجهاد هنا هو المختار
قتلوه لا والله إنَّ حياته ستظل ساطعةً بها الأنوار
ما غاب عنا أو توارى طيفه هو في الخواطر شعلةٌ ومنار
هو في حنايا كل قلبٍ ثورةٌ وعقيدةٌ يزهو بها الثوار
هو أسوة مُثْلَى لكل مجاهدٍ تسمو بها الأشعار والأوتار
ذكراك يا شيخُ الجهاد منارةٌ للصحوة الكبرى هي الإنذارُ

وهنا يصور الشاعر المختار ملهمَ الثائرين للحق الرافضين للباطل، يستمدون من سعيه وصبره وصموده وحبه لوطنه الدروس، وتبقى سيرته ومسيرته مشعلًا يضيء طريق الثورة والثوار، ومن ثَمَّ فإن استجابة أتباعه له كان أساسها صدقه وثباته وتعاليمه التي قَرَّتْ في الخلد العربي، وصارت نبراسًا لكل طالبِ حقٍ أو ذائدٍ عن حوزة الوطن ، بل صار ملهمَ الشعراء الداعين إلى النضال والكفاح كرمز من رموزه في تاريخنا المديد، يقول د.الحضيري في ذلك في قصيدته معلم الجهاد [١]:

شهيد البطولة شيخَ الفدا ويا قدوة الثائرين الغُيُرْ
ويا موردًا لتراثٍ أصيلٍ أنرت السبيل لمن يعتبرْ
ومهدت نهجًا لصون الحِمى وظلَّ جهادك وِرد البشرْ
من الشِّعر أثرى النضال فنونًا وفي معمع الحرب وَقْدُ الشررْ
كفتك خلودًا قصيدةُ شوقي وآلاف من مثلها قد نشرْ
تصور فيك قوام البطولة صونًا لعرضٍ وبيتٍ طَهُرْ
لقد كنت رائد ثورةِعصرٍ تفجر بركانها وانتشر
وشبَّ لظاها عنان السماء تلاحق أوغاد روما الغُثَرْ
لترميهم في مهاوي الجبال وتترك أجداثهم في الحفرْ

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ١٧٤.

ولـمَّـا تـنـاديـت لـلـثـأر هُـبُّـوا لصـــد الـغُـزاة الـذئـاب الـعُـفُـرْ
فـلـبَّـت نـداءك أُسْـــدٌ غـيـارى أجـابـتـك هـيـا لـدرء الـخـطـرْ
فـأنـت إلـيـنـا رصـيـد الـجـهـاد وإنَّـا إلـيـك جـنـود صُـبُـرْ
فـألـهـمـتـنـا أن صـون الـحـيـاض أســودٌ غضـابٌ وبـيـضٌ بُـتُـرْ
وصـرت بـهـديـك مصـبـاحَ نـورٍ أضـاء إلـيـنـا سـبـيـل الـظَّـفَـرْ
وأوقـدت في روحـنـا ثـورةً تـؤجـج نـيـرانـهـا بـالشـرر
ومـهـدت نـهـج الـنضـال الـقـويـم ولـكـنـنـا قـد ضـلـلـنـا الأثـر
زعـيـمَ الـجـهـاد وعـزمَ الـعـنـاد فـلـم تـخـش يـا عـمـر مـن فَـجَـر
صـمـدت تـقـاوم كـل غـريـر وخضـت الـمـعـامـع دون حـذر
لـزامـا عـلـيـك، نـبـارك فـيـك بـطـولات عـربٍ لـرد الـثـأرْ
نـتـابـع خـطـوك في يـقـظـةٍ لـنـبـرىء جـرحًـا دمـى وتَـغَـرْ
ونـمـحـوَ دَجْـوًا لـغـزوٍ رهـيـب ونصـفـعَ كـل الـخـدود الصُّـعُـرْ
نـعـاهـدك الله يـا شـيـخ الـبـداوة نَسْـلَ الـعـروبـة صـفْـوَ الـحضـر
بـأنـا عـلـى الـثـأر لـن نـتـعـامـى رسـمـت لـنـا دربـه الـمـنـتصـر
نـقـاوم أعـداءنـا في صـمـودٍ ونـزحـفُ يـوم الـنِّـدا كـالـقـدرْ

ومن هذه الأبيات وأخواتها من قصائد شعرية انتشرت في دواوين الشعر المعاصر تنضح المحبة والإجلال للمختار كشخصية كبيرة في تاريخنا المعاصر ناضلت وكافحت، وعلمت وربت، وصارت قدوة لجيل بل أجيال أسهم المختار في تكوينها وبنائها على العزة والكرامة ليس في ليبيا فحسب، بل في الوطن العربي كله. ولنا أن نفاخر بالمختار وأمثاله من الأبطال في كل مناشط الحياة ممن ساهموا في بناء الإنسان العربي وصون الدم وتحرير الأوطان وحمايتها.

وإذا كانت البطولة في عالمنا المعاصر نادرةً، وقد تحسب الزعامة أو البطولة بموقف أو اثنين في ميدان الحرب أو السياسة أو التربية، فما البال بمن انتصر في كل معاركه حتى معركة الأسر والسجن والاستشهاد، فخرج منها كلها بطلًا صامدًا وفارسًا صادقًا مع دينه وقضيته وشعبه.

الفصل الثاني

الدراسة الفنية لصورة البطل

المبحث الأول: هيكل بناء القصيدة

من أبرز الجوانب الفنية في القصائد الشعرية محل الدراسة، والتي تتناول صورة البطل في الشعر الحديث (متمثلة في عمر المختار) أن غالب الشعراء في هذه القصائد كانت شخصية البطل المغوار (المختار) هي محور القصيدة من بدايتها حتى نهايتها دون أن يشيح الشاعر وجهه عنها إلى غيرها من الشخصيات أو يذكرها في بيت أو بيتين ثم يثني عطفه عنها إلى غيرها من الشخصيات أو الأحداث.

كما تتسم هذه القصائد بالبناء المطول المتكامل المتماسك، وقد عمل الزخم الفكري المنهجي، والرصيد البطولي للشخصية إلى تشييد هذه الأبنية الفنية الشامخة التي تحمل في طياتها قضايا الأمة وهمومها، ولعل ذلك – من وجهة نظري- ما جعل نَفَسَ الشاعرِ يمتدُ ويطول؛ لأنه وجد في هذه الشخصية ضالته المنشودة في عالم انهزاماته، وسلوته في دنيا أتراحه، لا سيما وأن شخصية المختار من الشخصيات التراثية ذات الحضور الكبير والمؤثر في وعي الأمة الجمعي.

ولم يفارق الشاعرَ في ذلك الإحساسُ المزدوجُ بين الحنين للماضي، والاستشراف للمستقبل، فقد ظلت هذه الأحاسيس "ملازمة للشاعر العربي في كل عصوره لا سيما العصر الحديث[١] " مكرسًا كل قدراته ومواهبه الشعرية والفنية في التعبيرعن شوقه للانتصارات، ومسح تراب الذل عن وجه الأمة في بناء فني متماسك، وصار ذلك وفق أدوات فنية وأسلوبية من أبرزها:

المطلب الأول : العنوان.

غني عن البيان أن العنوان هو المدخل الرئيس الذي يلج من خلاله المتلقي إلى النص الشعري، ولذا فهو عندي أهم مفاتيح النص وعتباته، خاصة وأنه ممر للناظم وللمتلقي لدخول فضاء النص وثبرأغواره، وهوالمشعل الذي ينير الطريق للتعرف على وعي الشاعر ولغته وفكرته، فمن عند العنوان " تبدأ القصيدة

(١) المعارضات الشعرية – دراسة تاريخية نقدية د. عبدالرحمن إسماعيل السماعيل، ص ١٦٧،ط/ النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

في إرسال ومضاتها التي ستقودنا بحركة استباقية إلى ما سيكون عليه مسار النص وهو يتجه نحو بؤرة دلالية تهيمن على تشكله، وتسهم بعمق في توجيه حركته السردية والتركيبية والإيقاعية من جهة، والانبثاق منها من جهة أخرى [١]" ومن هنا صار العنوان ذا أهمية بالغة في القصيدة الحديثة، بل أضحى " جزءًا عضويًا من أجزاء القصيدة، ولبنةً مهمةً في بنائها[٢] " يكشف عن غايات الشاعر ومراميه، وعن حالته النفسية والوجدانية، ويهيء المتلقي لفهم ذلك والتعايش معه، ولعل ذلك من أبرز أدوار العنوان التي ي بها الشاعر من أجل الوصول إلى قلب القاريء كما كان الشعر يصل إلى قلب السامع قديمًا، وفق التحول عند المتلقي من السماع إلى القراءة خاصة بعد ظهور الطباعة وانتشار الكتب، ومن هنا صار الشاعر – من خلال عنوان القصيدة – يؤسس لقراءة مؤثرة ومتفاعلة مع النص المعنون له.

ومن أبرز سمات العنوان في القصائد المتعلقة بموضوعنا أنه يبرز قيمة البطل وحاجة الناس إليه من خلال عنونة القصائد التي جاءت بدلالات مختلفة تنم عن تشبع الشعراء بشخصية البطل (المختار) كما يتضح أيضا وضوح العنوان ومباشرته وعدم غموضه، والذي يُنبئ عن وضوح مضمون القصيدة ، وخلوها من التعقيد أوالترميز؛ لأن العنوان يبقى العتبة"التي يختارها المبدع عن وعي، ويتحمل جميع مسؤولياته فيها، ويقصد من ورائها إلى مجموعة من الدلالات، وهي واحدة من أهم عتبات النص التي بإمكانها– حين تدخل في علاقة من نوعين من الموقعيات الداخلية والخارجية – أن تؤسس لقراءة فاعلة ومتفاعلة للمتن الذي تسمه وتشير إليه[٣]".

هذا ويمكن تصنيف العنوان في قصائد الشعراء الذين دارت قصائدهم حول بطولة المختار على النحو التالي:

---

(١) الدلالة المرئية، قراءات في شعرية القصيدة الحديثة،د. علي جعفر العلاق ص ١٢٥،ط/ دار الشروق للنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(٢) العنوان في الأدب العربي – نشأته وتطوره د. محمد عويس، ص ٢٨٢، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م

(٣) عتبات النص– المفهوم والموقعية والوظائف، مصطفى سلوى، ص ١٦٩، ط/ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم ٧١، سلسلة بحوث ودراسات،ط/ الأولى ٢٠٠٣ م.

أولا : العنوان الاسمي.

حيث ورد عنوان العديد من القصائد مشتملًا على اسم البطل(عمر المختار) في صورة مركب اسمي محدود أو مضاف إليه متعلق قبله أوبعده، أو يأتي الاسم مرتبطًا بجملة تصف البطل، أوتتحدث عن شيء من حياته وأعماله، وفي هذا النمط من العنونة يبرز الشاعر مضمون القصيدة، ويشير للشخصية بصورة مباشرة، وهذا لن يكد ذهن المتلقي؛ لأن وضوح العنوان سييسر النفاذ إلى النص، بل سيطبع في مخيلة ووجدان المتلقي سهولة النص ووضوحه، وهذا النمط هو الغالب على القصائد التي بين أيدينا عن المختار، ومن ذلك:(عمر المختار) لشوقي [١]، بطل الجهاد للحضيري [٢]، ثائر الصحراء لنوال مهنى[٣]، أسطورة الفداء والبطولة لإسماعيل بخيت [٤]، مشوارعمرالمختار لمحمد

---

(١) الشوقيات ،ج٣ ص ١٨.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص١٤٤

(٣) المرجع السابق، ص١٥٣، نوال مهنى أحمد أبو زيد (١٩٤٨-) حاصلة على ليسانس آداب قسم الفلسفة وعلم النفس، وعلى شهادة دراسات خاصة في اللغة العربية والتاريخ. عملت مدرسة للفلسفة وعلم النفس بالمدارس الثانوية، وعملت مشرفة على الصحافة المدرسية بوزارة التربية التعليم المصرية، ثم عملت كمعدة برامج من خارج الإذاعة والتليفزيون المصري،تنشر إبداعها في معظم صحف ومجلات العالم العربي. تشغل منصب رئيسة الأديبات برابطة الأدب الإسلامي العالمية عن فرع الرابطة بمصر، ومنصب رئيسة نادي الأدب والنادي المركزي بفرع ثقافة الجيزة. عضو مجلس إدارة باتحاد كتّاب مصر، وعضو منظمة الكتّاب الأفريقيين الأسيويين، وعضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، وعضو نادي القصة المصري. عضو مؤسس ملتقى المبدعات العربيات بالقاهرة، وعضو مؤسس في ندوة ملتقى الأربعاء بنقابة الصحفيين المصرية. محاضر مركزي بالهيئة العامة لقصور الثقافة، ومثلت مصر في الكثير من المؤتمرات والمهرجانات الأدبية في مصر والدول العربية. وقد اشتهرت الشاعرة بلقب "شاعرة الصعيد" وللشاعرة مؤلفات عدة راوحت بين الديوان والمسرحية الشعرية، منها:(دواوين)نبع الوجدان، أغاريد الربيع ،فيض الأشجان، ذات مرة ، أنغام ثائرة، الفارس والأميرة "مسرحية شعرية"، أغاني الطفولة "ديوان للأطفال"، الجميلة والعراف"مسرحية". "أزهار اللوتس" (قصة للأطفال)، ٢٠١٣ "على عتبات القدس" (مسرحية شعرية)، ٢٠١٥ المرجع: مدونة كتارا.

(٤) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص٢١٨

وجدي شبانة [١]، شهم جسور لنجاة شاور [٢]، عمر المختار القدوة الخالدة لعبد الغفار الدلاش [٣]، رمز الكفاح لمحمود خليل آل باز[٤]، قائد الشهداء لمحمد سيد الوزير[٥]، رمز الفداء د.محمد محمود

(١) المرجع السابق، ص١٧٨

(٢) المرجع السابق، ص١٨٩

(٣) المرجع السابق، ص١٩٥

(٤) المرجع السابق، ص٢٠٣

(٥) المرجع السابق، ص٢٠٨، محمد السيد محمد علي الوزير (١٩٩٩-١٩٢٧)، التحق بكلية دار العلوم وحصل على شهادتها، ثم على درجة الماجستير، ثم على دبلوم التربية من كلية التربية بجامعة عين شمس، ثم الدكتوراه من معهد الدراسات العربية والإسلامية بالقاهرة.عمل بالتوجيه الفني في إدارة شرق القاهرة التعليمية، ثم أستاذًا للغة العربية بمعهد اللغات الشرقية في مدينة نابولي الإيطالية، ثم بالتربية والتعليم بالجزائر. انتقل بعدها إلى ليبيا فعمل أستاذًا بكلية التربية (جامعة سبها)، ثم كلية التربية (جامعة الفاتح)، كان عضوًا في رابطة الأدب الحديث، ونادي جماعة دار العلوم.شارك في عدد من المؤتمرات السياسية والمهرجانات الشعرية. الإنتاج الأدبي:

- له قصيدة «نبأ بلا قضبان» نشرت في كتاب: «مفهوم الشيطان في الفكر العربي»،

و«في الذكرى السادسة والستين لاستشهاد معلم الشهداء: عمر المختار»، و«محمد حلمي مراد.. علم مصر وفتاها» نشرت في جريدة الشعب، وله ديوان (مخطوط).

- له كتاب «الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثره في أدبه.

حصل على شهادات تقدير منها شهادة تقدير من رابطة الأدب الحديث.المرجع: معجم البابطين٥٩٧٠

حسين[١]،المختار في سجل الخالدين لأحمد عبد الخالق[٢]، أنشودة الأحرار لسيد جبر [٣]، الفارس المغوار عمر المختار د. الحضيري[٤]. عمر المختار طليعة الأحرار لرشاد محمد يوسف[٥].شهيد

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص١٦٢، محمد محمود حسين السيد، ولد عام: ١٩٣٩ بالعدوة – الشرقية، حصل على دبلومة في العلوم المالية والإدارية، وعلى الماجستير في الاقتصاد السياسي. عمل مديرًا عامًا للتنظيم والإدارة بمصنع ٦٣ الحربي. عضو اتحاد الكتاب ونادي القصيد، والرابطة الإسلامية ونادي خريجي الجامعات، وشعراء الإسلام. دواوينه الشعرية: المشاعل، أنشودة الشمس، غابة النور، العزف على وتر العبور، صهيل الحرف وانكسار الخوف.معجم البابطين.

(٢) عمر المختار قدوة الجهاد، ص١٣٨، أحمد عبد الخالق عبد الستار.(١٩٤١ – ٢٠٠٤ م)

كف بصره وهو ابن ثمانية أشهر، غير أن بصيرته ظلت متوقدة مما ساعده على التفوق وإحراز السبق في مجالي الشعر والدراسات المتخصصة في علوم اللغة.نال الإجازة العالمية من كلية الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة الأزهر عام ١٩٦٩، كما نال الإجازة العالية من كلية اللغة العربية في الجامعة نفسها عام ١٩٩١ .حصل درجة الماجستير متخصصًا في النحو والصرف، كما كان يعد لمناقشة رسالته للدكتوراه في التخصص نفسه غير أنه توفي قبل إتمام المناقشة.عمل إمامًا وخطيبًا في مساجد وزارة الأوقاف حتى توفي على درجة مدير عام، كان عضوًا في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، وجمعية الرابطة الإسلامية، ونادي الأدب بقصر ثقافة الغوري، إضافة إلى عضويته لنادي القصيد، وهيئة خريجي الجامعات.

الإنتاج الشعري:

– له قصائد منثورة في كتاب«الشاعر الأموي لمحمد علي عبد العال» ، وله في كتاب «عمر المختار قدوة الجهاد»، وأورد له كتيب «نادي القصيد» قصيدة واحدة. وشعره يدور حول رثاء النفس وتخليد ذكرى الأبطال من المجاهدين العرب وله شعر في المدح،معجم البابطين٤٦٤ .

(٣) عمر المختار قدوة الجهاد، ص١٥١،هو سيد عبد الرازق حسين جبر. ١٩٤٥ – ٢٠٠٦. تخرج في قسم المحاسبة بكلية التجارة جامعة عين شمس عام ١٩٦٧ .كان عضوًا في رابطة الأدب الحديث وسكرتير نادي القصيد، كما كان عضوًا في ندوة الأربعاء.الإنتاج الشعري:له قصائد مخطوطة متفرقة. كتب القصيدة العمودية، وتراوح بين الموضوعين الديني والوطني، كما ارتبطت بعض قصائده بالمناسبات الاجتماعية، وشعره الديني هو الغالب، معجم البابطين للشعراء العرب١/ ١٢٩٦٤

(٤) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص١٥٥

(٥) المرجع السابق، ص١٧٦

القرن د. إبراهيم صبري[١]، ذكرى عمر المختار د. جابر قميحة[٢]...

ويلاحظ من خلال هذه العنونة مقصد الشاعر منها، ونيته في التسهيل على القارئ للولوج إلى مضمون القصيدة دون أن يكون العنوان معيقًا لذلك أو مُصَادِرًا على القارئ، حتى لكأني بالقارئ قد وصل وكشف المضمون قبل قراءته أو سماعه، ويتضح من ذلك أيضا جلاء الفكرة ووضوح المضمون، مع احتفاظه بأنه العتبة الأولى والنواة الرئيسة للمضمون.

ثانيا: العنوان الموجَّه.

ويقصد به التوجه إلى الشخصية التراثية بالخطاب أو التحدث عنها في ذكراها أو في وقائع وأحداث تذكر به وتدفع إلى التحدث معه أوعنه.

ومن سمات هذا العنوان الاقتصاد الدلالي؛ لاشتماله في الغالب على كلمتين أو ثلاث، أو يزيد قليلًا، لكنه يشف عن النص كله ويشع دلالةً بقضايا تهم المتلقين، ويعبر تعبيرًا جمعيًا عن هموم ترزح تحتها الأمة، وتكتوي بنارها الجماهير، كما يتسم هذا اللون من العناوين بالحوارية، ومن ذلك قصيدة (أبا الأبطال) [٣] لعبد الغفار الدلاش، من عمر المختار إلى عمر بن الخطاب لمحمد رشاد يوسف[٤]، تحية إكبار إلى عمر المختار لوحيد الدهشان [٥]، في ذكرى البطل العربي المغوار لجمال عبده

(١) عمر المختار– في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده، ص ٩٩. . إبراهيم صبري محمد إبراهيم. ١٩٣٥-٢٠٠٨م حاصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٥٦ م، ودبلوم الشريعة _الإسلامية ١٩٨٠ م. مؤسس نادي القصيد في عام ١٩٧٩م، مع عدد من كبار الشعراء، وعضو بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر وبشعبة الآداب بالمجلس القومي للثقافة، أمين عام اتحاد الحقوقيين المصريين وعضو اتحاد الأدباء والكتاب. عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية. دواوينه الشعرية: برق وقمر، الغصن الثائر، الثلج والبركان، عودة العمر.

(٢) المرجع السابق ص ١١١.

(٣) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص٢٠٥

(٤) المرجع السابق، ص٢٣٧

(٥) المرجع السابق، ص١٩٩

صـــالح[١]، في ذكرى الشـــهيد عمر المختار لأحمد عبد الهادي [٢]، في ذكرى المجاهد الكبير لكمال خضـــر [٣]، ذكرى عمر المختار محمد وجدي شـــبانة[٤]، إلى روح عمر المختار لعزيز فهمي[٥]رســـالة إلى عمر المختار للورداني ناصف[٦].

وهـذه الأنمـاط من العنونـة للنص تعد إضـــافةً وإثراءً لقيمـة النص الأدبي المعني بـالحـديـث عن شخصية البطل ومخاطبتها أو وصفها.

---

(١) المرجع الســابق، ص١٩١، جمال عبده صــالح. شــاعر مصــري ١٩٣٧-٢٠٠٠م، تخرج في كلية الحقوق بجامعة الإســكندرية، كان عضــوًا في اتحاد الكتاب، وجمعة المؤلفين والملحنين، ورابطة الأدب الحديث، ونادي القصــيد، وجمعية العقاد الأدبية، وأصـــدقاء كمال الملاخ، وجمعية الخدمات الأدبية والفنية، له ديوانان مطبوعان: الدموع الخضر-قصائد حب وردية، وله ديوان مخطوط: فلسطين أنشودتي، ينظر:. معجم البابطين.

(٢) عمر المختار قدوة الجهاد، ص٧٩

(٣) عمر المختار قدوة الجهاد، ص١٦٨، كمال محمد سيد خضر(١٩٤٤ - ٢٠٠٦ م)

تخرج في الكلية الحربية. عين ضابطًا في الشؤون الإدارية بالقوات المسلحة المصرية.كان عضوًا في العديد من المنتديات الأدبية، مثل:«ملتقى الوعد الأدبي، و«نادي أدب المطرية» و«دار الأدباء» و«جامعة شعراء حلوان».

الإنتاج الشعري: له عدد كبير من القصائد المخطوطة، وبعضها نشر في الصحف وفي بعض الكتب، مثل: «الوعد الأدبي» وكتاب «عمر المختار» السنوي، وصحف مثل «الرأي» و «الجمهورية» و «السياسي المصري» و«صوت حلوان» .. وغيرها..معجم البابطين ٥٥٧٧.

(٤) عمر المختار قدوة الجهاد، ص١٢١

(٥) ديوان عزيز فهمي ، الملقب بشاعر الحرية والشباب (١٩٠٩-١٩٥٢م) ص٦١،٦٢ ط/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة ٢٠١٧م.

(٦) عمر المختار- في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده ص ١٤٩، الورداني ناصف (١٩٥٠- ٢٠١٠) حصل على البكالوريوس التربية الرياضية جامعة حلوان عام ١٩٧٧ وعمل بالصحافة فأعد الصفحة الأدبية بجريدة الطلبة بمؤسسة دار التعاون للطبع والنشـر ثم عمل محرراً بنفس الجريدة ثم رئيسـاً لقسـم الأدب بجريدة السـياسـي فمحرراً برلمانيًا ونائبًا لمدير التحرير كما ترأس تحرير عدة صحف ومجلات منها:جريدة مصر وجريدة النداء الدولية ومجلة الرياضة ومجلة كل الدنيا.حصـل الورداني ناصـف على المركز الأول في الشـعر والزجل من جامعة حلوان عام ١٩٧٧ وكرمته الدولة في عيد الفن ١٩٧٩ كما حصل على شهادات تقديرية وجوائز مالية من جهات متعددة ، أنضم إلى أعضاء اتحاد كتاب مصـر عام ١٩٨٠ هذا بالإضـافة إلى عضـويته في نقابة الصـحفيين وجمعية الأدباء ونادي القصـيد وجمعية العقاد الأدبية وجمعية الأدب والفكر،وفي عام ١٩٩٥ طبع ديوانه الأول (همسات الورد) المرجع: مدونة ديوان العرب.

ثالثا: الخبر والإنشاء.

تردد عدد من الشعراء في عنونة قصائدهم المعنية بالحديث عن المختار بين الخبر والإنشاء، ومن العناوين الخبرية عنوان قصيدة (للناس عندك حرمة) لمحمد رشاد محمود [١]، قصيدة (عمر سينزل.. أمنية طفل فلسطيني) د.عبد الغفار هلال [٢]، وقصيدة (بلادي أنجبت عمر) د. الحضيري [٣]،(إن الذكر مفعم بثناك) د.عبد الغفار الدلاش[٤]، وقصيدة (عمر المختار تحدى القهر) للشاعر الحبيب الجوهري[٥]،ومن العناوين الإنشائية، أبا الأبطال للدلاش[٦]، معلمَ الزمان لعبد الحميد فارس [٧]، هل

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص١٨٢

(٢) عمر المختار قدوة الجهاد، ص١٢٩، عبد الغفار حامد محمد هلال ١٩٣٦م-٢٠٢٠م حاصل على درجة الدكتوراه في أصول اللغة من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٧١ م. عين عميدا لكلية اللغة العربية بالقاهرة منذ أكتوبر١٩٩٩م. شارك في كثير من المؤتمرات العلمية والإسلامية واللغوية والتعريب والترجمة ممثلا للجامعات التى عمل بها. كان عضوا عاملا باتحاد كتاب مصر ورابطة الأدب الحديث بمصر. ورابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيسا لمجلس إدارة جمعية العقاد الأدبية بمصر. له كثير من البحوث المنشورة التي تتصل بالإسلام واللغة العربية وعلومها، له عدة دواوين شعرية فى الشعر الإسلامي والوطني والاجتماعي ومنها:- هذا الضياء - نهج البردة على هدى بردة كعب بن زهير- نهج البردة على هدى بردة الإمام البوصيرى ــ الطريق إلى الله تعالى أهازيج الود ــ العمر الثانى ــ بضعة منى - عبق واستلهام - رسائلى إليها.

(٣) عمر المختار قدوة الجهاد، ص٧٢.

(٤) صحيفة النور، العدد (٦٦٢) ٨/ ١٠/ ١٩٩٧م، وينظر: عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص ١١٠.

(٥) عمر المختار قدوة الجهاد، ص٨٢

(٦) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص٢٠٥

(٧) عمر المختار- في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده ص ١٥٥

الحرب إلا أن تطير الجماجم لأحمد محرم [١]،(إلى الحرب) للرصافي [٢].(لوعدت ياعمر) د. محمد محمود حسين[٣]،

ومن الواضح أن الشاعر لجأ إلى هذه العناوين للتعبير عن جوانب وجدانية داخلية، أو حيرة وقلق تؤرقه، فاتخذ منها وسيلة لجذب المتلقي، وإيقاظ شعوره ودفعه للتفكير فيما يلقى عليه، كما أنه تنويع وتجديد في المدخل إلى النص لاسيما في استعمال النداء (ولو محذوفَ الأداة) أو الاستفهام، ويتضح من ذلك أيضا جنوح الشاعر وميله نحو المباشرة والشفافية، وأن يكون العنوان آصرة قوية بين النص والعنوان، وأن يلتحم النص مع العنوان للتأثير في السامع؛ في ثقة من الشاعر في هذا اللون الشعري،

---

(١) ديوان أحمد محرم، ج ٢، ص ٣٣٩، ط/ الفتوح – مصر ١٩١٣م. أحمد محرم بن حسن عبد الله. (١٨٧٧ – ١٩٤٥ م) تعلّم في الكتّاب القراءة والكتابة وحفظ قدراً من القرآن الكريم، ثم عهد به والده إلى أحد علماء الأزهر فتلقى على يديه بعض العلوم العربية والإسلامية. أخفق في دراسته فقرر أن يعلم نفسه بنفسه بالاطلاع على مكتبة والده العامرة وقد كان.

عاش متحرراً من قيد الوظيفة، مستقلاً عن أي حزب سياسي، وإن لم يمتنع عن الكتابة لبعض الصحف، وبخاصة صحيفة الحزب الوطني الذي كان يميل إليه، كما أشرف على مكتبة بلدية دمنهور.

الإنتاج الشعري:

– صدر له «ديوان محرم»: وأرجوزة محرم، أو: قول الراوي في حادثة المنشاوي – وديوان مجد الإسلام: (أو: الإلياذة الإسلامية)

الأعمال الأخرى:

– له كتاب «أحمد زكي أبو شادي، شعره في ديوان الشعلة» ، و للشاعر مقالات كثيرة، كان يمد بها صحافة عصره، كان صاحب عناية خاصة بتراث الإسلام ومجده ،وكما يعد محرم طليعة في محور الشعر الإسلامي فإنه ركن في هيكل الشعر الوطني، إذ وقف عليه الكثير من قصائده.

نال الشاعر شهادة الامتياز بين شعراء النيل، عام ١٩١٠، وحصل على خمس عشرة جائزة في مسابقات شعرية ونثرية مختلفة.المرجع: مشاهير شعراء العصر – أحمد عبيد: ص١١٤ وما بعدها، ط/ المكتبة العربية – دمشق ١٩٢٢.

(٢) ديوان معروف الرصافي، ص٤٤٥، ط/ دار العودة – بيروت ١٩٧٢م.

(٣) عمر المختار– في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده ص ١٤٢

ويقين بأهمية العنوان في بناء النص ومشـاركته في توضـيح مضـمونه وإيصـال فكرته لأنه أول ما يلاقي المتلقي من النص.

المطلب الثاني: المطلع.

يعد مطلع القصـيدة من عتباتها الأسـاسـية ومفاتحها التي يدخل به المتلقي إلى فضـاء النص، وهو قبل ذلك فاتحة الإلهام الشـعري، ومتى تمكن منه الشـاعر أقدم على موضـوعه في سـهوله، ولذا حظي المطلع بأهميةٍ بالغةٍ عند النقاد قديمًا وحديثًا، وطالبوا الشـعراء ببذل الجهد في إجادته وإتقانه [١]، لأنه أول ما يقرع الأسماع، وينفذ إلى الأفهام، بل يستدل به على ما عند الشاعر، ومن ثَمَّ يقبل المتلقي على النص أو يبتعد.

هذا، وقد عُنِي شعراؤنا – ممن اهتموا في شعرهم بشخصية المختار – بمطلع قصائدهم وأحسنوا اسـتهلالها، في فهم وإدراك لقيمة المطلع، وعليه جاء المطلع عندهم دالًا على ما حوته القصـيدة، وما بنيت عليه، يوحي بالمضـمون ويدل عليه في وضـوح يعكس مهارة الشـاعر في هذا اللون الشـعري، وقد سلكوا في ذلك مسالك متعددة من أبرزها:

أولا: المطلع المبدوء بالنداء :

يشيع هذا النمط من المطالع في كثير من قصائد الشعراء الذين اتخذوا من المختار موضوعًا لها، وهو مطلع يتناسب مع السياق الاستدعائي أو التصويري للشخصية، لأن الوظيفة الأولى للنداء هي" التعبير عن جوانب وجدانية في النفس، ويلجأ إليه الشاعر؛ لأنه يجتذب إليه السامع ويثير انتباهه، ويشركه في الموضوع، ويوقظ شعوره، ويلفت ذهنه، ويحرك عوامل الشوق في نفسه، ويدفعه في ذلك إلى التفكير فيما يسمع أو يقرأ بما له من تأثير يحقق رغبته[٢]" أضف إلى ذلك زيادة حماس المتلقي إلى سبر أغوار

---

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـــ)، تحقيق د. صـلاح الدين الهواري ١/ ٣٥٥،ط / دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشـر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.، أسـس النقد الأدبي عند العرب، د.أحمد أحمد بدوي، ص ٢٩٧، ط/ نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٩٦م

(٢) النداء في اللغة والقرآن د. أحمد محمد فارس، ص ١٦٧، ط/ دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

النص، وهو في الوقت نفسه وسيلة قوية للاتصال بالشخصية المتحدث عنها، وتوظيف أحداث حياته، بل مشاركة الواقع الحي للشاعر، ومن ذلك مطلع قصيدة (ثائر الصحراء) لنوال مهنى[١]:

يا ثائرًا هتفت به الصحراء رمزٌ مهيبٌ في الذَّرى ولواء

فهذا المطلع يرتبط ارتباطا وثيقا بصفة البطل المختار وبعنوان القصيدة، كما يحمل بُعدًا توظيفيًا في إثراء القصيدة وحشد صورة البطل في الذهن، أما الشاعر د. الحضيري فينادي البطل على أنه ممهد الثورات وغارس الكرامة في الأجيال واصفًا إياه بالبطل الغضوب، وذلك في مطلع قصيدته (الفارس المغوار)،[٢]:

أيا مختارُ يا بطلًا غضوبًا ويا من علم الشعب الحروبا
ويا من داس طغيان النصارى فكان الشهم رفض العيوبا

وقوله في مطلع قصيدته (السلام الشامخ العادل) [٣]:

عمَّ الظلامُ وغاب الفجر ياعمرُ واستأسد الحمل والطاووس والهررُ

كما نجد بعضهم يبدأ قصائده بنداء المختار دون ذكرٍ لحرف النداء، في قصد منه لإظهار مدى قرب المنادى منه، وإن كان قربًا معنويًا، متخطيًا حواجز الزمان والمكان، مستفيدًا من معطيات اللغة في القدرة عن التعبير عن ذلك من خلال حذف أداة النداء، ومن ذلك مطلع قصيدة (عمر المختار) لمحمد رائف المعري [٤]:

عمرُ المختارُ...هل تُرى إن بكيْنا ونظمْنا الدموع عقدًا فريدًا

---

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء د. محمد حامد الحضيري، ص ١٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٣) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ٢٤٠.

(٤) السابق، ص ١٦٨. محمد رائف فهمي المعري. ولد في مدينة حلب (شمالي سورية) ١٩٢٢- وتوفي في الجيزة (مصر).٢٠٠٦ عمل ضابطًا في الجيش السوري، واشترك في حرب (١٩٤٨)، وتدرج حتى رتبة عميد.نفي إلى القاهرة، عقب انفصال دولة الوحدة، واشترك مع القوات المصرية في حرب (١٩٦٧م، كان عضو رابطة الأدب الحديث، وجماعة شعراء العروبة، والجمعية المصرية لرعاية المواهب، ونادي القصيد، وندوة شعراء الإسلام في مصر. - له ديوان بعنوان: الوحي ونبع المحبة ومن كتبه: مع فكر هؤلاء.ينظر: معجم البابطين ٢٠٢٠م.

وقصيدة (شهيد القرن) لإبراهيم صبري [١]:

من لي بشعرٍ أيها المختار يسمو لقدرك أيها المغوار

وهناك نماذج كثيرة من استفتاح الشعراء بالنداء كقصيدة ليث اسمه عمر لفاطمة السيد، وقصيدتي (شهم جسور)و(العزم فيك شعار) لنجاة شاور، وقصيدة (معلم الزمان) لعبد الحميد فارس، وقصيدة (أبوالثورات)لإسماعيل بخيت، وقصيدة(أنشودة الأحرار) لسيد جبر، وقصيدة (سبعون عامًا ياعمر) لزكي خطاب؛ ليتضح لدينا أن الشاعر في هذا المنحى الشعري استهل قصائده بجماليات إشارية تخدم تصوره وتصويره لشخصية البطل مستفيدًا من معطيات اللغة، وإحساسه بالعلاقة القائمة بينه وبين المتحدث عنه.

ثانيا: المطلع المفتتح بالتحية أو الدعاء:-

استفتاح القصائد بالتحية أو الدعاء عادة شعرية قديمة، وقد جرى شعراؤنا المحدثون عليها، فابتدأ بعضهم قصائده بالتحية للمختار أو الدعاء، فوحيد الدهشان في قصيدته (قلادة الشعر: تحية إلى الشهيد عمر المختار) يبدأها بالدعاء للبطل ويرجو له أعلى الدرجات، فيقول [٢]:

الشعر باسمك يعشق التغريدا طُوبَى لكم لمَّا مضيت شهيدا

ومن ذلك مطلع قصيدته (تحية إكبار لعمر المختار) [٣]:

متوجًا بالسنا والطهر ترتحل من نور وجهك فاض الصدق والأمل

تمضي إلي الله في عين العِدا رجلا لا تعرف الوهن، طوبى أيها الرجل

ومنه قول الشاعر أحمد عبد الهادي في قصيدته (في ذكرى الشهيد) [٤]:

نم قرير العين ياروح النضال ياعظيم البأس في ساح القتال

---

(١) عمر المختار في الذكرى الثامنة والستين، ص ٩٩..

(٢) عمر المختار قدوة الجهاد، إعداد د. محمد حامد الحضيري ص ٦٠. ط/ غزلان – القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(٣) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٩٨.

(٤) عمر المختار– في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده، ص ١٥١.

ومن ذلك أيضا مطلع قصيدة (سلام الله يا عمرُ) لأحمد عبد الخالق، ويستهلها بالسلام والتحية للمختار فيقول [١]:

سلام الله يا عمرُ سلامًا دونه القمرُ

وذكر المخاطب باسمه سواء في التحية أو الدعاء يدل على إحساس الشاعر بقربه من الشخصية، وسماعه نجواه.

ثالثا: المطلع الخطابي

استهل كثير من الشعراء قصائده بأسلوب خطابي حواري مع الشخصية في إيحاء باستحضاره وتوجيه الخطاب له، وكأنه قائم بين يدي الشاعر يحاوره ويوجه الخطاب إليه، ومن ذلك استهلال أمير الشعراء شوقي بقوله:

ركزوا رفاتك في الرمال لواءَ يستنهض الوادي صباح مساءَ

ويقول خليل مطران[٢]:

أبيتَ والسيفُ يعلوالرأس تسليماً وجُدتَ بالروح جودَ الحر إن ضيما

ومنه أيضا قصيدة د. عبد الغفار الدلاش البطل الشهيد[٣]:

يمضي الزمان وما تزال شهابًا ملء القلوب مهابةً وصوابا

وقصيدة(معلم الأجيال الاستشهاد)لمحمد سيد الوزير [٤]:

ذكراك يبعثُ مسكُها الأبدانا وتمُدُ الاستشهاد في قتلانا

---

(١) عمر المختار قدوة الجهاد، إعداد ، ص١٣٨ .

(٢) خليل مطران "شاعر القطرين" (١٨٧٢ - ١٩٤٩) شاعر لبناني شهير عاش معظم حياته في مصر. عرف بغوصه في المعاني وجمعه بين الثقافة العربية والأجنبية، كما كان من كبار الكتاب عمل بالتاريخ والترجمة.والقصيدة في ديوانه، تحقيق د/ أحمد درويش، ١/ ١٢١٤،ط/ مؤسسة البابطين –الكويت٢٠١٠م.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٨ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢١٢ .

وهكذا يتضـح لنا تباين مطالع القصـائد التي تحدثت عن عمر المختار أو تحدثت إليه؛ بين بدء بالنداء أوالتحية أوالدعاء أوالمخاطبة والحوار أوغيرها من الأسـاليب الخبرية أوالاسـتفهامية؛ ليقر في ذهن القارىء أن شـعراءنا إزاء شـخصـية المختار طوعوا مقدمات قصـائدهم لتعلن عن المضـمون وتجذب ذهن المتلقي، ومن جميل المطالع التي نختم بها هذا المطلب مطلع قصـيدة د. عبد الغفار هلال (عمرسينزل – أمنية طفل فلسطيني) [١]تلك الأمنية التي تمناها بقوله:

عـمـر سـيـنـزل مـن سـمـا أجـدادي يـحـمـي الـحِـمـي مـن ذلـك الـجـلاد

ومطلع قصيدة (للناس عندك حرمة) لمحمد رشاد محمود [٢]:

أغـرى بـنـهـجـك في الـنَّـدى الـتـذكـارُ واسـتـوحشـتْ سُـدَفَ الظلامِ النـارُ

ومن ذلك أيضا قصيدة الشاعر الحبيب الجوهري (عمر تحدى القهر [٣]:

سـلـوا عـنِّـي الـمـدائـن والـديـارا سـلـوا عـنّـي الـفـيـافي والـقـفـارا

سـلـوا عـنِّـي نـجـوم الـلـيـل تـتـرا سـلـوا عني الضـحى وسـلـوا النهـارا

فالشاعر بنى قصيدته متحدثا بلسان المختار فخرا وتقديرا لقدر الرجل.

وهكذا تتوالى جماليات القصـيدة العربية المعنية بشـخص البطل عمر المختار، وتتعاقب تتبعاتنا لتلك الجماليات في هذا المنحى الشعري المميز من شعرنا المعاصر.

المطلب الثالث: المضمون.

أَلَمَّ شـعراؤنا بملامح شـخصـية المختاروأحاطوا بسـيرته؛ مما يبرهن على حضـورها الدائم في ذاكرتهم، وغناها الدلالي عند الشـاعر المعاصـر، ولم يأت حديثهم عن المختار ومضـة إيحاء أو استدعاء موقف، بل كان شعلةً لا يخبو أوارها، مشعة بهالاتها على القصيدة فمنحتها الدفء، مخلفةً أثرها في النفس وحرارتها في القلوب؛ مما أكسبها ثراءً توظيفيًا في القصيدة بالولوج إلى بطولاتها، فهذا

(١) عمر المختار قدوة المجاهدين د. محمد حامد الحضيري، ص ١٢٩.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص ١٨٢.

(٣) عمر المختار قدوة المجاهدين، ص ٨٢.

أمير الشعراء يتحدث عن المختار في قصيدته الشهيرة، فيقول:

إِنَّ الـبُـطـولَـةَ أَن تَـمـوتَ مِـن الـظَـمـا ... لَـيـسَ الـبُـطـولَـةُ أَن تَـعُـبَّ الـمـاءَ
إِفـريـقـيـا مَـهـدُ الأُســـودِ وَلَـحـدُهـا ... ضَـــجَّـت عَـلَـيـكَ أَراجِـلاً وَنِســـاءَ
وَالـمُـســلِـمونَ عَـلى اخـتِـلافِ دِيـارِهِـم ... لا يَـمـلُـكـونَ مَـعَ الـمُـصـابِ عَـزاءَ
وَالـجـاهِـلِـيَّـةُ مِـن وَراءِ قُـبـورِهِـم ... يَـبـكـونَ زيـدَ الـخَـيـلِ وَالـفَـلـحـاءَ
في ذِمَّـةِ الـلَـهِ الـكَـريـمِ وَحِـفـظِـهِ ... جَسَـــدٌ بِـبُـرقَـةَ وُسِّـــدَ الصَـحـراءَ
لَـم تُـبـقِ مِـنـهُ رَحـى الـوَقـائِـعِ أَعـظُـمـًا ... تَـبـلـى وَلَـم تُـبـقِ الـرِمـاحُ دِمـاءَ
كَـرُفـاتِ نَســرٍ أَو بَـقِـيَّـةِ ضَـيـغَـمٍ ... بـاتـا وَراءَ الســافِـيـاتِ هَـبـاءَ
بَـطَـلُ الـبَـداوَةِ لَـم يَـكُـن يَـغـزو عَـلـى ... تَـنَـكٍ وَلَـم يَـكُ يَـركَـبُ الأَجـواءَ
لَـكِـن أَخـو خَـيـلٍ حَـمـى صَـهَـواتِـهـا ... وَأَدارَ مِـن أَعـرافِـهـا الـهَـيـجـاءَ
لَـبّـى قَضـاءَ الأَرضِ أَمـس بِـمُـهـجَـةٍ ... لَـم تَـخـشَ إِلّا لِـلـسَـمـاءِ قَضـاءَ
وافـاهُ مَـرفـوعَ الـجَـبـيـنِ كَـأَنَّـهُ ... سُـقـراطُ جَـرَّ إِلـى الـقُـضـاةِ رِداءَ
شَـيـخٌ تَـمـالَـكَ سِـنَّـهُ لَـم يَـنـفَـجِـر ... كَـالـطِـفـلِ مِـن خَـوفِ الـعِـقـابِ بُـكـاءَ
وَأَخـو أُمـورٍ عـاشَ في سَـرّائِـهـا ... فَـتَـغَـيَّـرَت فَـتَـوَقَّـعَ الضَـرّاءَ
الأُســدُ تَـزأَرُ في الـحَـديـدِ وَلَـن تَـرى ... في السِـجنِ ضِـرغـامـًا بَكى اِسـتِخذاءَ
وَأَتـى الأَســيـرُ يَـجُـرُّ ثِـقـلَ حَـديـدِهِ ... أَسَــدٌ يُـجَـرِّرُ حَـيَّـةً رَقـطـاءَ
عَضَّـــت بِســاقَـيـهِ الـقُـيـودُ فَـلَـم يَـنُـؤ ... وَمَشَـــت بِـهَـيـكَـلِـهِ السُـنـونَ فَـنـاءَ
تِسـعـونَ لَـو رَكِـبَـت مَـنـاكِـبَ شـاهِـقٍ ... لَـتَـرَجَّـلَـت هَضَـبـاتُـهُ إِعـيـاءَ
خَـفِـيَـت عَـنِ الـقـاضـي وَفـاتَ نَـصـيـبُـهـا ... مِـن رِفـقِ جُـنـدٍ قـادَةً نُـبَـلاءَ
وَالسُـنُّ تَـعـصِـفُ كُـلَّ قَـلـبٍ مُـهَـذَّبٍ ... عَـرَفَ الـجُـدودَ وَأَدرَكَ الآبـاءَ
دَفَـعـوا إِلـى الـجَـلّادِ أَغـلَـبَ مـاجِـداً ... يَـأسـو الـجِـراحَ وَيُـعَـتِـقُ الأُسَـراءَ
وَيُشـاطِـرُ الأَقـرانَ ذُخـرَ سِـلاحِـهِ ... وَيَصُـفُّ حَـولَ خِـوانِـهِ الأَعـداءَ
وَتَـخَـيَّـروا الـحَـبـلَ الـمَـهـيـنَ مَـنِـيَّـةً ... لِـلَّـيـثِ يَـلـفِـظُ حَـولَـهُ الـحَـوبـاءَ

حَرَموا المَماتَ عَلى الصَــوارِمِ وَالقَنا مَـن كـانَ يُـعـطـي الـطَـعـنَـةَ الـنَـجـلاءَ

فشاعرنا في هذه الأبيات يعدد صفات المختار وحال أعدائه معه، وحاله في الأسر وصبره وصموده ورفعة شأنه، في استعراض وتفصيل يشير إلى سيطرة الشخصية على فكره ووقرها في خلده؛ وقد أتاح ذلك لشخصية المختار أن تشع كل إيحاءاتها الفنية والوجدانية، استنادًا لما استعرضه الشاعر من ملامح ومواقف من حياة البطل كانت لها أبعادها على وجدان المتلقي ووعيه، وقد كان ذلك الاستعراض المتيم بالمختار ديدن غالب من تناولوا الشخصية بالوصف والرصد، أوالاستدعاء والاستلهام، لأنه في سياق له مساس بالقلب، وشغف بالوجدان، ألا وهو سياق البطولة المفقودة، والذود عن الأوطان المغلوبة المنهوبة، ويسير على هذا الدرب د. الحضيري في غالب قصائده عن المختار كقصيدته (بطل الجهاد)، وهو يعارض بها قصيدة شوقي، وفيها يقول[1]:

عارضتُ شوقي في الرثاء عصماء خلَّدتْ منارًا للجهاد أضاء

ذيلتُها معنىً لمضمونٍ سما قيمًا، أضفت لما حوى إثراء

يُثري جوانبَ القصيدة ما وفت بعض المواقف كي تتم بناء

هدفت معارضتي تكمل شامخًا أعلاه شوقي جاوز الجوزاء

لست المعارضَ دُرةً شكلًا ول كن كى أشعَ على الجمان سناء

يهدي إلى استلهام فكرِنابضٍ بمآثرَخلعت عليه رداء

بلجتْ سماتٌ للبطولة والفدا رفعتْ مشاعلَ في الورى ولواء

وسمت إلى قمم العُلا تشدو بمخ تارِ الجهاد زعامةً وولاء

لتراثه العربي في ثوب الهدى أعلاهما كى يجلو الإدجاء

وجراحه ما زال فيضُ نزيفِها يروي الثرى ويحرضُ الخلصاء

للثورة العظمى وتحرير الحِمى من أجل أن يَبْنُوا غدًا وضاء

ويقاوموا جيشًا دخيلًا أُقْعُوا نًا سمَّم الساحاتِ والأجواءَ

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ١٤٤.

ويُشـــيِّدوا كـبـرى تَـلُـم شـــتـاتَـهـم ... لـتـعـيـد مـجـدًا خـالـدًا وإبـاءَ
يـا مـن عشـــقـت الـخـيـلَ والـهـيـجـاءَ ... ورفـعـتَ عـضْـــبًـا تـردعُ الأعـداء
رَعَـفـتْ ســيـوفُـك من رقـابـهـمـو دمًـا ... وإذا رمـيـتَ رمـى الإلـه بَـغَـاء
وجـعـلـت مـن آي الـجـهـادِ تـيـمـنًـا ... مســتـمســكـا بـالـحـق جـلَّ عـلاء
والصـــبـرُ والإقـدامُ فـيـك شـــجـاعـةٌ ... وســـلاحُـك الإيـمـانُ كـان وِقـاء
أعـلـنـتَ يـا مـخـتـارُ لا نـومًـا حـلا ... إن لـم تـحـرر طـاعِـنًـا ونسـاء
لا جُـرحَ يُشْـفَـى والـحـريـمُ مـهـانـةٌ ... والأرض داســتـهـا الـعُـداة عـداء
حـتـى تـدُكَّ فُـلـولَـهـم وذيـولَـهـم ... وتَصـــدَّ جـيـشًـا أعـلـن الـفـحشـاء
الله أكـبـر يـوم صُـلـتَ مُـهـاجـمًـا ... نـزلـت عـلـى جـنـد الـطـغـاةِ وبـاء
وحـذوت حـمـزةَ والـزبـيـرَ وطـلـحـةَ ... نـهـجـا لـتـحـيـي بـدرنـا الـغـرَّاء
وحُـنـيـنُ كـانـت مشـعـلا تـهـدي أُسُـو ... دَك يـثـبُـتـوا في وضـعـهـم أمـنـاء
وصـمـودنـا في يـوم خـيـبـر إذ بـدا ... نـورًا يُشِـع لصـيـدك الأضـواء
فـقـت الـعـنـاتـرة الأسـود شـراسـةً ... وتـخـذت طـارقَ قـدوةً حسـنـاء
دافـعـت عـن لـيـبـيـا وعـن إسـلامـنـا ... وعـن الـعـروبـة خضـتـهـا شـعـواء
فضَّـلـت مـوتًـا كـي تـخـلّـد مـأثـرًا ... والـمـجـدُ يـبـقـى عـزةً قـعسـاء
هـل يسـتـوي مـن رام لـهـوًا في الـحـيـا ... ةِ وأنـت رمـت الـجـنـة الـخضـراء؟
ذكـرى تـخـلـد ثـورة شـمَّـاء ... لـتـنـيـر درب الصـامـديـن ضـيـاء
هـي وثـبـة الـمـخـتـار في هـجـمـاتـهـا ... مـن قـاتـل الـفـاشـيـة الـرعـنـاء
بطـل الجـهـاد حمى الـذمـارَ مـنـاضـلًا ... مـذ نـادت الـهـيـجـاء أجـاب نـداء
كـان الـكـريـم مـدافـعًـا لا عـاديـا ... وعِـداه إن أُسِـروا فـلا بـغضـاء
وصـفـاتـه حُسْـنُ الـخـلاق مـطـبِّـقـا ... شـرع الإلـه شـريـعـةً سـمـحـاء
فـذُّر كـحـيـدر في الـوغـى وكـخـالـدٍ ... نـجـلِ الـولـيـدِ فـلا يـؤوب وراء
لـم يـحـن رأسًـا أو يـطـأطِـئْ هـامـةً ... أو يـتـرك الـغـازي يـعـيـث بـغـاء

وهكذا تمضي القصيدة فيما يزهو على المائة بيتٍ في بناءٍ درامي تستعرض صفات وأحداث ووقائع المختار، تنزل حيث نزل، وتبيت حيث يبيت، تستنهض به الهمم وتعلي بسيرته العزائم؛ لتضع بين أيدينا صورة لما استطاعه شعراؤنا من استحضار والتفاف حول الشخصية؛ مما جعل ذكر الشخصية البطولية متمثلة في عمر المختار يتوهج ويتجدد، ويدلل على سعة ثقافة الشاعر ووعيه بواقعه المعاصر، وأن يعمق دلالة الشخصية لدى المتلقي.

المطلب الرابع : الختام.

تبقى الخاتمة – بوصفها الإيذان بانتهاء القصيدة – جزءًا بالغَ الأهمية في بناء القصيدة وركيزة من ركائزها، وقد عُني بذلك النقاد قديمًا وحديثًا [(١)]، يقول ابن رشيق:"وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخرما يتبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون مُحْكمًا لا يمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإن كان أول الشعر مفتاحًا له وجب أن يكون الآخر قفلًا عليه [(٢)]" ومن ثَمَّ صارت الخاتمة ذاتَ دلالة على جودة الشعر ورسوخه في النفس وعلوقه في الوجدان، وذات أهمية على مستويي الإبداع والتلقي على السواء؛ لأنها آخر ما يعهده السمع من كلام الشاعر، والأعمال بالخواتيم.

وقد طالب النقادُ الشاعرَ أن يجمع كل قواه الفنية والإبداعية في ختام قصيدته حتى صار الختام هو بيت القصيد، يقول أبو هلال العسكري في ذلك:" ينبغي أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها[(٣)]".

كما تنبه النقاد –قديمًا وحديثًا– إلى أنه ينبغي على الشاعر أن يُفرغَ كلَّ ما في نفسه في ختام قصيدته، وألا يدخر وسعًا في ألا يترك الأذهان معلقة والأفئدة مؤملة بأن بعد الختام ختام أو أن القصيدة لم تنته

(١) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب د. أحمد أحمد بدوي، ص ٢٧٦ وما بعدها.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١: ٢٣٩.ط/ مطبعة حجازي بالقاهرة. ط١، ١٩٤٣.

(٣) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٤٥٥.

بعد، وأن أحسن أنواع الانتهاء ما أوحى إلى السامع بانتهاء الكلام[١]

ولا شك أن الاختتام سمة أسلوبية تختلف من شاعر إلى آخر، وحتى من قصيدة إلى أخرى ربما عند الشاعر الواحد؛ لذا فإن تحديد الخاتمة في أية قصيدة هو تخمين من القاريء يعتمد على قراءة دقيقة وعميقة وذائقة نقدية عالية لتحسس بدايات أنفاس الختام في القصيدة، ويتم ذلك بملاحظة الجو العام للقصيدة، ومتابعة سيرالرؤية الشعرية فيها. وعند ذلك يقتنع المتلقي بأنه قد وصل إلى ذروة ما تريد القصيدة إيصاله حتى إذا انتهى من قراءة القصيدة بالكامل تحقق لديه ما يوصف بالاكتفاء القرائي الذي يشعره بأنه قد قرأ عملًا متكاملًا طرح بين يديه رسالة واصلة اختتمت نفسها ختامًا ناجحًا.

وبمطالعة القصائد التي تحت أيدينا عن المختار البطل نجد أن الختام وإن جاء متنوعا من قصيدة لأخرى ومن شاعر لآخر، إلا أنه في مضمونه متقاربٌ، وفي هدفه متشابهٌ إلى حد كبير، وجاءت أنماط الختام كالتالي:

أولا: الختام المتعلق بعنوان القصيدة

وهو نمط من أنماط ختم القصيدة يختم الشاعر بما بدأ به فيكون أول ما قرع الآذان هو آخر ما يبقى صداه فيها، وفي هذا مدعاة لترابط النص والابتعاد عن التفكك، ومن ذلك ما ختم به عمر أبو غريبة قصيدته (عمر المختار سلام عليك):

فانعمْ برَوحٍ وريحانٍ ومغفرةٍ تترى.عليك سلامُ اللهِ يا عمرُ

ثانيا: الختام المرتبط بالمطلع:-

ربط بعض الشعراء إزاء حديثهم عن المختار مطلع القصيدة بختامها بالتكرار اللفظي أوالمضموني؛ ليتحقق للقصيدة التماسك والترابط المنشود، وينأى بها عن التفكك، ويمنع تقطع أوصالها، ومن ذلك قصيدة (المختار في سجل الخالدين) لأحمد عبد الخالق، فيقول في المطلع [٢]:

سلام الله يا عمر سلامًا دونه القمر

(١) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب د. أحمد أحمد بدوي، ص ٣١٢، ٣١٤.

(٢) عمر المختار قدوة المجاهدين، ص ١٣٨.

وفي نهاية القصيدة يعود ليكرر المطلع؛ ليجعل من القصيدة سلسلةً متصلة أو حلقةً لا تدري أين طرفاها، ومن ذلك أيضا قصيدة (بعد العبور) لمحمد رشاد يوسف، وفي مطلعها يقول[١] :

أدرك خُطا الركب تاه الركب ياعمر وتاه من شرعوا فيه ومن أمروا

ثم يختم قصيدته بشطر واحد هو نفسه الشطر الأول من المطلع: أدرك خُطا الركب تاه الركب ياعمر، ولعل في ذلك إشارة رمزية من الشاعر ترمز لقلقه واضطرابه في ختم القصيدة بشطر واحد كاضطراب الركب، وعدم اهتدائه إلى طريق تخرجه من التيه والضياع، ومن ذلك أيضا قصيدة (معلم الزمان) لعبد الحميد فارس، والتي ابتدأها بقوله[٢]:

يا شيخَنا إنَّ الزمان يعلمُ ولأنت أستاذٌ له ومعلمُ

ويظل الشاعر على هذا النمط الخطابي الذي يستنهض به همة الرمز البطولي؛ ليبعث بنهضته روح الكفاح والتضحية في أحفاده، وعندما أحس بالتعب وبضعف الاستجابة عاد ليبرأ ذمته بإعادة ما بدأ به فقال:

يا شيخُ قم إنَّ الزمان يعلمُ ولأنت أستاذٌ له ومعلمُ

ومن الظواهر المرصودة في هذا الختام المرتبط بالمطلع أن الشاعر بدأ كليهما بالنداء، وحقيقة الأمر في النداء هنا أنه لم يكن القصد منه طلب إقبال الحي العاقل، بل كان القصد منه تطويع الشخصية الرمز (المختار) لتشاركه فيما تمور به نفسه من انفعالات وآلام، وما فاضت به روحه من مرارة الضعف والعجز والغلبة والخضوع الذي لازم الأمة بعد المختار.

ومن بديع الختام في هذا النمط ما ختم به شاعر الإسلام أحمد محرم قصيدته (هل الحرب إلا أن تطير الجماجم) والتي بدأها بقوله:

هل الحرب إلا أن تطير الجماجم أم البأس إلا ما تجيء الضراغمُ؟

ثم عاد – بعد رحلة مع فرسان العروبة وحماة عرين الإسلام، واستعراض عزمهم في رد العدوان – لا

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص ٢٣٧.

(٢) عمر المختار– في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري ص ١٥٥

سيما من الطليان على يد المختار وإخوانه – ليرد العجز على الصدر ويحكم التماسك بين المطلع والختام، وكأنه يلخص قصيدته بقوله:

سلام عليه يوم يسمو إلى الوغى يهز لواء النصر والنصرُ باسمُ
ويوم يعيد السيف في الغمد ما به فلولٌ، ولكن أعوزته الجماجمُ

وهو في ذلك يستحضر معنى القصيدة برمتها في ذهن السامع حين عمد إلى ذلك الربط وإلى تلخيص قصيدته في خاتمته.

ثالثا: النداء

من دروب التفنن في الختام وتطويعه لإثارة السامع وتفريغ شحنات النفس وانفعالاتها استخدام النداء في آخر القصيدة، فهذا الأسلوب وإن كان أيسر الأساليب الإنشائية وأسهلها، إلا أنه تصاغ عليه كثير من الأحاسيس، أو تهمس فيه الأنات، وتفرغ فيه العديد من الصرخات التي يود الشاعر إطلاقها؛ لإيقاظ الضمير من غفوته وإحياء الشمائل ومكارم الأخلاق التي اندثرت أو كادت أن تندثر، ولعله السر في ختام كثير من القصائد به –خاصة في هذا اللون من الشعر– كما يكثر لذلك أيضا في المطلع، وقد استخدم الشعراء النداء بمقاطع صوتية مختلفة، ترسل رسالاتٍ تحمل في طياتها تعبيراتٍ خفية تحفز وتستثيرمرة، وتطمئن وتكفكف مرة، ومن ذلك قول حافظ في قصيدته (حرب طرابلس) [١]:

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، ص ٣٨٠، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ . هو: محمد حافظ إبراهيم فهمي:١٨٧٤ – ١٩٣٢ م)نشأ يتيماً في رعاية خاله بمدينة طنطا، فالتحق بالجامع الأحمدي (الأزهري) بها، ثم دخل المدرسة الحربية بالقاهرة (١٨٨٨) وتخرج فيها ضابطًا بالجيش سافر بعدها مع فرقته للخدمة العسكرية في السودان، وهناك تآلف مع السودانيين، فأعاده الإنجليز إلى مصر، مع إنهاء خدمته، فعمل بالمحاماة، ثم ملاحظ بوليس بالداخلية، وفصل منها أيضًا، كما عمل بالصحافة، وفي عام ١٩١١ عين رئيسًا للقسم الأدبي بالكتبخانة المصرية (دار الكتب)، وظل في هذه الوظيفة حتى رحيله.حصل على رتبة البكوية (بك) تقديراً لشعره.

كان أحد ظرفاء عصره، وندماء زمانه، وله طرائف لا تزال تروى، ولكن شعره لم يحمل عنه هذه الصفة، بل لعله استمدّ خصوصيته الفنية من مراثيه أكثر مما استمدها من غرض شعري آخر. وكما كان مقربًا من الإمام محمد عبده.

فَـاِطـمَـئِـنّـي أُمَـمَ الشَـــرقِ وَلا تَـقـنَـطـي الـيَـومَ فَـإِنَّ الـجَـدَّ قـامـا
إِنَّ في أَضـــلاعِـــنـــا آفـــئِـــدَةً تَـعشَـــقُ الـمَـجـدَ وَتَـأبى أَن تُضـــامـا

ومنه أيضا قول د. الحضيري في ختام قصيدته السلام الشامخ [١]:

إِنَّـا على النَّهج يـا شـيخَ الفـدا صُـبُرُ الله أكـبـر يـا مـخـتـارُ يـاعـمـرُ

وبهذه الرسائل – من خلال النداء – يرسل الشاعر إشارات للقاصي والداني للصديق والعدو أن رسالة المختار باقيةٌ، وأن جنوده من بعده لم يلقوا السلاح أو يرفعوا راية الاستسلام، ومن ذلك ختام قصيدة د. الحضيري (بطل الجهاد)[٢]:

يـافـارس الـعـربـان قـد ألـهـمـتـنـا فـنَّ الـقـتـال عـزيـمـة وفـداءَ
نـبَّـهـتـنـا أنَّ الـحـيـاة كـرامـةٌ أو أن نـلاقـي ربـنـا شـــرفـاءَ

وفي هذه الخواتيم ما يوحي بتعايش الشعراء مع بطلهم وامتلاءِ نفوسهم بأقواله وأعماله؛ ليظل رمزًا حيًّا في قلوبهم، باقيًا في أشعارهم، خالدًا في أخَلادهم، يعبر عن ذلك رشاد محمد يوسف في قصيدته (عمر المختار طليعة الأحرار)[٣]:

ذِكـراك يـا شـيـخَ الـجـهـاد مـنـارةٌ لـلـصـحـوة الـكـبـرى هـي الإنـذارُ

الإنتاج الشعري: له ديوان حافظ إبراهيم – في جزأين – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٧،
الأعمال الأخرى: – له كتاب «ليالي سطيح» – من النثر الفني، في قالب المقامات ، وترجم عن الفرنسية رواية «البؤساء» للشاعر الرومانسي فيكتور هيجو ، كما ترجم (موجزاً في علم الاقتصاد) بالاشتراك، وكتيبًا في التربية.ويمثل شعره زاداً لطالب الأساليب البيانية، والباحث عن صورة الحياة الاجتماعية المصرية، في كل جوانبها في عصره، وفي (ليالي سطيح) بسط له شكلاً قصصيًا دراميًا يكمل هذا الجانب.
المراجع:شعر حافظ إبراهيم ،إبراهيم عبد القادر المازني – مطبعة البوسفور – القاهرة ١٩١٥،مشاهير شعراء العصر – أحمد عبيد: ص١٨١ وما بعدها، ط/ المكتبة العربية – دمشق ١٩٢٢.

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص ٢٤١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٤٩.
(٣) المرجع السابق، ص ١٧٧.

وفي قصيدة (ثائر الصحراء) لنوال مهنى، والتي بدأتها بالنداء على المختار واستحضاره في سوح المعارك الدائرة في زماننا بقولها [١]:

يا ثائرًا هتفت به الصحراءُ رمزٌ مهيبٌ في الذَّرى ولواءُ

تختم قصيدتها أيضا بالنداء، بعد أن عرَّضت بقضية القدس العربية التي تطلب استنفار المحرِرين، واستفزاز المخلصين من أحرار الأمة على مدى تاريخها الطويل، والمختار قطعًا منادى عليه فهو رمز البطولةعند الشعراء المعاصرين:

القدس تدعو، من يجيب نداءها فترِنُّ فوق قبابِها الأصداءُ

تسنهض الفرسان من غفواتهم أأتاك ياعمرُ الشهيدُ نداءُ؟

وفي كل الحالات التي تنفس الشاعر من خلال بالنداء ما يوحي بوعي الشاعر بالخطاب الغيري وتأثيره في سبك القصيدة وترابطها، وما حاولوا فيه أيضا من التعبير عن الارتدادات النفسية المتفاعلة بين الشاعر والمتلقي، وبين الشاعر وبطله.

رابعا: الحكمة والموعظة:-

ختام القصيدة بالحكمة أو الموعظة يهب القصيدة البقاء في النفس -وهو غرض مشروع للشاعر- ونمط ينبئ عن الختام ونهاية الفكرة، وهو أيضا إرث قديم متعارف عليه في أدبنا القديم [٢]، ومن هذا الضرب من القصائد الخاصة بشخصية المختار قصيدة (قلادة الشعر) لوحيد الدهشان [٣] وفيه يقول:

والحرُّ يبقى بالشهادة ذكرهُ ويموتُ من عاشوا الحياة عبيدا

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٢) ينظر: فن الوصايا والحكم في الأدب العربي وتطوره من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي – دراسة موضوعية فنية – عوض عبد الباعث الأخرس،١/ ٥٥، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة -٢٠١٢م.

(٣) عمر المختار قدوة المجاهدين، ص ٦١.

ومن ذلك أيضا ختام د. الحضيري لقصيدته (الفارس المغوار)[١]:

لـقـد مـهَّـدت لـلـثـوار دربًـا فـمـن رام الـعُـلا ركـب الـخـطـوبـا

ومنه أيضـا قصـيدة (عمر المختار) لمحمد رائف المعري، التي اسـتعرض فيها كثيرًا من جوانب بطولة المختار، ثم يختمها بذكر فضـل الشـهادة في سـبيل الله وعظيم ثوابهم عند الله تصـبرًا ومواسـاةً للمختار الذي خاطبه وحاوره طويلًا في قصيدته [٢]:

لا نـرى شـعـرنـا الـمـجـيـدَ يـوفي حـق مـن مـات في الـجـهـاد شـهـيـدا

إنَّ في الـمـوت بـالـجـهـاد حـيـاةً خصـهـا الله بـالـجـنـان خـلـودا

ويرسل الشاعر فرج أبو الجود رسالة في ختام في قصيدته (عمر المختار):

عـمـر الـمـخـتـار سـنـكـتـبـه بـدمـاء الـعـزة ألـوانـا

ونـظـل نـردد سـيـرتـه ونـعـيـش كـمـا قـد أوصـانـا

مـنـصـورٌ مـن مـات شـجـاعًـا مـهـزومٌ مـن عـاش جـبـانـا

وفي هذه الخواتيم قدر من الإيجاز البليغ والتعبير الدقيق، والفكر الصـائب والوعظ النافع؛ مما يجعلها أكثر علوقًا في النفس وبقاءً في الذهن.

وهكذا عُنِي شعراؤنا بخواتيم القصائد حاملة من الجودة والحُسن ما يجعلها ألصق بالنفس وأبقى في السـمع، سـواء أكان الختام متعلقًا بعنوان القصـيدة أم متعلقًا بمطالعها أم تلخيصًـا لفكرتها، فقد جاء كل ذلك في حرص من الشاعر على ترابط وتماسك الوحدة الفنية والبنائية لقصيدته إلى جانب الوحدة الموضـوعية، وحدة تربط أوصـالها وتدفع عنها التفكك، كما أن منهم من فرَّغَ في ختامه صـدى نفسـه وأوجاع قلبه من خلال النداء الذي يشـبع فيه الشـاعر ما تعتلج به خلجات نفسـه من آمال أو آلام، فتارة ينادي الأمة يستنهض همتها ويحذرها من التراجع والاستسلام، وتارة ينادي البطل الرمز مستدعيًا إياه ومستحضرًا له؛ ليوقظ الضمائر الإنسانية، ويحي الوعي الجمعي للجماهير المتلقية.

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ١٥٧.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ١٦٩.

المبحث الثاني

اللغة ومستوياتها في قصيدة البطولة.

المطلب الأول: المستوى الصوتي.

لامشاحة في أن اللغة هي اللبنة الأولى للأسلوب الأدبي وأهم عناصره، وأن اختلاف طرائق التعبير هو ما يميز أديب عن أديب ويفرق بين شاعر وشاعر، وإذا كان للشعر "لغة خاصة داخل اللغة[١]" تجعله يتسم بالتحليق والإمتاع فضلا عن التأثير والإقناع، فإن في ذلك مدعاة لدراسة لغة الشعر كلبنات يقوم عليها البناء الشعري وفق سياقاته المتعددة، وطرائق التعبير وأنماط التفكير، وهذه السمات ما تميز الشعر عن غيره من الأجناس الأدبية، بل بها يمتاز شاعر عن آخر.

ولما كانت لغة الشعر ذات طبيعة فنية وتعبيرية خاصة " تصل إلى المعنى بالإشارة أو الإيماءة أو اللمحة أو الرمز[٢]" فإنها أيضا ذات انفعالات خاصة وفكر مميز وموسيقى متفردة، تميزها عن لغة النثر، فهي لاتقف عند حد الإيصال، بل تمضي وهدفها الأسمى الجذب والتأثير، والإقناع والإمتاع، حتى تصير اللغة الشعرية وسبكها وإتقان التعامل معها وبها غاية في ذاتها.

هذا ويتمتع الحرف العربي بالقيمة التعبيرية الإيحائية، فضلا عن اللفظ والجملة أوالتركيب " بحيث يعبر كل حرف عن غرض، فالكلمة مجموعة من الأصوات الدالة المعبرة من حيث هي حروف يستقل كل حرف منها بإحداث صوت معين[٣] ".

هذا وقد تعددت الظواهر الصوتية عند شعراء البطولة المتمثلة في عمرالمختار، ومن أبرزها:

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د/ علي عشري زايد، ص ٤١،ط/ مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الخامسة ٢٠٠٣م.

(٢) في لغة الشعر، د/ إبراهيم السامرائي، ص ٣، ط/ دار الفكر للنشر والتوزيع – عَمَّان (د، ت)بتصرف.

(٣) عن اللغة والأدب والنقد – رؤية تاريخية ورؤية فنية، د/ محمد أحمد العزب، ص ٤٣، ط/ المركز العربي للثقافة والفنون (د، ت)

أولا: التكرار: -

ليس الشـــعر في الحقيقة إلا كلامًا موسيقيًا تنفعل لموسيقاه النفوس، وتتأثر بها القلوب، ونظرًا لأهمية الموسيقى في الشـــعر، فقد حرص الشـــعراء على الاســـتفادة من تأثيرها في أشعارهم، ولجـأوا من أجل تحقيق ذلـك إلى استخدام عدة أساليـب، منها اعتماد التكرار، مستفيدين من خصوصيته وتأثيره الواضـــح، فقد عمدوا إلى التكثيف التكراري في شعرهم بكل صـــوره: من تكرار الحروف، وتكرار المفردات، وتكرار بعض فنون البديع كالجناس وغيره مما أوجد في أشعارهم ذلك الإيقاع الجميل، والأنغام المعبرة التي تتواشج مع مختلف الدلالات بغية إحداث التأثير على المتلقي، وإيصال الرسالة الشعرية، حيث يعد تفعيل طريقة التكرار أساسًا من أسس بناء النص الشـــعري، وهو ظاهرة إيقاعية وبلاغية تعني ترديد الألفاظ مرتين أو أكثر بشكل متتالٍ مطرد أوغير مطرد.

هذا والتكرار أحد علامات الجمال البارزة، وهو مصـــدر دال على المبالغة من (الكر)، ويراد به التكثير في الأفعال. ومعناه العام (الإعادة)، وهو أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير ما، واللفظ المكرر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان" فالمتكلم إنّما يكرر ما يثير اهتمامـًا عنده، وهو يحب في الوقت نفســـه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل القول إليهم على بعد الزمان والديار [١]"

وإذا كان التكرار نوعًا من تناوب الألفاظ وإعادتها في سـياق التعبير، بحيث تشـكل نغمًا موسـيقيًا، وتعبيرًا وجدانيًا عما التصـق بعقل الشـاعر فكرره وأعاده، في خضـوع للقواعد الذوقية والجمالية والبيانية، وهو ظاهرة قديمة في الأدب العربي، وسـنة من سـنن اللسـان العربي، يقول ابن فارس:" ومن سـنن العرب التكريروالإعادة إرادة الإبلاغ بحسـب العناية بالأمر [٢]" وقد صـدح به العربي القديم في قوافيه وأسجاعه، وسار على ذلك الشعراء حتى العصر الحديث، وإن غدت القصيدة كتابية أكثر منها قرائية سماعية، إلا أنه حافظ على هذا النسق الفني في صور متعددة.

وقد تعددت أنماط التكرار في قصائد شعرائنا، ومن أبرز صور التكرارعندهم تكرار الصوت المفرد،

---

(١) التكرير بين المثير والتأثير، د.عز الدين علي السيد، ص: ١٣٦،ط/ عالم الكتب ١٩٨٦

(٢) الصـاحبي في فقه اللغة العربية ومسـائلها وسـنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبي الحسـين، تحقيق: أحمد حسن بسج، ص١٥٨،ط/ دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

وتكرار الحرف، وتكرار الكلمة (اسمًا أو فعلًا) وتكرار الجمل والتراكيب، وتكرار شطر شعري، والذي يشغل الباحث منها ما كان ذا صياغة إيقاعية تحدث الأثر في النفس عند الحديث عن الشخصية من خلال الإيقاع الداخلي فضلا عن مزيته الفكرية والمعنوية:

أ - تكرار الحرف:-

وتكرار الحرف ظاهرة أسلوبية متكررة في الشعر ولها دورها في توظيف الجرس الإيقاعي، من خلال المهارة في حسن توزيع الحرف حين يتكرر، ومدى ارتباطه بالمعنى وتحسين الإيقاع [١] وهو يقتضي تكرار حروف بعينها في الكلام، مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعادًا تكشف عن حالة الشاعر النفسية.

ومن أكثر الحروف تكرارًا وارتباطًا بتوظيف أو استدعاء الشخصية **تكرار حروف المد**، متباعدة أو متقاربة، وهي ذات قيمة تأثيرية وإيقاعية تناسب الحالة الشعورية عند الشاعر من حزن، أو غضب، أو ألم، أو صراخ مكبوت، أو استغاثة مغلولة في الصدور، أو دمعة محبوسة في المآقي.

ومن ذلك قصيدة (عمر المختار) لمحمد رائف المعري التي يوظف فيها حروف المد في إيقاع متماثل ومتجاوب مع حالته النفسية البائسة المكبلة، بل العاجزة، فيقول[٢]:

عمرُ المختارُ...هل تُرى إن بكيْنا ... ونظمْنا الدموع عقدًا فريدا
أترانا نمجد البطل الفرد ... ويرضى استبساله تمجيدا
هل يفي الشعر بالأضاحي ... ولو ألقى عليها قلائدَ وعقودا
لا نرى شعرنا المجيدَ يوفي ... حق من مات في الجهاد شهيدا
إنَّ في الموت بالجهاد حياة ... أً خصها الله بالجنان خلودا

فهذه المدود المتلاحقة تحمل في طياتها الأحاسيس العميقة والمشاعر الدفينة التي يبوح بها

(١) ينظر: موسيقى الشعر، د.إبراهيم أنيس، ص ٤٩،ط/ الأنجلو المصرية ١٩٥٢، التكرار في شعر الخنساء، د/ عبد الرحمن الهليل، ص ٧٠،ط/ دار المؤيد، جدة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ١٦٨.

الشاعر من خلال هذا التكرار الذي يشبه معاودة الأحزان وتكرارها على قلب الشاعر، وهنا يكشف التردد في تلك الحروف أبعادًا عن حالة الشاعر النفسية.

وكما وظف الشاعر المدود في الحزن والأسى والأسف، فإننا نجد منهم من يوظفها في حفز الهمم وترسيخ القيم، فالشاعر فرج أبو الجود يرسل رسالة في قصيدته (عمر المختار) من خلال التعبير بحروف المد عن حالته المتحمسة والمتحفزة والمستمدة من سيرة المختار الفواحة بالأمجاد:

عمر المختار سنكتبه بدماء العزة ألوانا
ونظل نردد سيرته ونعيش كما قد أوصانا
منصور من مات شجاعا مهزوم من عاش جبانا

فهذه الاستطالة في الصوت التي يحدثها المد تُكوِّن إيقاعًا تأنس إليه النفس ويطرب له السمع؛ مما يجعل المتلقي يتفاعل معه، واسمع معي قول رشاد محمد يوسف في قصيدته عمر المختار طليعة الأحرار(١):

نور على قمم الجبال ونار وطلائع يرنو لها الأحرار
وصحائف للمجد خطَّ سطورها للثائرين الفارس المغوار
روح الفداء هنا ونبض كيانه وهنا الجهاد وجيشه الجرار
وهنا نضال الشعب سجَّله الثرى وزكَت به الربوات والأغوار
الثائر العربي خطَّ قراره وأعدَّ عدَّته وعزَّ قرار
لن تنحني هام الرجال لغاصبٍ مهما استبد الشَّر والأشرار
فالأرض عرضٌ والعقيدةُ ذمةٌ والنبتُ والحرماتُ والأستار

فهذه الإيقاعات التي أحدثها المد- كما يبدو للباحث- كانت في مجملها تكتسي بالعفوية وعدم التكلف أو التعمد، بل واكبت حالتهم النفسية وفرغوا فيها ما تعتلج به أحاسيسهم، كما أكسب هذه القصائد قوة صوتية وتأكيدًا للمعاني يناسب القضية المطروحة والشخصية المتناولة، إضافة إلى إلباسها

(١) المرجع السابق، ص ١٧٦.

إيقاعات نغمية متكررة جميلة تهدف الى استمالة السامع.

ومن ذلك أيضا **تكرار حرف النداء**، ففي ظل استدعاء الشخصية البطولية واستحضار أمجادها يلجأ الشعراء إلى النداء كظاهرة صوتية تهون على النفس تباريح الألم، فيكون نداء الشخصية واستحضارها والتحاور معها، والقرب منها بمثابة مهدئات تخفف لواعج النفس وتسري أحزان القلب، وقلق النفس للفرد أو للضمير الجمعي للأمة، ومن تلك الومضات الأسلوبية ما جاء في قصيدة وحيد الدهشان (تحية إكبار) من توالي النداءات بقوله [١]:

يا سيدي عمر المختار معذرة إن قصَّر الشعر في ساحات من بذلوا
يا سيدي عمر المختار يا علما يبقي المعاني وجرح الغدر يندمل
يا سيدي عمر المختار يا بطلا هل أدرك الناسُ من مرآك ما البطل؟
....
ياأيها العرب، والمختار علمني أنَّ الأبيَّ لضيمٍ ليس يمتثل
ياأيها العرب قلبي في محبتكم أم على طفلها تحنو وتنشغل
لا يستريح إذا شيكت لكم قدم فكيف يهنا وهذا خطبكم جلل
ياأيها العرب في تاريخكم صور لو تبصرون لما عقتكم الدول
وما استباحوا الحمي في كل آونة وضيعوا حقنا المسلوب أو مطلوا
ثوبوا إلى رشدكم فالله غايتنا وليس للحر عن درب العلا بدل

وهكذا استعان الشاعر بالنداء المتكرر في مواطن متفرقة من القصيدة موجها رسائله إلى الأمة، استطاع من خلال إيقاعاته الكشف عن خلجات نفسه وأعماق وجدانه نحو أمته وقضاياها وواقعها المرير، أما د. الحضيري فينادي البطل على أنه ممهد الثورات وغارس الكرامة في الأجيال واصفا إياه بالبطل الغضوب، وذلك في مطلع قصيدته (الفارس المغوار) [٢]:

---

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء، ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٥.

أيـا مـخـتـارُ يـا بـطـلا غضـــوبـا ويـا مـن عـلـم الشـــعـب الـحـروبـا
ويـا مـن داس طـغـيـان الـنصـــارى فـكـان الشـــهـم رفـض الـعـيـوبـا
أيـا مـخـتـار يـا فـخـر الـغـيـارى ويـا مـن كـنـت لـلشـــعـب قـريـبـا

ليفصح عن تجربة وجدانية عميقة، وارتباط نفسي ووجداني بالبطل المختار يتعانق مع النغم الممتد والمتدفق في فضاء القصيدة.

وكثيرا ما يكثر النداء عند الفخر والإشادة بالشخصية وأعمالها وفضائلها؛ مناسبًا بين النغم وما يقتضيه الموضوع، لأن المدح يحتاج صوتًا رفيعًا يمتليء به الفم، وتشنف به الآذان، ومن ذلك ما جاء على لسان نجاة شاور في قصيدتها (شهم جسور)[١] فتقول:

يـا شـــيـخَ زاويـة الـقصـــور أفـديـك مـن شـــهـمٍ جســـور
يـا مـن ضـــربـت بـقـوةٍ وبســـالـةٍ حصـــن الـفـجـور
يـا أيـهـا الـعـمـر الأبـيُّ وأنـت مـخـتـارٌ صـــبـور

ومن ذلك ماجاء في قصيدة (ليث اسمه عمر) لفاطمة السيد [٢]:

ياســـائـل الـبـيـد عـنـهـم إنـهـم ذكـروا في ســـاحـة المجـد أبـطـالٌ لـهـم ســيـرُ
ياســـائـل البـيـد هـل أنبئت عن بطـلٍ نضـــالـه صـــفـحـةٌ زُيِّـنـتْ بـهـا السُـطُـرُ

(١) المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٤. فاطمة السيد سعد(١٩٣١ -٢٠١٠).
نشـأت في بيت علم وثقافة وقرأت منذ صـغرها أمهات الكتب والدواوين الشـعرية قديمها وحديثها. برزت موهبتها الشعرية في سن الرابعة عشرة وعرفت في المدرسة بامتيازها الأدبي وحسن تعبيرها عن الموضوعات المختلفة.حاصلة على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٥٨.عملت صحفية بمؤسسة أخبار اليوم ورئيس تحرير روز اليوسف السابقة وتعد من أوليات الصحفيات اللاتي دخلن المحاكم للتغطية وكتابة الأخبار الصحفية. مؤلفاتها:مذكرات صحفية بغرفة الإعدام .علم الغيب وقراءة المستقبل. أحلام السنين (ديوان شعر) ،أصداء العشق والحرية (ديوان شعر مشترك) عزف القلوب للثورة (ديوان شعر). اشتركت في العديد من الندوات الشعرية والأدبية .عضو نقابة الصحفيين واتحاد كتاب مصرورابطة الأدب الحديث ونادي القصيد، المرجع:.مدونة ديوان العرب.

وبذلك يتأكد أن التكرار الصوتي للنداء كان من مقومات الجمال الإيقاعي الداخلي لا سيما عندما تتعاضد النداءات؛ لتشكل بنية صوتية تعبيرية وإيقاعية.

ب - تكرار الألفاظ

كما ينشأ الإيقاع من تكرار الحرف ينشأ من تكرار الكلمات مفردة أو في جمل وتراكيب، فالكلمة المفردة تشكل بنية صوتية تزداد تأثيرًا إذا تكررت، وأضافت للمعنى، وحققت ما يبتغيه الشاعر منها من دلالة يبدو منها التواصل بين الشاعر والمتلقي، والتعبير عن قضايا والتأكيد على أفكار بعينها، أو التنفيس عن حالة شعورية يعاني منها، فينطلق من الذاتية إلى الجماعية، كما يأتي التكرار أيضا في لحظات النشوة والفخار؛ ليكون الدافع النفسي عند الشاعر هو المحرك لهذا النمط الأسلوبي الذي يسم النص الشعري ويمنحه زيادة تنفيس ورحابة إيقاع، ومن ذلك قول د. الحضيري في قصيدته(الفارس المغوار) [١] :

وكنت الفاراس المغوار تُرِدي فُلولَهم، فلم تترك جيوبا
وكنت حِمًى وللإسلام سيفا ولقنت العِدى درسًا رهيبا
وكنت الرأي والإيمان يثُري وكنت عماد مَنْ نادى الشعوبا
وكنت الوقود كالبركان يغلي أدرت عليهم يومًا عصيبا

ومنه أيضا قول محمد رائف المعري في قصيدته(عمر المختار)[٢]:

أنت في أرجوحةِ الأبطالِ نبعٌ ذاخرٌ طِبتَ منهلًا وورودا
أنت يا واهبَ الجهادِ مثالًا يحتذيك الرجالُ جهدًا حميدا
أنت في صمتك الرهيبِ خطيبٌ أيها الشيخُ قد عُرِفت عنيدا
أنت أذكيت في الشباب طموحا كان فخرًا على المدى مشهودا

وهنا تبرز ظاهرة أو جدلية الحضور والغياب، فالشاعر يستخدم مفرداتٍ متكررةً (وكنت – ولقنت –

(١) المرجع السابق، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٦٨.

أدرت- نلت – مهدت – أنت – أذكيت....) تشي بالحضور وتوحي بالقرب والملاقاة، وهذا يدل على ما تمثله شخصية المختار في نفوس الشعراء من معايشة وحضور لا يغيب، بل تعيدها الأحداث كلما تجددت على الذاكرة، ومتى احتاج الناس إلى بطلٍ أو مخلصٍ تذكروا واستحضروا المختار.

وممن يبرز هذا الموقف ويمضي على هذا النسق رشاد محمد يوسف في قصيدته (عمر المختار طليعة الأحرار) فيقول [1]:

رمزُ البطولة والشهادة والفدا ... رمزُ الجهاد هنا هو المختارُ
قتلوه، لا والله إن حياته ... ستظل ساطعةً بها الأنوارُ
ما غاب عنا أو توارى طيفه ... هو في الخواطر شعلةٌ ومنارُ
هو في حنايا كلِ قلبٍ ثورةٌ ... وعقيدةٌ يزهو بها الثوارُ
هو أسوة مُثلى لكل مجاهدٍ ... تسمو بها الأشعار والأوتارُ

فهذه الصور على ما فيها من تحدث بالغياب إلا أنه ليس غيابًا ضبابيًا، وليس فارغًا باهتًا، بل شكلًا جماليًا تضافرت عناصره؛ لتعكس مشاعر وأحاسيس الشاعر تجاه الشخصية.

ومن صور تكرار الألفاظ ما جاء في قصيدة الشاعر محمد وجدي شبانة (مشوار عمر المختار)وفيها يقول [2]:

أطلقوه بين فكي أسد ... ربما إن هاجه القيد زأر
أطلقوه جثةً هامدةً ... تسكب الروحَ بها كفُّ القدر
أطلقوه في متاهات سقر ... فجحيم القيد أدهى وأمر
ربما ينحسر القيدُ الذي ... ضاق بالمختار ذرعًا فانكسر
لا تخالوا قمعكم يقهره ... ليس يجدي القمعُ في إصرار حر

وفي هذا التكرار سواء للفعل (أطلقوه) أو للاسم (القيد – القمع) يقصد الشاعر دلالة معينة تلح

(١) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٧٨.

عليه، بل يجد فيها متنفسه، بل يستمد منها استشرافه للمستقبل والثورة على الواقع المرير" فالتكرار يعد مؤشرًا نفسيًا في النص الشعري، وينشر دلالة موسيقية تتنامى مع الدلالة المعنوية للكلمة المكررة، وتتأكد دلالة الكلمة المكررة في النص الشعري؛ حينما تضفي عليه إيقاعًا معجبًا، وقوة في البناء، وتعبر عن جوه العام، فيصبح التكرار له دلالته نفسيًا وأسلوبيًا، ويدفع المتلقي إلى البحث عن المعاني البعيدة التي تشغل ذهن الشاعر [١]" ومن شواهد ذلك عند شعرائنا ما جاء في قصيدة (الليث المنتصر) لفاطمة السيد[٢]:

يا أمة العرب إن العرب في خطر والنار يوقدها في بدئها الشرر
يا دولة الحقِ إن الحقَ منتصرٌ والسيف أعداؤه يا ويلهم قبروا

ومنه أيضا قول عبد الغفار الدلاش في مطلع قصيدته: ذكرى الشهيد [٣]:

الليل ليلٌ والنهار نهارٌ والحق يبقى والضلال بوارُ

وهذا التكرار اللفظي بالمجاورة[٤] يسهم في إنتاج إيقاع صوتي يلفت الانتباه ويجذب الذهن ويستميل المخاطب.

ومن تكرار اللفظ قول د.محمد الوزير في قصيدته (معلم الأجيال الاستشهاد) [٥]:

وإذا أطلَّتْ مقلتاك على أسىً لقي الأسى في مقلتيك حنانا

ومنه أيضا ما عبر به الشاعر الحبيب الجوهري على لسان المختار استنطاقا لبطولاته وأمجاده،

---

(١) بناء النص الشعري في ديوان أبي محجن الثقفي د.ناصر سليم الحميدي، ص ٩٣، ط/ النادي الثقافي الأدبي بالطائف ١٤٣٦هـ - بتصرف يسير.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٨٧.

(٣) عمر المختار قدوة الجهاد ص ٣٥.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، أحمد المطلوب ٢ / ٢٢٢ ، ط/ مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٤٠٧هـ.

(٥) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢١٣.

فيقول في قصيدته (عمر المختار تحدى القهر) (١):

سـلـوا عـنـي الـمـدائـن والـديـارا سـلـوا عـنـي الـفـيـافي والـقـفـارا
سـلـوا عـنـي نـجـوم الـلـيـل تـتـرا سـلـوا عني الضـحى وسـلوا النهارا
سـلـوا عني الكهوف سـلوا حقولًا سـلـوا عني الرياض سـلوا الزَّهارا
سـلـوا عـنـي الـربـا وسـلـوا جـبـالا سـلـوا عـنـي أخـاديـد الصـحـارى
سـلـوا عـنـي عـدوًا صـبَّ جـامًـا مـن الـفـتـك الـلـعـيـن وصـبَّ نـارا
سـلـو الـهـيـجـاء عـنـي مـا تـوانـى لـي الـعـزمُ الشـديـدُ سـلـوا الـغـمـارا
سـلـوا الأسـيـاف في حصـن الأعـادي رؤسًـا أيـنـعـت ذلا وعـارا
سـلـوا عـنـي الـورى كـرًا وفـرا كـعـاصـفـة تـمـاطـرهـم شـرارا

فالشـاعر هنا يمتزج بالبطل ويحس أنه اتحد به، ومن ثَمَّ يتحدث بلسـانه، حتى لكأنك لاتسـتطيع التفريق بين الشـاعر والبطل من المتحدِث ومن المتحدَث عنه، وهذا دليل ارتباط الشـعراء بشـخصـية البطل لا سيما إذا كان مؤثرًا كتأثير المختار في بني وطنه، ولعل في مثل هذه النماذج من التحدث بلسان البطل ما ينزل على النص **قناعًا** بحيث تتكون " حالة من التماهي أو التلبس بشـخصـية أخرى تختفي فيها شـخصـية الشـاعر، وتنطق خلال النص بدلا منه(٢) " حتى كأنك تسـمع صـوت الشـخصـية في ثنايا قصيدة الشاعر مما يكسب شعره أبعادًا شمولية ورحابة تعبيرية.

وهذا التكرار فوق ما يسكبه في النص من مرونة وتناغم يعبر عن حالة نفسية مسيطرة على الشاعر، وقد يقصد من تكرار الألفاظ أو التركيب إلى تكثيف المعاني والتأكيد على فكرة معينة، رابطًا بين اللفظ والمعنى وتعزيز هـذا الترابط من خلال التكرار، ممـا يؤثر في المتلقي ويـأسـره؛ حيـث يجـد المتعـة والجمال والجدة في النص الشعري وما يتضمنه من كثافة لفظية ومعنوية، وطالع معي قول د.عبد الغفار

(١) عمر المختار قدوة الجهاد ص ٨٢.

(٢) القناع في الشـعر العربي الحديث " دراسـة في النظرية والتطبيق"، د/ سـامح الرواشـدة، ص ١٠، ط/ مطبعة كنعان الأردن الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

هلال في قصيدته (عمر سينزل – أمنية طفل فلسطيني) [١]:

وأقول ياعمر الحبيب ألا تقي ذا الطفلَ من عدوانه المتمادي؟
وأقول ياعمر الحبيب أما لنا من نصرةٍ حمراءَ كالميكاد؟
وأقول ياعمر الحبيب أما هنا من موقف من جرأة الآسادِ؟

فقوله: وأقول ياعمر الحبيب.. المتكررعلى مدى ثلاثة أبيات دون فاصل جعل إيقاعها مقبولًا خاصةً وأنه صب فيها صوتًا دافئًا حنونًا نابعًا من إيقاعه المتوحد، ثم إنه يكشف لنا حقيقة إنسانية تضغط على الشاعر تتلخص في معاناته وأمنياته التي يهمس بها للمختار فتتكرر في نفسه الأسئلة، ومن هنا تحول التكرار من ظاهرة لغوية صوتية إلى عاطفة وجدانية مشحونة وفكرة مسيطرة، لأن" تكرار لفظة ما، أو عبارة ما، يوحي بشكل أولى بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكرة الشاعر أو شعوره أولا شعوره، ومن ثَمَّ فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى[٢]"

وقد تردد هذا النغم في ثنايا قصيدته فيعود يكرر أمانيه وطموحات الطفل الفلسطيني المكلوم، فيقول:

أفلا تعود فتملأ الدنيا وغىً مما فعلتَ بسالف الآباد
أفلا تعود فيفرحَ الدمع الذي جادت به الأجفان دون نفادِ

فهذا التكرار الذي يحمل في طياته أسئلة أبناء هذا الزمان من المكبلين الرازحين تحت وطأة الطغيان والذل والهوان؛ ليبث فيها الشاعر أزمة الإنسان العربي على لسان طفل فلسطيني يستنجد بالمختار ويضع بين يديه آلامه وآماله.

وهكذا كشف التكرار لنا عن حالات نفسية وانفعالات شعورية ضاغطة ومسيطرة على عقل ووجدان الشاعر وما تضمنه من دلالات وإيحاءات ما كانت لتتم وتؤدي بغية الشاعر بدون التكرار أو هكذا تبدو للباحث، ومن ذلك قول الشاعر أحمد عبد الهادي في قصيدته (في ذكرى الشهيد عمر

(١) عمر المختار قدوة الجهاد ص ١٣٠.

(٢) عن بناء القصيدة العربية، د. علي عشري زايد، ص ٥٨.

المختار) [1]:

في يـوم ذكـراك يـا مـخـتـار يـاعـمـر ... يـامـن لـه الـحـب والإعـزاز والـظَّـفـرُ
في يـوم ذكـراك أدعـو الـعـرب قـاطـبـةً ... بـقـول هـيَّـا أعـيـدوا مـجـد مـن غـبـروا
في يـوم ذكـراك الـذي مـا زال مـفـخـرةً ... للصـــامـدين أَلاَ يصـــغي لنـا البشـــر؟
في يـوم ذكـراك يـا مـخـتـار يـاعـمـر ... نـدعـو حـمـاة الـحـمى يـأتون مـا قـدروا
....
في يـوم ذكـراك فـلـتـقـبـل تـحـيـتـنـا ... واســتصــرخ العُرب كيما الظلمُ ينحســرُ

فما بدأ به الشـاعر قصـيدته ختم به؛ ليدلنا ذلك على سـيطرة الفكرة على ذهن الشـاعر وإلحاحها عليه، فكرر فيها ما يتكرر في وجدانه نحو وطنه ومجتمعه، وما ينبغي أن تمثله ذكرى البطل من بعث في النفوس ولهيب في القلوب مما يحدث أثرًا انفعاليًا في نفس المتلقي، وهنا تظهر – من وجهة نظري – الوظيفة التأكيدية للتكرار، والتي يراد بها إثارة التوقع لدى المتلقي، وتأكيد المعاني وترسيخها في ذهنه.

كما أن التكرار عكس أيضا صورة من الموقف النفسي والشعوري لدى الشاعر، فنحن أمام ظاهرة جمالية إيقاعية تعبيرية غير أنها تساعد وتساهم في تصوير المشهد وتشكيل الموقف، فضلا عن التأثير الإيقاعي الداخلي للقصيدة. كما يتضح أيضا العلاقة بين ما يكرر وأهميته لدى الشاعر، وثراء العلاقة وقوتها بين المكرر ودلالته، من خلال توافق وتلازم اللفظ مع المعنى، ومن ثم خلا هذا اللون الأسـلوبي من التكلف أو التصـنع، ولم يكن التكرار من قبيل العبث اللفظي أو فضـلة التعبير، بل حمل إيقاعات موسيقية وعكس رؤية الشاعر النفسية والاجتماعية والموقف الذي يتبناه الشاعر تجاه قضاياه الوجودية.

وهكذا جاء التكرار عند شـعرائنا للتوكيد، أولزيادة التنبيه، أوالتهويل أو التعظيم، أوللتلذذ بذكر المكرر، كما أنه ساعد في إقامة بناء إيقاع داخلي حقق انسجامًا موسيقيًا خاصًا.

(١) عمر المختار قدوة الجهاد ص ٧٩، ٨٠.

ثانيا: التضعيف

التضعيف ملمح لغوي له قيمة صوتية تتركز في القوة الإيقاعية التي يحدثها من خلال تشديد الحرف الأصلي وإدغامه في مجانسه بحيث يصيرا حرفًا واحدًا مشددًا، يعطي صوتًا يوازي صوت الحرف الممدود، أضف إلى ذلك زيادة المبني التي تُزيد في المعنى، وتثري الإيحاء، ومنه قول شوقي:

وَأَتى الأَسيرُ يَجُرُّ ثِقلَ حَديدِهِ أَسَدٌ يُجَرِّرُ حَيَّةً رَقطاءَ
عَضَّت بِساقَيهِ القُيودُ فَلَم يَنُؤ وَمَشَت بِهَيكَلِهِ السُّنونَ فَناءَ
....
وَتَخَيَّروا الحَبلَ المَهينَ مَنِيَّةً لِلَّيثِ يَلفِظُ حَولَهُ الحَوباءَ

فهذه الأبيات مثقلة بالتضعيف في توازٍ مع المختار المثقل بالقيود ورسف الحديد، فتجد عددًا من التضعيف في تلك الأبيات القليلة: (يَجُرُّ- يُجَرِّرُ – حَيَّةً – عَضَّت – السُّنون – وَتَخَيَّروا – مَنِيَّةً – لِلَّيثِ) وهذه الألفاظ ذات التضعيف سواء أكانت أفعالًا أم أسماءً أعطت – من خلال التضعيف – تكثيفًا للمعنى، وأضافت إيحاءً صوتيًا معادلًا بين الموقف وحالة الشجن والحزن التي تنتاب الشاعر والمتلقي معًا كلما تقلَّب عليهما ذلك الموقف، ولوجردت تلك الألفاظ من التضعيف ما أعطت هذا الزخم الإيقاعي والتعبير الموازي والمواكب أو المعادل لضغط النفس تجاه الحدث، ومن ذلك قول عمر أبي غريبة في قصيدته (عمر المختار..سلام عليك):

فانبَتَّ حبلٌ من الأعداءِ مرتعشٌ كذاك حبلُ دُعاةِ الشَّرِّ منبترُ
ما لُفَّ حول شُموخِ العُنُقِ يَشْنُقُها حتى تباكى على الأقدامِ يعتذرُ
لمَّا ترنَّح جسمًا ما هوى وعلا فوق الرقابِ وطرْفُ العِلجِ منحسرُ
تلقَّفتْه أيادٍ من ملائكةٍ إنا جزيناهمُ الحسنى بما صبروا

ففي قوله:(فانبَتَّ – الشَّرِّ – لُفَّ – لمَّا – ترنَّح – تلقَّفتْه) تلازم التضعيف مع الحزن المسيطر والألم الموجع على المختار لحظة استشهاده، مرتكزًا على التضعيف لإظهار معاناته من هذا الموقف أو إبراز صمود الشيخ وصبره وجزائه، والمفارقة المرة على مقتله والفرحة بلقائه ملائكة الرحمن.

وكما جاء التضعيف معبرًا عن حالة الحزن جاء أيضًا معبرًا عن الفخر والمدح والسرور والتعزي بما وصلت إليه شخصية المختار عند الله وعند الناس، وفي ذلك يقول إسماعيل بخيت في قصيدته (أسطورة الفداء والبطولة)(١):

يا ساكنَ الصَّحراءِ القفرِ موحشُها	أَهْوَى عليك بقلبِ العطفِ والسَّكنِ
ضَمَّ العظام وما تحويه من عِظَمٍ	وما يفيضُ به من عاطرٍ هتنِ
وضمَّ منك رُفاتَ الطُّهرِ واهِنُهُ	قد أرهقته صروفُ البأس والمحنِ
لكنَّها ضمَّخته من زكيِّ دمٍ	وقدَّسته بما ضَنَّتْ على البدنِ
فاضت عليك المنايا بالخلود فهل	جادتْ يداها بما شحَّتْ يد الزَّمنِ
فسوَّدت بمداد النُّور صفحتكم	وسطَّرت بسناه صفحة الوطن
وسجَّلتك شهيدا في شهادته	إرهاصة الصَّحوة الكبرى من الوسنِ
وشعلةُ الثَّورة العظمى ومُشعلها	وقوَّةُ المتأبي سطوة الوهنِ

وعند مطالعة الأبيات السابقة سنجد الكلمات (الصَّحراء -السَّكن – ضمَّ – الطُّهر – لكنَّها – ضمَّخته – زكيِّ – قدَّسته – ضنَّت – شحَّتْ – الزَّمن – فسوَّدت – النُّور – سطَّرت – سجَّلتك – الصَّحوة – الثَّورة – قوَّةُ) قد احتشد فيها التضعيف وكأنه إشارة قبضة الشاعر مجتمعة في عز وافتخار بمكانة المختار، وقد وفق الشاعر في التعبير من خلال مفردات متعادلة مع حالته النفسية، فيظهر في (الضمَّ، الضخَّ، الضنَّ والشحَّ والتَّسويد والتَّسطير والتَّسجيل والصَّحوة والثَّورة والقوَّة) كما أن هذه المفردات (أسماءً وأفعالًا) تظهر القوة النفسية والشدة التي أراد الشاعر أن يصبها في النفوس التي اعتراها الوهن، وكساها الهوان وأضناها اليأس، كل ذلك جاء متناسقًا مع الصوت المضعف؛ لتكون معادلًا موضوعيًا بين الحالة النفسية والشعورية والألفاظ المعبر بها.

وليتضح لنا من هذه النماذج أن الشعراء المعنيين بالمختار أنموذجا للبطل قد استطاعوا توظيف الحرف المضعف واستفادوا من قوته الصوتية؛ ليوافق حالتهم النفسية أو الشعورية أو قوة الشخصية المتحدث عنها، والتأثير في المتلقي.

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢٢٢.

ثالثا: الجناس

وهو: أن تجيء الكلمة تُجانس أُخرى في بيت شعر أوكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها، فمنه ما تكون الكلمة تُجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها، أويكون تُجانسها في تأليف الحروف دون المعنى (١)

والجناس أو التجنيس في اللغة العربية هو أحد المحسنات اللفظية، ومن مظاهر التنوع الصوتي وإثراء الإيقاع الموسيقى في البيت الشعري من خلال تكرار الصوت وتقارب المعنى، كما يؤتى به لإحكام الربط بين اللفظ والمعنى؛ بما يحدثه التجنيس من جرس صوتي ناتج من تكرار الأصوات داخل النص مالم يكن مصطنعًا أو مقحمًا على النص، ومن الجناس الصوتي الذي أثرى النغم داخل القصيدة إضافةً للانسجام الصوتي المتجاوب مع فكرة القصيدة، ومعادلة اللفظ للموضوع، ما جاء في قصيدة (تحية إكبار) لوحيد الدهشان (٢):

أعددت ما استطعت من بأسٍ لترهبهم لم تعرف اليأسَ مهما ضاقت السُبلُ

فالشاعر يجانس في بيته بين كلمتي (بأس – يأس) جناسًا ناقصًا لكنه ناسب المعنى الذي يرنو إليه من إبراز شخصية البطل المختار التي جمعت بين القوة المادية (البأس) والقوة المعنوية (عدم اليأس أو الاستسلام)، وهنا جمع بين الصفتين في ائتلاف يقود إلى جرس صوتي يحدث أثرًا دلاليًا وإيقاعيًا في آنٍ واحد، وقد نجح الشاعر –من وجهة نظر الباحث– في استغلال القيمة الذاتية للشخصية ورسم من خلال إيقاعه صورة صوتية تنطق بالقوة والتفاؤل، وتدعو إلى العزم والتصدي، ومن ذلك أيضا قول د.محمد الوزير في قصيدته (قائد الشهداء) (٣):

قد آن للإنسان أن يحيا كيما يبني الوُجُودَ ويعمر الوُجْدَانا

---

(١) ينظر: كتاب البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز ، تحقيق: عرفان مطرجي، ص ٣٦،ط/ مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ٢٠١٢.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢٠١.

(٣) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢١٠.

ويـعـيـش مـلء ضـــمـيـره ومصـــيـره حـــر الـــروايـة والـــرؤى يـــقـــظـــانـــا
أنـا لـن أَذِلَّ ولـن أَضِـــلَّ ولـن أرى رأي الـجـيـاع وأعـبـد الشـــبـعـانـا
إني رجـعـت إلـى يـدي وإلـى غـدي فـلـيـخـرســـوا عُـربـا وأمـريـكـانـا
وأنـا أصـــافح كـلَّ من يحمي الحمى ويـعـارض الســـلـطـان والشـــيـطـان
إني تـعـهـدني الـحـنـيـنُ وشـــفَّـنـي حـبُّ الأُلـىَ حـكـمـوا الـزمـانَ زمـانـا
الـبـاذريـن الـعُـرفَ والـعِـرفـانـا الـبـاذريـن الـرُّوح والـرَّيـحـانـا
الســـائـريـن هـنـا إلـى عُـمـرَ الـذي عَـمَّـر الـزمـانَ وحـرَّرَ الأوطـانـا
الـبـالـغـيـن بـلـوغَـه غـايـاتِـه والـمســـتـحـيـلَ الـجَـهْـمَ والإمـكـانـا
الـراكـبـيـن ركـوبـه الـغـايـاتِ وال أفـــراسَ والأفـــراحَ والأحـــزانـــا
الـذاهـبـيـن ذهـابـه في الـعـاديـا ت فـطـانـةً ومـكـانـةً ومـكـانـا

فالشـــاعر في هذا المقطع من قصـيدته حشـد عددًا كبيرًا من الجناس الناقص في حرصٍ منه على موسـيقى أبياتـه وإثرائها نغميًا من خلال الجناس الصـوتي (الوُجُودَ- الوُجْدَانا)(ضـميره – مصـيره)(الرواية – الرؤى)(أَذِلَّ -أَضِـلَّ)(أرى – رأي) (يدي-غدي)(يحمي -الحمى)(السـلطان-الشـيطان)(الزمـان – زمـانـا) (العُرفَ – العِرفـان) (الرُّوح -الرَّيحـان)(عُمرَ-عَمَّر)(البـالغين بلوغه)(الراكبين ركوبه)(الذاهبين ذهابه) فائتلاف النغم مع سـياق القصـيدة وجوها الموضـوعي مما تلتذ به الآذان ويميل معه الوجدان، وهذا يعد – من وجهة نظري – نجاحًا وتميزًا للشـاعر والقصـيدة؛ لأنه تمكن من تطويع الجناس وتوظيفه والاستفادة منه في إثراء المضـمون ونقل انفعالاته وجذب انتباه السامع من خلال صوته المتكرر ورجع نبراته الضاغطة بقوة على أذن المتلقي، هذا ويحسن الجناس ويمتاز عندما يطلبه المعنى ويستدعيه" فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً... فتجده أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسـن الزيادة ووفاها، فبهذه السـريرة صار التجنيس وخصوصـاً المستوفي منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكورًا في أقسام البديع

(١) " ومن جميله وبديعه ما جاء على لسان إسماعيل بخيت في قصيدة(أسطورة الفداء والبطولة)(٢):

يـا أيـهـا الـبـطـل الـفـادي بـلـغـت مـدىً في الـبـذل لـيـس لـه عـبْـرَ الـمـدى حـدُّ

ويقول في مقطع آخر من القصيدة (٣):

غـالـبـت عـمـرك والأعـمـار غـالـبـةٌ لـكـنْ بـعـزمـك لـم يـتـرك لـهـا الـغَـلَـبُ

فالتجنيس في البيت الأول بقوله:(مدى – المدى)وفي البيت الثاني:(عمرك – الأعمار)(الغَلَب – غالبت – غالبة) أعطى للمعنى توسعًا وقوةً خاصةً وأن المعنى يطلبه؛ حيث يريد الشاعر أن يخاطب البطل ويحدثه عن آثاره وأفضاله، وأن العمر لا يقاس بالسنين، بل يقاس بالأعمال المقدمة، وأن تقدم عمره لم يحبسه عن النزال والجهاد حتى كانت له الغلبة والنصر والخلود، وقد تحقق للشاعر ما أراد من خلال جرس الجناس وإيقاعه المطرب.

ومن الجناس الذي تبدو فيه الصنعة، وإن أفاد المضمون ظهورًا ووضوحًا، وفرغ في النص إيقاعًا، وملأه حركةً ما جاء في قصيدة (أبو الثورات والثوار) لإسماعيل بخيت (٤):

يـا مـن بـه تـتـشـامـخ الأشـعـار والـنـثـر والشـعـراء والـنـثـار

حُـمِـلَـت إلـيـه قـلـوبـهـم وعـقـولـهـم حَـمْـلَ الـمشـوقِ، وطُـوِّفَ الـنـظَّـارُ

يـا أمـن مـن حـرمـوا الأمـان وغُـرِبُـوا بـديـارهـم ورمـتـهـمـو الأقـدارُ

وسـلامَ من عصـف الـدمـارُ بسـلْمِهم وبـعـزهـم قـد أزرت الأغـيـارُ

ذكـراك تسـكـنـنـا ونسـكـنـهـا ومـا عـزَّ الـتـذكـرُ عُـزِّزَ الـتـذكـارُ

يـا مـجـدَ أمـجـادِ الأمـاجـدِ يـا أبـا ال ثـوراتِ والـثـوارِ يـا مـخـتـارُ

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة، للإمام أبي بكرعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، ص ٧، ٨ ط/ مطبعة المدني بالقاهرة.بتصرف واختصار.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢١٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٠ .

(٤) عمر المختار قدوة الجهاد ص ١٣٣.

ألـهـمـت أطـفـال الـحـجـارة رشـــدهـم فـإذا هـمـو قـبـل الـكِـبـارِ كـبـارُ
جـحـدوا الـطـفـولـةَ، والـطـفـولـةُ لـم تـزلْ تـحـدوهـمـو، وتـمـردوا واخـتـاروا
نـهـج الأُلـىَ عشـــقـوا الـفـداء وإنـهـم رغـم اخضـــرار قـلـوبـهـم ثـوارُ

وعلى ما في بعض التجانسات من تكلف إلا أن لفظها يعاضد معناها ويراعى فيها المواءة بين اللفظ والمعنى، فالتجنيس" لا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى، ووازى مصنوعُه مطبوعَه مع مراعاة النظير وتمكن القرائن [١]"

ومن جميل التجنيس الذي أكسب النص نغمًا – وإن كان موجعًا– إلا أنه مؤثرٌ مع هدوئه ما ورد في قصيدة (مشوار المختار) لمحمد وجدي شبانة، حيث يقول[٢]:

تُـهـتَ يـا شـعـبُ عـن الـقـصـد الـذي تـبـتـغـيـه، فـإلـى أيـن الـمـفـر؟
كـافـح الـمـحـتـل انـهـض انـتـفـض ثُـرْ فـأحـوالـك أمسـت لا تسـر
انسـلـخ عـن جـلـدك الـمـيـت أو مُـت عـزيـزا ولـلـيـبـيـا فـاعـتـذر
أرضـك الـحـرة أمسـت خـبـرًا وعـلـى هـامشـه ألـف خـبـر

ليتضح لنا من خلال النماذج والشواهد السابقة أن الجناس في قصائد بطولة المختارعبَّر الشاعر من خلاله عن آماله وآلامه، وعن حالته الوجدانية؛ مواكبًا بين شكله ومضمونه، ومعادلًا بين لفظه ومعناه، كما أن اتحاد الوزن واتفاق الحروف أو تقاربها أفاد ترجيعًا نغميًا جميلًا، ومن خلاله استطاع الشاعر مناجاة الوجدان ومخاطبة العقل فكان بمثابة مؤثرات صوتية صنعت بنية إيقاعية شحنت لغة النص بالعواطف والانفعالات، وجعلت النص أكثر عمقًا وتأثيرًا حتى وإن جاء بعضها متكلفًا أو مصطنعا.

(١) زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، تأليف الشيخ أحمد الحملاوي ص ١٣٦، ط/ المكتبة التوفيقية – القاهرة بدون.ت.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٠.

المطلب الثاني: المستوى التركيبي.

أولا: الاستفهام

تتيح قدرات أسلوب الاستفهام وإمكاناته على إبراز تجربة الشاعر وإثراء النص طالما أن الشاعر قادرٌ على استخدامه استخدامًا فنيًا(١)

هذا والاستفهام – على كثرته – في القصائد التي عنيت بالمختار بطلا لم يأت بمعناه المتعارف عليه من الاستخبار أو طلب رفع الجهل المبني على عدم المعرفة، ولكنه خرج إلى معانٍ أخرى يقصد إليها الشاعر من استحضار البطل في هالة من الماضي المجيد أمام الحاضر الأليم في حوار استفهامي يقصد به في غالب الأمر التمني أو التحسر... وهو أيضا تعبير عن لحظات القلق أوالتوتر التي تنتاب الشاعر المعاصر إزاء قضاياه ومشاكله، في بحثه الدؤوب عن المعرفة والاطمئنان والسكينة؛ ليبقى النص حيًّا غضًّا بالاحتمالات، ويجد المتلقي أنه أمام نصٍ أدبي يصنع له حراكًا فكريًا ماتعًا من خلال التوظيف الجمالي للاستفهام، لاسيما وأن " ما تشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدق من أن نحدده تحديدًا تامًا، وأن المعاني التي تشير إليها هي بطبيعتها خفية غائبة لا تستطيع وصفها بإحاطة وسيطرة(٢)"

وقد استخدم شعراؤنا الاستفهام بتنوع دلالته؛ ليدلل على مرادهم في محاولة لجذب المتلقي نحو النص، فيصير النص مُغريًا له وممتعًا أيضا، كما كان وسيلةً من وسائل التعبير النفسي والجمالي عند الناظم، لاسيما إذا جاءت أداته على نمط من التتابع التكراري، ومن هذا النسق قول عبد المجيد فرغلي في قصيدته (رَائِدُ الْثُّوَّارِ) (٣):

---

(١) ينظر: أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، د/ حسني عبد الجليل يوسف،ص ٣، ط/ دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة بدون ت.

(٢) دلالات التراكيب، د. محمد محمد أبو موسى، ص ٢١٨، ط/ مكتبة وهبة، القاهرة .

(٣) عبد المجيد فرغلى محمد رفاعى النخيلى(١٩٣٢-٢٠٠٩م)المؤهلات العلمية : كفاءة التعليم عام ١٩٥٢ – دبلوم بعثة راقى عام ١٩٦١ – ليسانس الحقوق عام ١٩٧٧ .-عمل مفتش تحقيقات بالتربية والتعليم من عام ١٩٧٨ حتى عام ١٩٩٢ .- عميد نادى أدب ثقافة صدفا التابعة لمديرية الثقافة بأسيوط من عام ١٩٨٠ حتى وفاته، مؤلفاته الشعرية:(١) يقظة من رقاد.(٢) العملاق الثائر(٣) ديوان أشواق (٤) ملحمة الخليل إبراهيم .. فى أربعة عشر جزء..

أَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ الْمُخْتَارُ علمهم.. بِأسْ الْإِرَادَةِ إِنْ حُفَّتْ بِهَا الْغِيَرُ؟
أَمَّا غَدا عُمَرُ الْمُخْتَارُ قُدْوَتهمْ.. وْثَائِرُ الْعُرْبِ لَمْ يَحْلُلْ بِهِ خَوَرٌ؟
أَلَمْ يَكُنْ قَاوِمْ الطُّلْيَانَ فِيْ ثِقَةٍ.. عِشْرِيْنَ عَاما زَهَتْ فِيْ جِيْدِهَا الْدُّرَرُ؟
كَمْ قَدَم الْبَطَلُ الْمُخْتَارُ مُعْجِزَةً.. ظَلَّتْ بِهَا حِقَبُ الْتَّارِيْخِ تَزْدَهِرُ؟
كَمْ أَيَّدْ الْلَّهُ عَزْمَ الْبَاسِلِيْنَ بِهَا.. ضِدَّ الْغُزَاةِ وَأَبْطَالُ الْفِدْيَ نُصِرُوْا؟
يَا شَيْخَنَا يَا أَبَا الْثُّوَّارِ فِيْ وَطَنٍ.. فِيْهِ الْنُّبُوَّاتِ مِنْهَا لِلْهَدْيِ أَثَر
أَلَمْ تَكُنْ قَائِدًا لِلْثَّائِرِينَ عَلَى.. عَسَف الْطُّغَاةِ وَمِنْهُمْ لِلْعِدَا نَذَر؟
ألم يك العُرب ماضيهم يشرفهم وحاضرٌ فيه للغادين مدخر؟
ألم يكن عمر المختار ألَّفنا في حبل ودٍّ له الأرواح تنهمرُ؟
ألم يكن في "سلوق" خط فكرتها كم في "سلوق" و"بنغازي" لها سير؟
أما غدا فرسٌ يصغي لفارسه ويعرف السر ما وراءه مستتر؟
كم في ذرا جبل بالدوح مشتمل لبى نداء الفدا ماعنه معتذر؟
ألست ياعمر المختار قدوتنا وقائد الزحف منه الفكر والنظر؟

ففي هذه القصيدة يستخدم الشاعر أكثر من أداة من أدوات الاستفهام ويحشد تحتها معاني متعددة، ويحمل في طياتها أنفاس صدره الحبيسة بين التقرير الذي يحمل في طياته الفخر والإعجاب بقوله: أَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ الْمُخْتَارُ علمهم؟ ... أَمَّا غَدا عُمَرُ الْمُخْتَارُ قُدْوَتهمْ ؟.... أَلَمْ يَكُنْ قَاوِمْ الْطُّلْيَانَ فِيْ ثِقَةٍ ؟

كمسرحيات شعرية منفصله متصله منذ الخلق وحتى الرسالة المحمدية مرورا بالرسالات السماوية .. باللغة العربية الفصحى..(٥) ملحمة السيرة الهلالية .. مسرحية شعرية باللغة العربية الفصحى فى عدة أجزاء (٦) ديوان عودة إلى الله .(٧) ديوان مسافر فى بحر عينين.(٨ مسرحية شعرية نداء من القدس(٩) مسرحية شعرية رابعة العدوية.(١٠) القصائد العذرية فى المعارضات الشعرية (١١) المطارحات الشعرية بين التراث والمعاصرة بينه وبين أبى نواس ..(١٢) ديوان على برج الخيال . (١٣) ديوان درة فى اللهيب (١٤) ديوان العروبة وعودة فلسطين مسرحية .(١٥) شروق الأندلس – مسرحية شعرية . (١٦) ديوان محمد الدرة رمز الفدى (١٧) ديوان عاشقة القمر المودع (١٨ديوان رسائل الأشواق المودع ، المرجع : منتديات مجلة أقلام الثقافية .

والاستنكار بقوله: أَلَمْ تَكُنْ قَائِدًا لِلثَّائِرِينَ؟ ألم يك العُرب ماضيهم يشرفهم؟ ألم يكن عمر المختار ألَّفنا؟..... ألست ياعمر المختار قدوتنا؟ وعلى هذا النسق سار خليل مطران حيث أورد الاستفهام في محمل التقرير والتصبر والتعزي بقوله:

لله يا عمر المختار حكمته ... في أن تلاقي ما لاقيت مظلوما
إن يقتلوك فما أن عجلوا أجلا ... قد كان، مذ كنت، مقدوراً ومحتوما
هل يملك الحي، لو دانت له أمم ... لأمر ربك تأخيراً وتقديما
لكنها عظة للشرق أوسعها ... مصابه بك في الإخلاد تجسيما
لعله مستفيق بعد هجعته ... أو مستقبل من الخسف الذي سيما

لكن عزيز فهمي في قصيدته (إلى روح عمر المختار) يرسل استفهامه حاملًا التعجب والإنكار، فيقول مخاطبا البطل الشهيد أن يطلق استفهامه المستنكر لشانقيه:

صلبوك حيًّا كيف ساغ لهم؟ ... يا للسماء لمن به ائتمروا!
قم يا شهيد المجرمين وصِح ... فيهم جهارًا أينما انتشروا
قم يا شهيد الذابحين وصِح ... هل من دَمِي في كأسكم أثرُ؟

ويصدِّر الشاعر أحمد محرم قصيدته باستفهاماته التي تحمل التقرير مرة والإنكار مرة بقوله:

هل الحرب إلا أن تطير الجماجم؟ ... أم البأس إلا ما تجيء الضراغم؟
وما الحتف إلا نزوةٌ من مخدعٍ ... تمادت به أوهامه والمزاعم؟
لقد خاب من ظن الأساطيل عدةً ... تقيه الردى إن قام للحرب قائم
ألست ترى ذؤبان روما ومالهم ... من الحتف في بطحاء برقة عاصم؟
فأين الوصايا والمواثيق جمةً ... وأين القوى مشدودةً والعزائم؟
وأين النهى موفورةً لا يزيغها ... من الأمل المكذوب ما ظن حالم؟

وعلى هذا النسق جاء الاستفهام عند فاطمة السيد في قصيدتها(الليث المنتصر)[1]:

(١) السابق، ص ١٨٧.

من يدفع الضيم عنا من يساندنا إلا العزائمُ والإيمانُ والبُتُرُ؟

لكن نوال مهنى في قصيدتها (ثائر الصحراء) تستخدم الاستفهام لمعنى آخر هو **التحسر** على خذلان الأمة لمقدساتها التي نادت فرسانها حتى أعياها النداء[١]:

القدس تدعو – من يجيب نداءها فترن فوق قبابها الأصداء؟

تسنهض الفرسان من غفواتهم أأتاك ياعمرُ الشهيدُ نداءُ؟

ومن **التحسر** أيضا ما جاء في قصيدة د.الحضيري (السلام الشامخ العادل)[٢]:

أين الإباءُ وأين الشيمُ من عُربٍ وأين دينُ الهدى داسه الغجر؟

وفيه إن جنحوا للسلم فاجنح لها هل أبدت السِّلمَ هذي الحيَّةُ الذَّكرُ؟

ومن الاستفهام **الإنكاري** ما جاء في قصيدة (عمر المختار- البطل الشهيد في موكب الشهداء) لسيد جبر[٣]:

كيف لم يفهم عدوٌ دينَنَا عندما يأتي إلينا بالوعيد؟

ومن **التعجب** قول عبد الغفار الدلاش في قصيدته (ذكرى الشهيد)[٤]

كيف يرنو القصيد نحو ذراكا يا شهابًا تسنم الأفلاكا؟

ومن التعجب أيضا ما جرى على لسان الشاعر د. محمد الوزير في قصيدته (قائد الشهداء) [٥]:

قل لي بربك كيف عدت معلمًا خصب العواطف ملهمًا فنانا؟

ورنوت نحو الشرق تفحص فجره أيُّ الليالي يحجب النيرانا؟

ماذا تُبَيِتُ للغداة وليلُنا عشيَتْ بصيرتُه فنام مهانا؟

---

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٥٤.

(٢) السابق، ص ٢٤٠.

(٣) السابق، ص ١٧١.

(٤) السابق، ص ١٩٢.

(٥) السابق، ص ٢٠٩.

فيم التفكر والزمانُ كما ترى يمْشي على أيامنا سكرانا؟
ماذا لديك وأنت سباق الخطى تهب الحياة وتستحث خطانا؟
أحببتُ حبك واجتررتُ صبابتي ونهلتُ ملء ربابتي ألحانا
أو كلُّ من شنقوه مثلُك هكذا يحيي السجين ويطلق السجانا؟

ومن استخدام الاستفهام **للتمني** قول د.عبد الغفار هلال في قصيدته (عمر سينزل) [١]:

من يذكر التاريخ من يهوى العلا من يستعيد سوابق الأمجاد؟
من يسأل الدنيا عن القوم الأُولى قرَّت بهن حواضرُ وبوادٍ؟
....
وأقول يا عمر الحبيب ألا تقي ذا الطفلَ من عدوانه المتمادي؟
وأقول يا عمر الحبيب أما لنا من نصرةٍ حمراءَ كالميكاد؟
وأقول يا عمر الحبيب أما هنا من موقف من جرأة الآسادِ؟

وفي هذا التكرار من التطريز ما يدل على إصرار الشاعر وإلحاحه على بقاء الأمل معقودًا بين أنامل الأجيال، وعلى جبين الأولاد والأحفاد، ويحول القصيدة إلى نسيج مستمدًا مادته من اللغة ومساره من الإيقاع ومداه من الدلالة.

ومن مزاوجة التقرير مع الإنكار والتحسر والتمني ما أورده إسماعيل بخيت في قصيدته (أبو الثورات والثوار) [٢]:

مختارُ ما التاريخ؟ قل إن لم يكن عِبرًا لها في نهجنا آثار؟!
وعلى سناها يستضاء سبيلنا وعلى هداها يستبان مسارُ
فحقائق التاريخ ملء سطورها حكمٌ... وفي طياتها أسرار
ومعالم التاريخ هي منائر للحائرين إذا سَروْا أو ساروا

(١) السابق، ص ، ١٢٩، ١٣٠.

(٢) السابق، ص ١٣٥، ١٣٦.

وأعـاظـم الـتـاريـخ هـم أسـلافـنـا في الـعـلـم والإعـمـار وهـو فـخـار
وهـم الأُلى ابـتـدعـوا حضـارات الـدُّنـا وهـمـو الـذيـن تسـودوا وأداروا
ومـفـاخـر الـتـاريـخ مـلـك يـمـيـنـنـا شـهـدت لـنـا الأزمـان والأمصـار
واليـوم تـحـت الشـمـس أيـن مكـانـنـا؟ ولـو أن مـنـا مـن إلـيـه يشـار
الأمـس كـان لـنـا وحـاضـرنـا سُـدى هـل في غـدٍ نـجـمٌ لـنـا ومـدارُ؟

فالشـاعر من خلال الاسـتفهام يبحث عن المكان والمكانة بين الأمم بعد أن تزيلنا الحضـارة، وانسلخنا من قيادة الأمم، ويبحث عن مجدٍ غابرٍ، ويستشرف مستقبلًا عساه أن يكون أفضلَ من حاضر؛ ليحمل الاستفهام في هذا المقطع وغيره من قصائد دراستنا عبق الماضي وجلال التاريخ وألم الحاضر وتطلعات المستقبل محفوفة بالأمل والتمني مرة والحسرة والتوجع مرة. ومنه قول د. محمد الوزير في قصيدة (معلم الأجيال الاستشهاد) (١):

مـن ذا يصـب الأمـس في أيـامـنـا ويـعـيـد ذكـرى الـرفـض في بـلـوانـا؟

وهكذا تعددت صـور الاسـتفهام وتمازجت وتداخلت؛ لتعبرعما يشـعر به الشـاعر وما يعترك أو يتصـارع في صـدره إزاء قضـايا عصـره ومجتمعه، وحين تتشـبع نفس الشـاعر بالإنكار أوالتعجب أوالتحسـر يلجأ إلى وسـيلة أسـلوبية يتنفس من خلالها أوينفس عن قلبه بها، وقد تولدت هذه الاسـتفهامات وغيرها مما ورد في قصـائد شـعرائنا من سـعة المدى المعنوي وتغذية السـياق، وتنوع الإيحاءات التي يلقيها الاسـتفهام في ذهن المتلقي، مع توافقها مع الموقف الذي سـيقت له والذي من أجله نظمت القصيدة.

(١) السابق، ص ٢١٢.

ثانيا: صيغ الحوار

لا شك أن الحوار يضيف عنصر التشويق والخيال للنص الشعري، ويقوم بتصوير المواقف، وبث الصراعات النفسية والأحاسيس بشكل أكثر واقعية وإقناع؛ لتأتي أبياته أكثر حيويّة وإثارة، وقد تعددت صور الحوار في الحديث عن البطل أو معه.

أ- ضمير التكلم

يستخدم الشاعر ضمير التكلم نيابة عن الشخصية المتحدث عنها عندما يشعر أن ثَمَّت تواصلًا وترابطًا بينها " فالشاعر يتخذ هذا الموقف من الشخصية حين يحس أن صلته بها قد بلغت حد الاتحاد والامتزاج بها، وأن الشخصية قادرة – بملامحها التراثية – على أن تحمل أبعاد تجربته الخاصة، ومن ثَمَّ فإنه يتحد بها ويتحدث بلسانها، بحيث يصبح الشاعر والشخصية كيانًا جديدًا هو الشاعر والشخصية معا[١]" ومن أبرزه ما صاغه الحبيب الجوهري على لسان المختار، فيقول في قصيدته (عمر المختار تحدى القهر)[٢]:

سلوا عني المدائن والديارا ... سلوا عني الفيافي والقفارا
سلوا عني نجوم الليل تترا ... سلوا عني الضحى وسلوا النهارا
سلوا عني الكهوف سلوا حقولًا ... سلوا عني الرياض سلوا الزَّهارا
سلوا عني الربا وسلوا جبالًا ... سلوا عني أخاديد الصحارى
سلوا عني عدوا صبَّ جامًا ... من الفتك اللعين وصبَّ نارا
سلوا الهيجاء عني ما توانى ... لي العزمُ الشديدُ سلوا الغمارا
سلوا الأسياف في حصن الأعادي ... رؤسًا أينعت ذلا وعارا
سلوا عني الورى كرا وفرا ... كعاصفة تماطرهم شرارا
أنا عمر تحدى القهر غصْبًا ... أنا المختار في زمن الحيارى
أنا الزلزال فوق الأرض رجْفًا ... سأرهقهم صُعُودًا وانحدارا

(١) استدعاء الشخصيات التراثية، د. علي عشري زايد ص ٢٠٩. ط/ ، دار الفكر العربي – القاهرة،١٩٩٧م.بتصرف واختصار.

(٢) عمر المختار قدوة الجهاد ص ٨٢.

سـأجعل ليليهم ليلاً كؤودًا وأجعل يومهم مُهْلاً وقارا
وأجعل من ترانيم الصحارى رُعودًا مُرْزقاتٍ واعتوارا
فإما النصر يأتينا لنحيا وإلا فالشهادةُ لا خيارا

فهذه القصيدة من بدايتها حتى نهايتها تجري على لسان المختار، وهذا دليل على مدى ارتباط الشاعر بشخصية البطل المختار حتى الاندماج في مستوى توظيفي مميز لا سيما عندما يستخدم ضمير المتكلم (عني)(أنا) ثم التصريح باسم (عمر) ليبرهن على تمثيل ومعايشة لشخصية البطل المختار، والقصيدة في جملتها بكل ما تحمله من تعبيرات بضمير التكلم تدلل على تلبس الشاعر بالشخصية، كما أنها دليل على رسوخ شخصية المختار في وعي الشاعر، بل في الوعي الجمعي للمجتمع العربي؛ حيث نطق الشاعر بصوت البطل المحبوب لدى الجموع العربية وتحدث بضمير المتكلم حتى خُيل لنا وللمتلقي أننا نسمع نبرات صوت عمر المختار واعتزازه بذاته وجهاده ووطنه وعروبته وإسلامه، وبالاقتراب أكثر والتعمق في أغوار القصيدة سيتكشف لنا أن ما جاء على لسان البطل لم يكن سوى قناعٍ حاول الشاعر من خلاله أن ينطق بلسان البطل فيتجاوب صوته الداخلي (الضمني) مع صوت البطل (المباشر).

وقد أتاحت وسيلة **القناع** للشاعر أن يستنهض الشخصية التراثية من رقدتها، وينفض عنها غبار النسيان، ويعيد للأذهان مواقفه وأمجاده وأحلامه، وما يلائم مواقف حياتنا المعاصرة منها، ومن ثَمَّ صارت قصيدته وقضيته أكثر شمولية وأوسع رحابة في جوانبها الفكرية أو الإنسانية، ومما جاء من هذا اللون ما جاء في قصيدة (عمر سينزل – أمنية طفل فلسطيني) د. عبد الغفار هلال[1]:

والمسلمون الصامتون يرونهم وجراحهم لم تندمل بضمادِ
نادوا أيا عمرُ الجوادُ وصوتُهُ دوَّى أجيبُ صريخَ كلِّ منادِ
إني سليلُ أعزةٍ لا أنحني للضَّيْم كالآباء والأجدادِ
هم علمونا أن نشقَّ دروبهم مثلَ البنين وسائر الأحفاد
حتى يعودَ النازحون لدورهم ويعودَ صبحُ الحرِّ بعدَ بعادِ

فالشاعر عبر من خلال قناعه عن كبرى القضايا التي تؤرقه وتقض عليه مضجعه وكذلك تفعل بكل حُرٍ

(١) عمر المختار قدوة الجهاد ص ١٣١.

أبِّي من أبناء هذا الوطن الكبير، متجاوزًا بذلك النزعة الرومانسية أو الغنائية الفردية إلى الموضوعية أو الغنائية الدرامية[١] حيث صار النص الشعري والشخصية موظفين لإثارة الوعي الجمعي، والتحدث عن قضاياه، وعن كل متلاحم مع أحلام المجتمع التي يكتمها ولا يبوح بها لإحساسه بالعجز أو استسلامه لليأس والاستحالة، وعليه لم يعد النص ملكًا للشاعر، وإن تضمن رؤيته لذاته أو لمجتمعه.

كما لا نغفل كم أسهم هذا اللون من التحدث بضمير التكلم على لسان البطل (القناع) في تشكيل تجربة الشاعر، وعبر عن معاناته ووسع فضاءها؛ متحدثًا من خلال البطل وبه عن معاناته وتجاربه، ويبرز ذلك بوضوح من خلال قصيدة د.محمود خليفة غانم (صوت من الجبل الأخضر) وعدد أبياتها ثمانية وستون ومائة بيتًا معتمدًا على صيغة التكلم متحدثًا بلسان البطل من أول القصيدة إلى آخرها ، وفي مطلعها يقول[٢]:

آهٍ ربَّاه طالت رقدتي بعد شنقي، هب لقومي بعثتي

---

(١) ينظر: قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر – تحليل الظاهرة، عبد الرحمن بسيسو ص ٨٢،ط/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٩م.

(٢) عمر المختار: الذكرى الثامنة والستين لاستشهاد عمر المختار، ص ١٣١ وما بعدها. محمود محمد خليفة غانم (١٩٣٧ – ٢٠٠٧ م) التحق بكلية الآداب – جامعة عين شمس (قسم اللغة العربية)، وتخرج فيها عام (١٩٦١)، ثم أكمل دارساته العليا حتى نال درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الإنسانية – بنيودلهي عام (١٩٨٩)، ثم نال الدكتوراه الثقافية في الآداب في برتسون إريزونا – أمريكا عام (١٩٨٨).تدرج في أعمال إدارية وفنية متعددة بوزارة التعليم العالي منذ عام (١٩٦٢) بدءًا بالتدريس في المرحلة الثانوية، ثم رئيس قسم، ثم مدير إدارة، ثم ملحقًا ثقافيًا لمصر في الهند.كان عضوًا في العديد من الأندية والجمعيات المحلية والدولية، ومنها: جمعية الأدباء والفنانين الشبان، وهيئة خريجي الجامعات، وجمعية العقاد الأدبية، والرابطة الإسلامية، وغيرها.كان يشارك بشعره في العديد من المناسبات والأنشطة العامة المختلفة.

الإنتاج الشعري: – له حوالي ثلاثين ديوانًا شعريًا، طبع منها: «قاسم مظهر في دموع الشعراء» بالاشتراك مع آخرين – و «ملحمة العبور» بالاشتراك مع آخرين – العبور الثاني بالاشتراك مع آخرين – خذني إليك وغير ذلك كثير، له قصائد نشرت مفردة على صفحات الجرائد اليومية.حصل على ميدالية الملك فيصل عام ١٩٨٦ .المرجع: معجم البابطين٧٠٦٧.

إنـــني أشـــتـــاق لـلســـيـف الـذي كـــان ظـلـــي بـيـرقًـا في غـزوتـي
أيـهـا الســـائـل عـنـي: مـن أنـا؟ أنـا مـن بـطـنـان وابـن الـدفـنـةِ
طـبـرقـي عـربـي مـحـتـدي ابـن أفـريـقـيـا فـفـيـهـا نـبـتـتـي
مـوطـنـي الإســـلام، لـيـبـيـا في دمـي زورق الـــحـــب وروح الـــثـــورةِ

ب - ضمير الغائب:

يلجأ الشـاعر إلى ضـمير الغائب إذا ما أراد التحدث عن الشـخصـية كخطوة أولى في اسـتدعائها أو استحضار حدثٍ من أحداث حياتها، وهذه الصيغة دار عليها عدد كبير من قصائد البحث، سواء أظهر الضمير في السياق أم أُضْمِر، وهو أسلوب مناسب لقصِّ وقائعِ البطل وأمجادِه ، كوظيفة من وظيفة هذا النوع من القصائد، ومن ذلك قول رشاد محمد يوسف في قصيدته (عمر المختار) [١]:

ســـتـظـل تـذكـره الـجـمـوع مـهـابـةً ويـحـيـطـه الـتـكـريـم والإكـبـارُ
رمـزُ الـبـطـولـة والشـــهـادة والـفـدا رمـزُ الـجـهـاد هـنـا هـو الـمـخـتـار
قـتـلـوه، لا والله إن حـيـاتـه ســـتـظـلُ ســـاطـعـةً بـهـا الأنـوارُ
مـا غـاب عـنـا أو تـوارى طـيـفُـه هـو في الـخـاطـر شـعـلـةٌ ومـنـارُ
هـو في حـنـايـا كـل قـلـبٍ ثـورةٌ وعـقـيـدةٌ يـزهـو بـهـا الـثـوارُ
هـو أســـوة مـثـلـى لـكـل مـجـاهـدٍ تســـمـو بـهـا الأشـــعـارُ والأتـارُ

فالشـاعر قد اسـتخدم ضـمير الغائب ظاهرًا ومضـمرًا، في حديثٍ ماتعٍ عن قيمة البطل وبقائه حيًّا في ذاكرتنا، وقد يأتي بالضمير مستترًا لا يبوح به ولا يفصح عنه تاركًا النص وذهن المتلقي يبرزانه، ومنه ما ذكرته فاطمة السيد في قصيدتها (ليث اسمه عمر)[٢]:

يـا ســـائـل البـيـد هـل أنبئت عن بطـلٍ نضـــالُـه صـــفـحـةٌ زينـتْ بـهـا السُّـــطُـرُ
شـــيـخٌ كـمـيٌّ تـحـدَّثْ عـن مـواقِـفـه وعـن شـــجـاعـةِ لـيـثٍ اســـمـه عـمـرُ

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٥.

من روَّع الآثـمَ العـادي ولـقَّـنـه ... درسًـا أشـادت بـه الأجيالُ والعُصُـرُ
زئـيـره يـنـذر الـغـازي ويـعـلُـنُـه ... أنَّ الـمـنـون بسـاح الـحـرب يـنـتـظرُ
كـأنـه ضـيـغـم والـبـيـضُ مشـرعـةٌ ... والـحـربُ دائـرةٌ والـنـارُ تسـتـعـرُ
وكـلُّ حـبـة رمـلٍ عـن بسـالـتـه ... غـنَّـت ورددت الآكـامُ والشـجـرُ
بكـل شِـعـبٍ وسـهـلٍ خـاض معركـةً ... والشـعـبُ في ركـبـه بـالـمـدِّ يـفـتـخرُ
مـجـاهـدٌ في سـبـيـل الـحـقِّ مـا وهـنـتْ ... مـنـه الـعـزيـمـةُ لـم تـفـلـل لـه بُـتُـرُ

ومنه أيضا ما ذكره د.عبد الغفار هلال في قصيدته (عمرسينزل..)[١]:

عـمـر سـيـنـزل مـن سـمـا أجـدادي ... يـحـمـي الـحِـمـي مـن ذلـك الـجـلاد
ظـهـري تـمـزقـه الـقـنـابـل وابـلًا ... غشـى الـعـيـون بصـرخـتـي في الـوادي
نـام الـجـمـيـع وبِـتُّ وحـدي سـاهـدًا ... أتـجـرع الآهـات مـلء فـؤادي
إني امتشـقـت حسـام حقي مصـلـتا ... ووهـبـتـه روحـي فـداءَ بـلادي
عـمـر سـيـأتـي إنَّـنِـي مـتـلـهـفٌ ... كـيـمـا أراه بـجـحـفـل الـقـوادِ
عـمـر سـيـنـقـذني بـعـزمـة فـارسٍ ... لا يسـتـكـيـن ولا يـذل لـعـادِ

وتعبيره بالأفعال المضارعة (سينزل – يحمي – سيأتي – أراه – سينقذني – لا يستكين...) يعضد حديثه عن الغائب، وليبرهن على أن فارسَه الغائب جسدًا، حاضرٌ روحًا ونهجًا، وأن الأمة سيبعث فيها على غرار المختار من يخلصها من كبوتها ويزيح عنها مآسيها، وهذا نمط جديد وطريف في التعامل مع شخصية البطل وتوظيفها، ويظهر من" أنه لا يتم عن طريق سرد العناصر الأسطورية وحشدها، وإنما عن طريق إحيائها من جديد بفضل الدلالة الجديدة التي تكتسبها، واكتساب هذه العناصر القديمة النضارة والحيوية ما يكفي لاستيعاب كل التجارب الحديثة [٢]" ومن هنا يتم التواصل الحي النشط بين البطل والشاعر والجماهير على مدى العصور؛ ليبقى حيًّا في الأذهان، نبضًا في القلوب، وتستمر رحلة التأثير والتأثر والأخذ والعطاء.

(١) عمر المختار قدوة المجاهدين د. محمد حامد الحضيري ص ١٢٩.

(٢) استدعاء الشخصيات التراثية، د. علي عشري زايد ص ٦١. بتصرف واختصار.

ج- الخطاب: -

في ظل رحيل الشاعر إلى الشخصيات المؤثرة عبر التاريخ، ومع حديث الشعر عن البطل وانطلاقه من ذلك للحديث إليه لإسقاط أبعاد التجربة الموضوعية على ملامح البطل المختارة للحديث عنها أو إليها؛ لتمتزج ملامح البطل بملامح الشاعر وتتشابه آلامهم، وتتقارب آمالهم، ويمثل خطاب الشاعر للبطل بُعدًا آخر من أبعاد جدلية الاستدعاء والمحاورة سواء بالمخاطبة بالضمير(أنت)(تاء الخطاب) (كاف الخطاب)أو بالنداء، أو فعل الأمر، أو إرسال رسالة، أو تخيل اللقاء....

وقد كثرت ألوان الخطاب بين الشاعر والبطل المختار فيما بين أيدينا من قصائد؛ لتشير تلك القصائد إلى العلاقة القائمة بين الشاعر والبطل والاستحضار والمصاحبة، ومن عيون القصائد التي وجهت الخطاب للبطل المختار تمجده وتعطيه قدره وحقه وتبرز أسباب خلوده قصيدة (إلى روح الشّهيد عمر المختار) لعلي النحوي:

مـنْ عـمـرِ مَـنْ شـنـقـوكَ عـمـرُكَ أطـولُ ... فـالله قـدَّر أن تـظـل ويـرحـلـوا

أعـطـاكَ الـخـلـودَ فـمـا انـبـنـى ... لـكَ في القلوبِ سـوى المحبّةِ منزلُ

يـا سـيّـدَ الصّـحـراءِ يـا أسـدَ الوغى ... خـيـلٌ بـروحِـكَ بـالـحـميّـةِ تصـهـلُ

وشـكـيـمـةٌ لـو أنّـهـا امـتـدّتْ إلـى ... شـوسِ الـرّجـالِ لأرعـدتْ وتـزلـزلـوا

في كـفّـكَ الـيـمـنـى الـحسـامُ مُشـرّعٌ ... وبـكـفّـكَ الـيسـرى الـزّمـانُ يـهـلّـلُ

وعـلـى جـبـيـنِكَ لـلـحـيـاةِ وأنـتَ مِـنْ ... آلِ الـخـلـودِ قـيـامـتـانِ ومشـعـلُ !!

آمـنـتُ أنّـكَ فـكـرةُ الشّـمـسِ الـتـي ... مـهـمـا طـغـى سـيـلُ الـدّجـى لا تـأفـلُ

هـمْ يـرحـلـونَ لأنّـكَ الـبـطـلُ الـذي ... قـدْ قـالَ: إنّـا هـا هـنـا فـلـيـرحـلـوا

كـانـوا عـلـى ظـهـرِ الـجـحـيـم وجـئـتَ مِنْ ... أقـصـى الـمـديـنـةِ حـافـيـًا فـتـرجّـلـوا

لله درّكَ سـاومـوكَ فـبـعـتَـهـمْ ... بـصـلـيـلِ سـيـفٍ في الـوغـى لا يَـخـذِلُ

وركـبـتَ صـهـوةَ غَـيْـرةٍ عـربـيّـةٍ ... بسـوى الـمـنـونِ أوِ الـعـلا لاتُشـغَـلُ

عـيـنـاكَ مـا نـامـتْ ولا رمـقـتْ سـوى ... كـريـمـةٍ وطـنٍ لـكـل يـتـمـثـلُ

يـا بـاذلاً روحَـكَ هـل تـرى ... غـيـرَ الـنّـفـوسِ لأجـلِ أرضٍ تُـبـذلُ ؟!

أوقـدتَ بـالـمسـرى فـؤادَكَ واللـظـى ... يضـرى وقـلـبُـكَ زاهـرٌ لا يـذبـلُ

ومشـيـتَ هونـًا حينما سـكـنَ الـدّجى ... فـكـأنّـمـا الـمسـرى لـديـكَ مـؤجّـلُ

فهذه القصيدة بهذا النمط الخطابي تمثل لوحة حية استخدم فيها الشاعر ألفاظًا وتراكيبَ خطابيةً توحي بالحضور، وتشي بالتحاور(كاف الخطاب)بقوله: شنقوكَ عمرُكَ – أعطاكَ الخلودَ – لكَ في القلوبِ.. (النداء)بقوله: يا سيّدَ الصّحراءِ يا أسدَ الوغى.. ضمير الخطاب (أنت)كقوله: وأنتَ مِنْ آلِ الخلودِ.....لتبرهن على أن ما يمتلكه البطل المختار في النفوس من مكانة لا تغيب ومنزلة لا تبلى، بل تجددها الأحداث وتوقظها الوقائع، وبقدر حاجة الأمة إليه (كبطل) كان الاستدعاء، وقام الحوار وجاء الخطاب بأدواته المختلفة، ومن الخطاب بكاف الخطاب مصحوبًا بالنداء والتاء ما جاء في قصيدة (للناس عندك حرمة) لمحمد رشاد محمود، ويبدأها بقوله(١):

أغرى بنهجك في النَّدى التذكارُ واستوحشت سُدَفَ الظلامِ النارُ
وبكاك في الأشجان خُدَّانُ السُّرى أنْ سُهِّدُوا واستخمد الثوارُ
يا مُرْغِمًا أنفَ العتيِّ تسومه خسفًا ومالك في المذلة جارُ
لا تعتفي أثرَ الجريحِ وتذدري أن يستذلَّ حِمى الأسير إسارُ
للناس عندك حرمة وكرامةٌ حاز العُداةَ بها لديك زمارُ

ففي مطلع القصيدة يجري الشاعر مع البطل حوارًا متعدد الأدوات، وليس القصد منه – من وجهة نظري – ذكر مآثر البطل وأخلاقه، فالمقام ليس سرد صفات وحمد سجايا، بل ليقارن صنيعه والتزامه إزاء أعدائه، حيث يقول:

فاخلد فقد ضَرَتْ الخطوبُ وأنْشَبتْ أظفارَها في السُجِدِ الأوزارُ
في البوسنة اجتُثُّوا وفي كشميرَ لم يُرْثَوْا وللصومالِ سِيمَ دمارُ
وعرت فلبينُ الرَّزايا وانبرى يُصْلِي فلسطينَ الأباةِ أُوارُ
يدعوك للنور القتارُ فليتها فدتك يوم قضائك الأحرارُ
من كان مثلك لا يُجحد فضله وبلاؤه لو تُخْمِلُ الأقْدارُ

فالشاعر –فوق حشد العديد من أدوات الخطاب– يصب في الحوار تجربته المعاشة وما تعانيه

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٨٢.

الشعوب التي كان المختار ملاذها؛ ليبرز من خلال حواره ومخاطبته للبطل مدى المعاناة التي تعيشها الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وليصب تجربته ورؤيته لواقعه في حواره ومناجاته للبطل، هروبًا من السرد القصصي أو التأريخ للأحداث، لتتجلى هنا قيمة جدلية الخطاب والحضور والغياب في حديث شعرائنا عن البطل المختار، ومن ذلك ماجاء في قصيدة عبد الحميد فارس (معلم الزمان) (١):

يا شيخنا إن الشعوب بحاجة ... لك في الجهاد به تفوز وتنعمُ
يا شيخُ قُمْ وانظر لأمتك التي ... كادت لكثرة ما بها تتهدمُ
وانشر على الدنيا لواء كفاحها ... إنَّ الجهادَ شفاؤها والبلسمُ

ومنه أيضا حوار د. محمد الوزير مع المختار واستدعاؤه في قصيدته (قائد الشهداء) (٢):

أقبلت في الميعاد سبَّاق الخطى ... تحدو السفين وترشد الربانا
ورجعت يا ما أجدرَ الرُّجعى بأن ... ترعى الرياح وتعصم الشطآنا!
وجِّد شتاتَ المسلمين ووصِّهم ... أن يجمعوا القرآن والسلطانا
أرأيت كيف طوى الزمانُ صباحهم ... قِطَعًا وبات رعاتُهم حِملانا
أما جئت في الأمس القريب مُسَلِّمًا ... أين السلامُ الآن من دنيانا
يا قائد الشهداء في ساحاتنا ... ما زلت في جناتهم رضوانا
لبيك داعيةَ الخلاص ومرحبا ... بالحرب إيذانًا به وأمانا
أنموت أم نمضي إليك ونقتضي ... ما صُنْت في رئة الخلود وصانا
يا أيها الفجر الشجاع أضيء دمي ... تزْكُ العروقُ وتحسِنُ الغليانا
تتنفس الإيمانَ عندك مهجةٌ ... حرَّى تخاف الله والكتمانا
والذكريات كوجه عقبةَ حلوة ... تغشى العدو و تنفع الإنسانا

(١) عمر المختار– في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده، ص ١٥٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٨ وما بعدها.

قل لي بربك كيف عُدت معلمًا خصبَ العواطف ملهمًا فنانا
ورنوت نحوه الشرق تفحص فجره أيُّ الليالي يحجب النيرانا

وهنا تبرز قوة الاستحضار والاستدعاء بلغة خلت من السرد، واعتمدت على الحوار والمخاطبة المزدحمة بالأدوات المتنوعة، والتي تنم عن مدى هروب الشاعر ولجوئه للبطل المخلص والباعث للوجدان الجمعي للأمة التي فقدت هويتها في معركة الوجود.

ومن أبرز ما جاء في هذا الضرب من الحوار ما نص عليه الشاعر بأنه لقاءٌ متخيل رسمه خيال الشاعر المتشوق للقاء البطل، والشكاية له والبكاء على كتفه، ومنه ما ورد في قصيدة (تحية إلى الشهيد) لوحيد الدهشان [١]:

قابلته عبر الخيال فضمني بللتُ بالدمع السخين خدودا
وذكرتُ أقطاب النضال بعصرنا ركنًا مهيبا قائدًا وعقيدًا
لهم الجيوش تنام في سكناتها والقدسُ تشكو القهرَ والتهويدا
فانسابت الكلمات تنعي حاضرًا تعلي لمن بذلوا الدماء بنودا
أنت المقاوم عزمه لاينثني وليسألوا قبل العداة البيدا
أنت المفاوض لا يفرطُ ساعةً بالحق لا بالسيف كنت شديدا
أنت الإباءُ وجبهةٌ لا تنحني إلا لرب العالمين سجودا
والحر يبقى بالشهادة ذكره ويموت من عاشوا الحياة عبيدا

في هذه الأبيات يعكس الشاعر رؤيته – من خلال اللقاء المتخيل- في حال المجتمع وقادته بعد المختار، وكيف ركنوا للعجز واستسلموا للخنوع والخضوع، وترجم رسالته في بيته الأخير.

ومما جاء من هذا اللون قول د. عبد الغفار هلال في قصيدة (عمر سينزل) [٢]:

وأقول ياعمر الحبيب ألا تقي ذا الطفلَ من عدوانه المتمادي؟

(١) عمر المختار قدوة المجاهدين د. محمد حامد الحضيري ص ٦٠.

(٢) عمر المختار قدوة الجهاد ص ١٣١.

وأقـول يـاعـمـر الـحـبـيـب أمـا لـنـا مـن نصـــرةٍ حـمـراءَ كـالـمـيـكـاد؟
وأقـول يـاعـمـر الـحـبـيـب أمـا هـنـا مـن مـوقـف مـن جـرأة الآســادِ؟
أنـت الـذي دوَّخـت إيـطـالـيـا الـتـي عـاثـت بـأرض الـعُـرب بـالإفسـاد
كـفـاك مـا بـخـلـت بـحـمـل ســلاحـهـا مـا بـيـن طـعـنٍ واقـتـداح زنـادِ
أفـلا تـعـود فـتـمـلأ الـدنـيـا وغـىً مـمـا فـعـلـتَ بسـالـف الآبـادِ
أفـلا تـعـود فـيـفـرحَ الـدمـعُ الـذي جـادت بـه الأجـفـان دون نـفـادِ

وهكذا اتضح لنا كيف استخدم الشعراء لغة الخطاب وأدواته المتعددة لإقامة جسور من التواصل والتحاور مع البطل في يقين أنه في حال استدعائه سيغير خارطة العالم ويعيد موازين العدل لنصابها القويم، ويعيد للأمة مجدها الغابر وحقها السليب ويجفف دمع الباكين ويرفع الذل عن المستضعفين.

وعليه فاستدعاء الشخصيات والتحدث عنها أو إليها أو بها يعد وسيلة من الوسائل التعبيرية التي يلجأ إليها الشاعر المعاصر؛ لتحديث بنية القصيدة العربية، قصد الوصول إلى تشكيل رؤاه للعالم والكون، والتعبير عما يحس به من معاناة أمته.

ثالثًا: الالتفات:-

من جماليات الخطاب عند شعرائنا المعنيين بالمختار بطلًا التفاتهم من صيغة إلى أخرى من صيغ الخطاب، أو انتقالهم من صيغة لأخرى، ثم العودة للأولى، وهو " أسلوب شائع في القصائد الاستدعائية لدى الشعراء في العصر الحديث[1]" كما أنه فن بديع من فنون القول يشبه تحريك آلات التصوير التي تنتقل بالمُشاهِد من مشهد إلى مشهد آخر مختلف، ولكنه داخل في الإطار الكلي الذي يراد الإعلام به، مع ما يُحَقِّقُ به من الاقتصاد والإيجاز في العبارة، أضف إلى ذلك رفع السآمة من الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فيحسن الانتقال بينها، لأن الكلام المتوالي على ضمير واحد لا يستطاب، ولعل هذا الغرض من أهم الأغراض التي يساق لها الالتفات؛ لأن النفوس

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر السعودي، عبد الله بن خليفة السويكت (من عام ١٣٥١إلى ١٤٢٦هـ)دراسة تحليلية ونقدية، ص٣٨١، ط/ مؤتمر الأدباء السعوديين الثالث – الرياض ٢٠٠٩ م .

تستريح ويتجدد نشاطها وتذهب عنها السآمة إذا انتقل السياق من حال إلى حال وتغير لون الكلام.

وقد تعددت صور الالتفات عند شعرائنا في حوارهم عن المختار أو تحاورهم معه، مع اتحاد مرجعية الضمير (للمختار)ومن الأمثلة على ذلك قول شوقي:

رَكَزوا رُفاتَكَ في الرِمالِ لِواءَ يَستَنهِضُ الوادي صَباحَ مَساءَ

كَرُفاتِ نَسرٍ أَو بَقِيَّةِ ضَيغَمٍ باتا وَراءَ السافِياتِ هَباءَ

بَطَلُ البَداوَةِ لَم يَكُن يَغزو عَلى تَنَكٍ وَلَم يَكُ يَركَبُ الأَجواءَ

لَكِن أَخو خَيلٍ حَمى صَهَواتِها وَأَدارَ مِن أَعرافِها الهَيجاءَ

فقد بدأ قصيدته بمخاطبة البطل وإظهار فضله، ثم أتبعه بالحديث عنه -على طريق الالتفات من **الخطاب إلى الغيبة**- وهو كما ترى تحويل مسار، وكأني به يخاطبه في قرب موته، فلما تحدث عن أمجاده الممتدة عبر حقبة زمنية طويلة من الكفاح وقص بطولاته ناسب ذلك ضمير الغيبة مراعاة للامتداد الزمني، ومن ذلك أيضا ما جاء في قصيدة (أبا الأبطال) لعبد الغفار الدلاش [١]:

علوت على الذُّرا مجدًا وهاما وفقتَ الآخرين بها مَقاما

أبا الأبطال أنت بها حريٌّ وأنت الفجرُ يكتسحُ الظلاما

عبدت اللهَ في محراب حُرٍّ يقود جيوشه فيها قياما

ولقَّنت العِدا آياتِ فخرٍ وأنَّا لن نعيش بها نياما

وأنت الشمسُ تبدو في ضحاها فلم تترك على أفقٍ غماما

وللمختارِ والطليان سِفْرٌ يظل الدَّهرُ يرفعه وساما

فكم أصلى العدَّو لهيبَ نارٍ وأوقدها بهمته ضراما

ولقَّنهم دروسًا من شواظٍ على الأعداءِ تلتهم التهاما

ومن الالتفات من **الغيبة إلى الخطاب**، وهذا النمط " من أكثر أقسام الالتفات استعمالًا في الشعر الاستدعائي، لأن الشاعر الذي يجنح نحو النمط التسجيلي يبتدي قصيدته بالحديث عن الشخصية

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢٠٥.

التراثية وذكر مآثرها ثم ينتقل إلى خطابها [١]"

ومن أمثلة ذلك قصيدة (ليث اسمه عمر) لفاطمة السيد [٢]:

لم يُرْهِبِ الحُرَّ قيدٌ عضَّ معصمَه ... فصال يدفع لم يذعن لمن غدروا

وجنده خلفه شُمٌّ جبابرةٌ ... بين الفجاج كسيلٍ هدَّ ينحدر

مجاهدٌ في سبيل الحق ما وهنت ... منه العزيمةُ لم تفللْ له بُتُرُ

ورغم شيبٍ طغى والسنُّ أنهكه ... لكنَّه في النزالِ الوعدُ والقدرُ

يا خالد الذكر جاء الشعر محتفيًا ... في مهرجانك أضاءت أنجمُ زُهُرُ

وجئتُ بالغار إكليلا أعلقه ... على ضريحك منه العطر ينتشرُ

وفي هذه النماذج وغيرها يسعى الشاعر إلى التنويع الأسلوبي؛ ليطابق بين كلامه ومقتضى الحال، أضف إلى ذلك أن التنويع بالالتفات من صيغة إلى صيغة فيه " تنشيط السامع وإيقاظه للاستماع، لأن النفس مجبولةٌ على حبِّ المتجدد ، فإذا نقل الكلام من أسلوب إلى آخر كان أدعى للإقبال عليه [٣]".

وتظهر تلك النكات البلاغية والذوقية من صور الالتفات التي كثر ورودها في القصائد التي تصور بطولة المختار، ومن انتقال الشاعرمن **الخطاب إلى التكلم** ما ورد في قصيدة د. الحضيري (الفارس المغوار) فيقول[٤]:

وكنت حِميً وللإسلام سيفا ... ولقنت العِدى درسًا رهيبا

وكنت الرأي والإيمان يثُري ... وكنت عماد مَنْ نادى الشعوبا

وكنت الوقود كالبركان يغلي ... أدرت عليهم يومًا عصيبا

ولما أوجبوا إيقاف نارٍ ... فلم تقبل وكنت بذا مصيبا

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر السعودي، عبد الله بن خليفة السويكت، ص ٣٨٢، بتصرف يسير.

(٢) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٨٦.

(٣) زهرالربيع في المعاني والبيان والبديع، تأليف الشيخ أحمد الحملاوي ص ٦٣.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٦.

وقلتَ لهم: وكيف أبيع ديني؟ وكيف أبيع عرضي والسَّليبا؟
وإنْ فكت يداى فلن أبالي بأنْ أوريكم الشيء العجيبا
فأرمي وكركم نيرانَ حقدي وأصلي جندكم ناراً لهيبا

التردد بين صيغ الالتفات:

وهو أن ينتقل الشاعر من صيغة إلى أخرى، ثم يعود للأولى مرة أخرى، قصدًا لدفع الملل والسآمة وتجديدًا لنشاط المتلقي وتحفزه، ومن أمثلته قصيدة (عمر المختار..سلام عليك) لعمر أبي غريبة:

أجتازُ عَبرَ دِيارٍ جازَها عمَرُ وهالةٌ من سَنا المختارِ تنتشرُ
وتلك أمجادُه في الأرضِ ماثِلة في كلِّ رُكنٍ سَرى ذكرٌ له عَطِرُ
هذي خُطاهُ بِمَتْنِ البِيدِ بادِيةٌ كأنها حَبَقٌ في الأرضِ مُنْتَثَرُ
إنْ تقْصُصِ الرمل يحْكِ الرملُ وطأَتَهُ فكلُّ حبةِ رملٍ مسَّها أثرُ
من سيِّدٍ فارِهٍ في المجدِ مُكتَهِلٍ كأنما شيبُه غارٌ له نَضِرُ
يُزري بعزمِ شبابٍ طالما قعدوا إذا شبابُ الهوى من شيبِه سخروا
قد طأطأ الدهرُ للمختارِ معترفًا غلبْتَ أعوامَه فالدهرُ منكسِرُ
بعزمةٍ في صميمِ المجدِ راسخةٍ لم يثنِها جَلَلٌ والعزمُ مقتدرُ
وغضبةٍ لحِمى الإسلامِ ثائرةٍ تأبى الهوانَ لشعبٍ دَأْبُه الفَخَرُ
لمّا أغرَّ دفينَّ الحقدِ قوّتُه وانسلَّ يحدوهُ سوءُ النفسِ والغَرَرُ
حتى إذا حطَّ في المرسى مراكبَه نادتْك بُرقةُ والواحاتُ والثُّغُرُ
فقُمتَ تنفُخُ في كِير الوغى غضبًا والزّنْدُ يقدَحُ عزمًا مِلؤهُ شَرَرُ
تصولُ في غَمرةِ الأنواءِ تصفعها مجاهداً ما اعتراه الياسُ والخَوَرُ
وثائراً أسَداً من خلفِه أُسُدٌ كل البلادِ بأعقابِ العِدى عُمَرُ
أعيَيْتَ يا شيخُ في الساحاتِ حيلتَهم ورَنَّقَ الصَّفْوَ في أحلامِهم كَدَرُ
حتى كَبَتْ بك في غمْراتِها فَرَسٌ ما ردَّها قبلُ من أهوالِها الخطَرُ
لا يشمتنَّ عدوٌّ هدَّه طَرَدٌ إنْ نالَ صيداً فقد أعيا به الظفَرُ

قـد ســـاقـك اللهُ مـأســـوراً عـلـى قـدَرٍ ... مـنـه فـلا كـفـرَ إن أهـوى بـنـا الـقـدَرُ
وكـنـتَ مســتشـــهـدٍا من قبلِها فهدى ... إلـيـك أجـراً وأجـرُ الـقـتـلِ مـدَّخَـرُ
إذا اصـــطـفـى اللهُ عـبـداً زاد مـحـنـتَّه ... والله يـبـلـو الـذي أصـــفـى ويـخـتـبـرُ
فـجـيءَ بـالـحـبـلِ مشـــدوداً بـحـقـدِهِـمُ ... والـنـاسُ قـد جُـمِـعـوا والـمـوتُ يـبـتَـدِرُ
فـانـبَـتَّ حـبـلٌ مـن الأعـداءِ مـرتـعـشٌ ... كـذاك حـبـلُ دُعـاةِ الشـــرِّ مـنـبـتـرُ
مـا لُفَّ حول شَـــموخِ العُنْقِ يشـــنقها ... حـتـى تـبـاكـى عـلـى الأقـدامِ يـعـتـذرُ
تـفـاءل الشـــيـخُ والآجـالُ تـرمـقـه ... بـادتْ حـبـالُـكـمُ والـظـلـمُ مُـنـدثـرُ
لـمّـا تـرنّـح جسـمـًا مـا هـوى وعـلا ... فوق الرقـابِ وطرْفُ العِلجِ منحسـرُ
تـلـقّـفـتْـه أيـادٍ مـن مـلائـكـةٍ ... إنـا جزيـنـاهـمُ الحسـنى بـمـا صـبـروا
مـا زلـتَ يـا سـيـدي في أرضِـنـا علَمـًا ... يـلـتـفُّ مـن حـولِـه الأفـرادُ والـزُّمَـرُ
ولا يـزال لـك الـعِـرفـانُ مـتـصـلاً ... ومـا يـوفّـيـك عـرفـانٌ ولا شُـكُـرُ
وأنـت فـوق جـبـينِ الـمـجـدِ نـاصـيـةٌ ... وأنـت في مصـــطـلـى ديـجـورِنـا قـمـرُ
فـانـعـمْ بـرَوحٍ وريـحـانٍ ومـغـفـرةٍ ... تـتـرى.عـلـيـك ســلامُ اللهِ يـا عـمـرُ

فقد بدأ القصيدة مستخدما **ضمير الغائب** بقوله:

أجـتـازُ عَـبـرَ دِيـارٍ جـازَهـا عـمَـرُ ... وهـالـةٌ من سَـــنـا الـمـخـتـارِ تـنـتـشـرُ

ثم تحول إلى **الخطاب** بقوله:

فقُـمـتَ تـنـفُـخُ في كِـيـر الـوغـى غضـــبـًا ... والـزّنْـدُ يـقـدَحُ عـزمـًا مِـلـؤهُ شَـــرَرُ

ثم عاد لضمير **الغائب** مرةً أخرى بقوله:

تـفـاءل الشـــيـخُ والآجـالُ تـرمـقـه ... بـادتْ حـبـالُـكـمُ والـظـلـمُ مُـنـدثـرُ

ثم عاد **للخطاب** ثانيةً بقوله:

مـا زلـتَ يـا سـيـدي في أرضِـنـا علَمـًا ... يـلـتـفُّ مـن حـولِـه الأفـرادُ والـزُّمَـرُ
فـانـعـم بـروح وريـحـان ومـغـفـرةٍ ... تـتـرى.عـلـيـك ســلامُ اللهِ يـا عـمـرُ

وبهذه النماذج وغيرها الكثير مما ورد في قصائد شعرائنا يتضح لنا كيف نوَّعَ الشعراء في استخدامهم

للألوان الأسلوبية بما تقتضيه المقامات وما تراعى فيه الأحوال، واستثاروا بها ذهن السامع، ووظفوها لخدمة موضوعهم، وإظهار ثراء الشخصية وتعدد أبعادها.

رابعا: الاقتباس والتضمين

تمتاز اللغة العربية بأنها زاخرة بالأساليب البلاغية القادرة على الارتقاء بمستوى الأداء الفني؛ لتصل المعاني بكل سهولة ويسر لأسماع الحاضرين وعقولهم، وليتحقق الإمتاع اللفظي والعقلي في آنٍ واحد للمتلقين، ومن تلك الأساليب الاقتباس والتضمين، هذا ويقصد بالاقتباس عند البلاغيين بأنه " تضمين النثر أو الشعر شيئًا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف لا على أنه منه، ويجوز أن يُغَيَّر في الأثر المقتبس قليلاً[(١)]" والتضمين هو:" أن يضمن الشاعرُ كلامَه شيئًا من شعر الغير(شطرًا أو بيتًا) على سبيل الاستعارة، ويسمى استعانة وإيداع [(٢)] "

هذا وينصهر (الاقتباس والتضمين) في كثير من كتب النقد الحديث تحت مصطلح (التناص)، بمعنى دخول النصوص بعضها في بعض، سواء أكان ذلك عمداً أم من فيض العقل الباطن، إذ يشبهون النص الأدبي (بالفسيفساء) التي تتكون من عدة أحجار وألوان بشكل منسق جميل يمنحها شخصية مميزة مستقلة ننسى فيها تفاصيل الأحجار والألوان، والتي يقابلها في الشعر الألفاظ والصور، وعليه فالتّناص في النقد الحديث خروج نص قديم من العقل الباطن بإبداع جديد.

وخروجًا من الخلاف الاصطلاحي ووصولًا إلى غايتنا، والمتمثلة في تأثر البنية التركيبية عند شعرائنا بعامل الإدماج والإدخال سواء أكان اقتباسًا أم تضمينًا أم تناصًا؛ بحيث تكون منسجمة وموظفة، ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الشاعر، فالغاية المرجوة من هذه العملية تعني إعادة استخدام الكلام الذي مضى، وربط الماضي بالحاضر والأصالة بالمعاصرة والتراث بالحداثة،

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين أبي عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (الخطيب)، ص٣١٢، ط/ دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى،بيروت ٢٠٠٣م.

(٢) زهرالربيع في المعاني والبيان والبديع، تأليف الشيخ أحمد الحملاوي ص ١٧٩، المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل بديع يعقوب – د. ميشال عاصي ١ / ٤٢٦،ط/ دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

وكذلك ربط الأدب بغيره من الثقافات والفنون.

كما تكمن قيمة التناص الفنية في أنه يمثل حضـورًا للنص الآخر على سـبيل الاسـتمداد والموافقة، وليس على سبيل المناقضة أو المفارقة، حيث "يتحول التراث في كثير من الأحيان إلى رموز وعلامات واستعارات فنية وجمالية؛ لتوصيل الرسالة والخطاب إلى المتلقي، ويستعمل أيضا لتفادي التقريرية والتعيين والمباشرة من أجل تحقيق الإيحاء والانزياح والتضمين[١]".

هذا ويبقى التناص ممارسة إبداعية حقيقية وأصيلة متى توافرت فيه شروط التفنن والتجديد والصبغ.

وهومن الظواهر الأسلوبية التي ظهر توفرها في قصائد البطولة المتمثلة في عمر المختار، ومن صوره:

الاقتباس القرآني اللفظي (**النـصي**) ويقصـد بالاقتباس النصـي" الالتزام بلفظ النص القرآني لفظًا وتركيبًا[٢]" ومنه قول محمد وجدي شبانة في مطلع قصيدته (مشوار عمر المختار) [٣]:

دنـت السـاعـة وانْشـقَّ الـقـمـر واذْلـهـم الـخـطـب والـجـو اكـفـهـر

وكـأني بـالسـمـاء انـطـبـقـت فـوق هـذي الأرض والـفـكـر انـحسـر

فقوله: (دنت الساعة وانْشـقَّ القمر)مقتبس من صـدر سـورة القمر في قوله تعالى:"ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ[٤]"وقد اقتبس الشـاعر الصـورة القرآنية لنهاية الزمان وشـبه بها ما وقع إبان الاحتلال الإيطالي لليبيا والتنكيل والعذاب والفزع لشعبها على يد الطليان الذي يشبه حال الناس في نهاية الزمان، ومن ثمَّ صـار الاقتباس ذا قيمة جمالية في النص، ومنه أيضـا قول سـيد جبر في قصـيدته (في موكب

(١) استدعاء الشخصيات الإسلامية في شعر نزار قباني – د. رعد رفعة مولود، ص ٩٤ مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية العدد الخامس والأربعون – حزيران (يونيو) ٢٠١٨ م.

(٢) ينظر: القيم الجمالية في الشعر الأندلسي –عصر الخلافة والطوائف، د. آزاد محمد كريم الباجلاني،ص ٢٩٤،ط/ دار غيداء – عَمَّان ٢٠١٣م.

(٣) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٧٨.

(٤) سورة القمر الآية (١).

الشهداء)[١]:

اعـمـلـوا قـائـلـهـا الله لـنـا فـابـذلـوا في فـرضـه أقصـى جـهـود
وأعـدوا مـا اسـتـطـعـتـم قـوةً ذاك فـرض مـثـلـه فـرضُ الـسـجـود
اصـنـعـوا قـنـبـلـة ذريـة تـردعـوا أعـداءكـم قـرب الـحـدود

وقد اقتبس الشاعر في البيت الأول من قول الله تعالى:" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [٢]" وفي البيت الثاني من قوله تعالى:" وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ[٣]" فالشاعر أراد زيادة الدافعية وإلهاب حماس الجماهير، ولم يكن له معين يغترف منه جرعات حضٍ وحثٍ على الاستعداد والتجهز لأعدائنا أفضل من القرآن الكريم، وهذا ما سار عليه عبد الغفار الدلاش في قصيدته (أبا الأبطال) [٤]:

ولـكـنَّ الشـعـوبَ تـمـور مـورا وتـغـلـي مـن مـرارتـهـا دومـا

وهو مقتبس من قوله عز وجل:"يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا [٥]" معبرًا عن احتقان الشعوب وتأجج نار الغضب في صدورهم بمشهد اضطراب السماء وميورها كما يقول الإمام الطبري" تموج بعضها في بعض، وتحريكها لأمر الله. [٦]" وقد أعطى الشاعر زخمًا وحشد قواه التعبيرية في صورته مستمدًا ذلك

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٧٣.

(٢) سورة التوبة الآية:١٠٥

(٣) سورة الأنفال من الآية:٦٠

(٤) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢٠٥.

(٥) سورة الطور الآية:٩

(٦) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٢ / ٤٦١، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

من التصوير القرآني بالحقيقة، وجعل ما يدور في صدور الأمة ظاهرًا مشهودًا.

ومن هذا الإبداع التوظيفي للاقتباس ما أورده عبد المجيد فرغلي في قصيدته (عُمَرُ الْمُخْتَارِ رَائِدُ الْثُّوَّارِ):

وَفِيْ كَتَائِب جُنْدِ الْعَرَبِ أَلْوِيَةٌ مُدَرَّعَاتٌ وَفِيْ أَعْماقِهِمْ وَطَرُ
كَأَنَّهُمْ أَسَدُ غَابٍ فِيْ حَمَائِمِهُمْ (طَيْرُ الأَبَابِيلِ) لِلأَعْدَاءِ قَدْ حَصَرُوْا
أَبْطَالَهُمْ وَثَبَاتُ الْنَّصْرِ تَجْمَعُهُمْ (وَهُمْ أُلُوْفٌ) لَدَيَّ أَيْمَانهِمْ ظُفُرِ
....
مُدَرَّبُونَ عَلَيْ عِلْمٍ وَتَبْصِرَةٍ تَسْتَلْهِمُ الْبَاسَ مِنْ شَيْخٍ لَهُ بَصَرُ
يَحْتَالُ لِلْضَّرْبَةِ الْكُبْرَيَ يُصَوِّبُهَا (شُوَاظٌ نَارٍ)عَلَيَّ الأَعْدَاءِ يَسْتَعِرُ
(تُحَرَّفَا لْقِتَالِ) أَوْ مُهَاجَمَةً يَبْغِيَ اقْتِنَاصَ عُدَاةِ بِالْهَدْيِ كَفَرُوَا

فقوله:(طَيْرُ الأَبَابِيلِ) (وَهُمْ أُلُوْفٌ) (شُوَاظٌ نَارٍ) (تُحَرَّفَا لْقِتَالِ) هي اقتباسات من جمل وتراكيب قرآنية، هي على الترتيب قوله تعالى:" وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ " (١) "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ"(٢) " يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣)" " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (*)وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (*) (٤)".

وقد استطاع الشاعر توظيفها لخدمة معانيه وأفكاره وصبغ أسلوبه بصبغة جمالية فيها مسحة قدسية مستمدة من قدسية القرآن الكريم، لا سيما وهو يتحدث عن فريضة إسلامية (الجهاد) وعن فارس من فرسانها ورائد من روادها، ولا يخفى ما في الكلام من تآلف وانسجام بين الصور المقتبسة والمقتبس لها.

(١) سورة الفيل الآية: ٣
(٢) سورة البقرة الآية:(٢٤٣)
(٣) سورة الرحمن الآية:٣٥
(٤) سورة الأنفال الآيتان:١٥، ١٦

ومن صور الاقتباس النصي أيضا قول عبد الحميد فارس في قصيدته (معلم الزمان)[١]:

يـا قـادة الإســلام إنِّـي ضــارعٌ لله أن تـتـوحـدوا فـتـعـلـمـوا
إنَّ الـتـنـازعَ يُـذهـبـنَّ ريـاحـكـم جـرح الـتـفـرق لا يـجـفُّ لـه دمُ

وهو مقتبس من قول الله تعالى:" وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ[٢]" والدلالة التي أرادها الشاعر أن يلفت النظر إلى خطر الفرقة والقطيعة بين البلدان والحكومات، وعواقب ذلك من التمزق والتشـرذم، ومن ثَمَّ لجأ للاقتباس القرآني النصي مؤكدًا فكرته ومعضدًا رؤيته.

أما الاقتباس الإشاري – والذي يكتفي الشاعر فيه بالإشارة إلى آية من آيات القرآن الكريم من غير أن يلتزم بلفظها أو تركيبها[٣] والذي يُكسِـب التعبير جمالية دلالية، وقيمة فنية للمسـحة القرآنية التي يضعها في تعبيره، وغالبا ما تكون الإشارة أبلغ من التصريح، ومن نماذج ذلك قول د. محمد الوزير في قصيدته (معلم الأجيال الاستشهاد)[٤]:

لابـد مـن عـزمٍ أشّـمَّ ونـيـةٍ بـيـضـاءَ كـي تـتـقـدم الألـوانـا
اللهُ يـنـصـر كـلَّ نـاوٍ نصـره فـإذا فَـقَـدْتَ فـراجـع الـوجـدانـا

والشاعر في بيته الثاني يشيرإلى قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * [٥]" ليعطي المتلقي شـعورًا بقدسـية أفكاره، وعظمة وجمالية تعبيراته، المسـتمدة من الجمالية القرآنية، ومنه أيضا قول الحبيب الجوهري في قصيدته (عمر المختار تحدى القهر)[٦]:

(١) عمر المختار– في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده، ص ١٥٥..

(٢) سورة الأنفال الآية:٤٦

(٣) ينظر: القيم الجمالية في الشعر الأندلسي –عصر الخلافة والطوائف، د. آزاد محمد كريم الباجلاني،ص ٢٩٧.

(٤) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢١٤.

(٥) سورة محمد الآيات:٧-٩

(٦) عمر المختار قدوة الجهاد ص ٨٣.

أنا عمر تحدى القهر غصبًا = أنا المختار في زمن الحيارى

أنـا الـزلـزال فـوق الأرض رجْـفًـا سـأرهـقـهـم صـعـودًا وانـحـدارا
سـأجـعـل لـيـلـهـم لـيـلًا كـؤودًا وأجـعـل يـومـهـم مُـهْـلًا وقـارا

وفي البيت الثاني إشارة إلى قوله عز وجل:" سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا [١] "وفي البيت الثالث إشارة إلى قوله عز وجل:" يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ[٢]"وقد منح الشاعر كلامه قوة تعبير وتصوير، مستمدًا ذلك من قوة الصورة والتعبيرفي الآيات القرآنية، فالشاعر لما أراد إظهار قوة الهجمة على الأعداء وما سيسم به أعداءه من العذاب، جاء باقتباساته التي تحمل دلالة ورسالة أراد إيصالها، فلم يكن له معين أفضل من المعين الثر والفيض القرآني الذي كثر فيه تصـوير العذاب والعقاب تصـويرًا مؤثرًا، مع التمازج بين الصورتين المقتبسة والمقتبس لها؛ مما أعطي للكلام بُعدًا تعبيريًا وجماليًا.

ومن هذا النسق الأسلوبي(الاقتباس) واشتمل على النوعين (اللفظي والإشاري)ما جاء في قصيدة (أسطورة الفداء والاستشهاد) لإسماعيل بخيت[٣]:

جـاهـدت في الله لـم تـرهِـبْـك غـازيـةٌ بـالـنَّـار فـتـأَّكـةٌ لا تـعـرف اللهَ
ترجو الشـهـادةَ قبـل النصـر، واعجبًا! فـيـمـا قـرأت بـقـلـبٍ (لا يُـلـقَّـاهـا)
وتـجـعـل الـنـفـس قُـربـانًـا لـخـالـقـهـا طُـوبـى لـنـفـسٍ مـن الإلـهـام تـقـواهـا
والـنَّـفـس تـزكـو إذا تـزكـو بصـاحـبـهـا ولـيـس تـزكـو سـوي مـا الله زكَّـاهـا
يـا بـارئ الـنَّـفـس إنَّ الـنَّـفـس آمـارةٌ بـالسـوء إلا الـتـي في الله مـنْـجـاهـا
فـاغفر لعبدٍ سـعى في رشـدها طمعًا في جـنَّـةٍ..وأنِـلْـهـا مَـن تـغـيَّـاهـا
يـاربُّ واسـبـق لـه في الـفـائـزيـن بـهـا وامنـحـه من خـيـرهـا وارزقـه مَـغْـنـاهـا

وهو مقتبس من عدة مواضـع في القرآن الكريم، فالبيت الأول فيه إشـارة إلى قوله تعالى:" يجَاهِدُونَ

(١) سورة المدثر الآية: ١٧

(٢) سورة المعارج الآية: ٨

(٣) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢٢١.

فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ [١] "، وفي البيت الثاني اقتباس نصي من قوله عز وجل:" وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ[٢]"، وفي البيت الثالث إشارة إلى قوله تعالى:" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا"[٣] وفي البيت الرابع اقتباس من قوله تعالى:" وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ [٤]".

وعندما أراد الشاعر أن يكلل جهاد المختار ويبرز جزاءه كشهيد وبطلٍ من أبطال الإسلام وجد في القرآن الكريم منهله في تصوير ذلك ومداده لرسم صورة روح البطل تسبح في الجنان وتنعم بما لذ وطاب، فيقول وحيد الدهشان في قصيدته (تحية إكبار) [٥]:

صارت كما الكوكب الدرِّي مهجتُه ... بين الفراديس كالأطيار تنتقلُ
في عالم الخلدِ والأنهارُ جاريةٌ ... هذا حليبٌ وذا ماءٌ وذا عسلُ
بين الأحبة لا غلٌ يكدرهم ... فوق الأَسِرَّةِ تدنو منهم الأُكُلُ

وهي صور مقتبسة من عدة مواضع في القرآن الكريم تصف وتبين جزاء المتقين المخلصين لدينهم وأوطانهم، "مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ [٦] " وقوله تعالى:" وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ [٧]"

---

(١) سورة المائدة من الآية: ٥٤

(٢) سورة فصلت من الآية: ٣٥

(٣) سورة الشمس الآيات: ٧-١٠

(٤) سورة يوسف الآية: ٥٣

(٥) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢٠٠.

(٦) سورة محمد من الآية: ١٥

(٧) سورة الحجر من الآية: ٤٧

كما لا ننسى أنه في صدَّر حديثه باقتباس جميل من الحديث النبوي القائل في الشهداء:" أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ...[1]"، ومن الاقتباس النبوي أيضا قول عمر أبي غريبة في قصيدته (عمر المختار..سلام عليك):

إذا اصطفى اللهُ عبداً زاد محنتَه والله يبلو الذي أصفى ويختبرُ

وهو مقتبس من قول النبي ﷺ:" أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنْ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ[2] ".

وفي تدفق الاقتباسات (بالنص أوالإشارة) ما أعطى دلالة روحية وحجة قوية وقيمة فنية وجمالية للمعنى المراد التعبير عنه، وجعل المفاهيم الشعرية أوثق وأقرب إلى إدراك المتلقين، وأشد تأثيرًاعلى قلوبهم، ولعل مرد ذلك – من وجهة نظري – براعة وذكاء الشاعر المعاصر في المزج بين اللفظ القرآني والمادة الشعرية، فظهر الأداء الجمالي والدلالي، كما يبرهن على ارتباط الشعراء في حديثهم عن البطل المجاهد (عمر المختار) بالقرآن الكريم ونصوصه سواء بالنص أوبالإشارة والتلميح، ولما لا وفكرالمختار كان مستمدًا من القرآن؟!، فلا عجب أن نسمع صداه في أشعارهم.

هذا وللاقتباس القرآني في شعرهم نماذج كثيرة اكتفيت بما ذكرت مخافة الإطالة أوالملالة.

أما عن التضمين فإنه لم يكن معادلًا للاقتباس، فجاء في صورٍأوأمثلة قليلة مقارنة بالاقتباس القرآني، ولعل مرد ذلك – من وجهة نظر الباحث – تأثر الشعراء في هذا الباب بالقرآن الكريم – إزاء حديثهم عن شيخ المجاهدين – في المعاني والأفكار فضلا عن الأساليب والتراكيب؛ ليصب فيها تجربته

(١) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) باب أن أرواح الشهداء في الجنة، حديث رقم ٣٥٠٠، ٩ / ٤٧٢ ط/ دار الحديث بالقاهرة.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين حديث رقم ١٤٨١، ٣،/ ٧٨ ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٩٩٩م.

ويصبغها بصبغة مشكلته ومعاناته، كما يعطي الاقتباس القرآني للنص الشعري عبقًا جماليًا، ويمنحه رصانة مستمدة من رصانة الأسلوب القرآني.

وقد جاءت أمثلة التضمين كبرهان على تأثر الشاعر المعاصر بالنماذج الفنية العليا في تراثنا الأدبي، ومن نماذج ذلك قول الشاعر عبد الغفار الدلاش في قصيدته (في ذكرى الشهيد عمر المختار) (١):

كيف يرنو القصيد نحو ذراكا ياشهابًا تسنم الأفلاكا

ثابت الخطو والجلال مليكًا لم يرعْك الحِمامُ حين أتاكا

فالبيت الأول فيه تضمين بالإشارة إلى قول البوصيري في همزيته (٢):

كيف ترقَى رُقِيَّك الأنبياءُ ياسماءً ما طاولتها سماءُ

والبيت الثاني مضمن من قول إبراهيم ناجي في قصيدته الأطلال (٣):

واثق الخطوة يمشي ملكًا ظالم الحسن شهي الكبرياء

وإن اختلف الغرض، بين غزل ناجي ورومانسيته ورثاء الدلاش وحماسته،إلا أن الشاعر استطاع أن يمنح كلامه جمالًا مستمدًا من غزل ناجي، وكأنه حين مدح المختار تغزل فيه؛ لينقل لنا مدى حبه وارتباطه به كما يرتبط العاشق بمعشوقه ويخرج ذلك غزلًا ونسيبًا، وهنا يظهرمدى استاطعة الشاعر من أن يجسد مدلولاته من وسائل أسلافه بعد صهرها وإذابتها وإخراجها على شاكلة جديدة؛ ليرتفع شعرهم في هذا الباب عن المباشرة، ويضَّمَّن رسالاتٍ وخطاباتٍ متعددةً داخل النص

ومنه أيضا ماجاء في قصيدته (عمر المختار القدوة الخالدة) (٤):

كم دالت دولة عُدوانٍ والذُّلُ عليها قد حلا

---

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) قصيدة الهمزية في مدح خير البرية، للإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري (ت ٦٩٦هـ) تحقيق محمد عارف عطية، ص: ٢، ط/ دارغريب للطبع والنشر– القاهرة٢٠٠٣

(٣) ديوان إبراهيم ناجي (ليالي القاهرة)، ص ١٣٤،ط / دار العودة– بيروت ١٩٩٠م.

(٤) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٩٨.

مـــا تـــرك الله عـــروبـــتـــنـــا لـــلـــبـــاغـــي هـــدفًـــا أو هُـــمْـــلا

فهو مضمن لبيت حافظ إبراهيم في قصيدته (مصر تتحدث عن نفسها) (١):

مـا رمـانـى رامٍ و راح ســـلـيـمـا مـن قـديـم عـنـايـة الله جـنـدى

كـم بـغـت دولـة عـلـى وجـارت ثـم زالـت وتـلـك عـقـبـى الـتـعـدى

وقد أثرى الشـاعر لغته الشـعرية والتعبيرية بهذا التضـمين حيث يتبادر للذهن عند مطالعة كلامه تصور وتذكر الصورة الأصلية، وفيه وعي بالحاضروتجاوب معه وفق عملية إعادة الصياغة وكسوة الصورة المنقولة بالتجربة المرصودة.

وفي هذا استلهام للتراث الطارف والتليد، وتضمينه داخل سياق نصي جديد، وتوظيفه في مالعجة مشـكلات الواقع وقضـاياه، وإعطاء دلالة جديدة لهذا النص، وخروج به عن معناه القديم، وتكثيف لدلالاته الشعرية، أضف إلى ذلك زيادة الكلام جمالًا وإمتاعًا وإقناعًا، ولعل في ذلك ما يقصد به تشرُّب النص وتحويله لنصوص أخرى، وعليه يوفر الأديب للقصيدة جوًا يتيح عبور الفكرة ويسهلها ويعمق مضمونها، وحق قول القائل:" لا إبداع بلا تراث، ولا تراث بلا إبداع، وإنَّ عودة الشعراء المبدعين إلى التراث بكل عماراته الدين والأدب، والتاريخ... من أجل استكشاف الأنا والذات الحضارية ما يؤكد على الانتماء والهوية، ويؤدي إلى التفرد والتجاوز والتكوين الجديد(٢) ".

وإذا كان التراث هو إبداع القدامى، فإن إبداع المعاصـرين سـيكون يومًا ما تراث الأجيال القادمة، ومن ثَمَّ فلا غرابة في أن يتضمن شعرهم من قيم التراث وفنونه، ما يصل الأجيال المتعاقبة، ويربط بينها.

(١) ديوان حافظ إبراهيم،ص٤٠٤.

(٢) قضـايا وإشـكاليات في الشـعر العربي الحديث – الشـعر السـعودي أنموذجًا، د. نذيرفوزي العظمة، ص ٣٩٤،ط/ النادي الثقافي بجدة – العدد ١١٦، أغسطس ٢٠٠١م.

المبحث الثالث

الصورة ومحتوياتها في قصيدة البطولة

(تـوطـئة)

تعد الصورة الشعرية من أهم أدوات التشكيل الشعري، بل تعد من عُمُدِ القصيدة وأساس قبولها، فهي بمثابة الجسر الذي يصل بين الشاعر والمتلقي، وذلك لأن الصورة الشعرية " وسيلة الأديب الأولى التي يستعين بها في صياغة تجربته الإبداعية، وأداة الناقد المُثلى التي يتوسَّل بها في الحكم على أصالة الأعمال الأدبية، وصدق التجربة الشعرية[١]."

ومن ثَمَّ صار وجود الصور الفنية في النص الشعري ضرورة لما لها من أثر وتأثير، وهنا يبرز دور الخيال الذي يخرج النص الشعري من النمطية والتقرير والمباشرة؛ ليحلِّق بالقارئ في الآفاق الرحبة، ويخلق له دُنا حالمة، وعوالم لا مرئية تخرجه من العزلة والتقوقع، من خلال الخيال الخصب والصور المؤثرة، وهنا يكمن الجمال ويكمل الإبداع، كما أنها تعكس مقدرة الشاعر على تشكيل الواقع المباشر تشكيلًا جماليًا.

والشاعر الفذ ذو الذوق الرفيع هو الذي يبدع في تكوين الصورة الشعرية بخيالات عذبة تؤدي إلى إنتاج نصوص شعرية جميلة تمتع المتلقي وتقنعه، وذلك لأن الصورة " هي أداة الخيال ووسيلته، ومادته المهمة التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه [٢] "

ولعل سر بقاء كثير من القصائد متداولة بين القراء – على طول الحقبة الزمنية – أنها تحتفظ بجمالياتها وصورها المبدعة، تلك الصورة الشعرية العميقة التي ترتبط بنفسية الشاعر المتفاعل مع تجربته الشعرية، والتي يسجل من خلالها معاناته أو معاناة من يتحدث عنهم، ومن ثمَّ فهي وسيلة ناجعة للشاعر في التعبير عن انفعالاته ورؤاه ومشاعره، لاسيما إذا جاءت فطرية (تلقائية) غير مفتعلة ولا متكلفة.

---

(١) الصورة الشعرية قديمًا وحديثًا، عبد الحميد قاوي، مقال بموقع ديوان العرب، الشبكة الدولية (الإنترنت) بتاريخ ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٨م.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر أحمد عصفور، ص ١٤، ط/ دار المعارف – القاهرة.

وعليه تصـير الصـورة ترجمانًا صـادقًا ودقيقًا لما يجول في أعماق الشـاعر من خواطر وآمال وآلام، فالشعر في أساسه ضرب من التصوير، كما يقول الجاحظ: "إنما الشعر صناعة وضربٌ من النسج وجنسٌ من التصوير(١)"

هذا والعاطفة مهما بلغ توهجها تحتاج إلى خيالٍ يصوغ ويرسم ذلك التوهج ويحيه ويبقيه، ويدفع المتلقي إلى إعادة التأمل في صـورة واقعه من خلال رؤية شـعرية تظهر قيمتها من قدرتها على إثراء الإحساس وتعميق الوعي.

والحقيقة أن فيما بين أيدينا من قصائد – تُعنى بالحديث عن البطل في صورة المختار– لكوكبة من الشعراء قد استطاعوا إبراز الصورة الشعرية الجميلة في نصوصهم مع مواكبة الخيال ومزجه في النص، وموافقته للفكرة وتصويره للتجربة في هيئة تثير الذهن وتحرك الوجدان، معتمدين على التقنيات البيانية والأُطر التصويرية، ومنها:

المطلب الأول: التصوير بالتشبيه: -

التشبيه وسيلة فنية من وسائل التعبير التي تظهر جمال الصورة، وللتشبيه عدة سمات وفوائد، منها:

الإيضاح والبيان للمعنى المقصود مع الإيجاز والاختصار، مع ما يحصل للنفس من الأنس به، بإخراجها من الخفي المبهم إلى الجلي الواضح، أضف إلى ذلك ما يحصل للنفس من الأنس والعجب به بإخراجها مما لم تألفه إلى ما لها به إلف..

هذا، وقد كثرت صور التشبيه في قصائد شعرائنا؛ مما يوضح مدى اهتمامهم بالصورة الفنية، ومنه قول شوقي:

لَـم تُـبـقِ مِـنـهُ رَحـى الـوَقـائِـعِ أَعـظُـمـًا تَـبـلـى وَلَـم تُـبـقِ الـرِمـاحُ دِمـاءَ

كَـرُفـاتِ نَسـرٍ أَو بَـقِـيَّـةِ ضَـيـغَـمٍ بـاتـا وَراءَ الـسـافِـيـاتِ هَـبـاءَ

....

(١) الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون، ٣ / ١٣٢،ط / دار الجيل – بيروت ١٩٩٦م.

لَبّى قَضاءَ الأَرضِ أَمس بِمُهجَةٍ لَم تَخشَ إِلّا لِلسَماءِ قَضاءَ
وافاهُ مَرفوعَ الجَبينِ كَأَنَّهُ سُقراطُ جَرَّ إِلى القُضاةِ رِداءَ

فقد صور ما تبقى منه بعد سنوات الكفاح بما يشبه رموز البطولة في المملكة الحيوانية (رفات النسر أو بقية من عظام أسدٍ) تذروها الرياح، تعبيرًا عن شيخوخته وطعن سنه وطعنات الأيام ووخزات الوقائع، ثم عاد ليصور حاله لما وافته منيته بأنه صار إليها في شموخ وعزٍ يشبه سقراط في محاكمته التاريخية، وعلى هذا النمط من التصوير جرى تصوير عبد المجيد فرغلي في قصيدته (رائد الثوار):

وَفِيْ كَتَائِب جُنْدٌ الْعربِ أَلْوِيَةٌ مُدَرَّعَات وَفِيْ أَعْماقِهِمْ وَطَرُ
كَأَنَّهُمْ أُسْدُ غَابٍ فِيْ حَمَائِمِهِمْ طَيْر الأَبَابِيل لِلْأَعْدَاءِ قَدْ حَصَرُوْا
أَوْ كَالنُّسُوْرِ قَدْ انْفَضَّتِ فِيالَّقُهَا تُدَمِّرُ الْبَغْيَ لَاتُبَقِي وَلَا تَذَر

فقد شبه خلفاء المختار في كل واقعة بأُسْد الغاب ونسور السماء في وثباتها على فرائسها وجسارتها على قتال أعدائها، وهذا التشبيه يتمثل فيه قول الرماني:" إخراج ما ليس له قوة في الصفة، إلى ما له قوة[١]" فقد وصف المجاهدين في فلسطين وغيرها من أرض النضال من المستضعفين المقهورين المتأسين بالمختار بالأسد الضارية، وبالنسور الجارحة القانصة.

ومن صور التشبيه البارعة قول عمر أبي الجود في قصيدته (عمر المختار):

بطلٌ إن يغضب تحسبه طوفانًا أصبح غضبانا

فقد صور البطل في ثورته وغضبته على أعدائه بالبحر الهائج المائج الذي يحمل في طياته طوفانًا ثائرًا يدمر كل قوة ويبتلع كل متغطرس.

ولا يخفى عليك – قارئي الكريم – ما يحصل للنفس من الأنس بالتشبيه بإخراجها مما لم تألفه إلى ما لها به إلف وهو ما يعبر عنه الرماني بقوله:"إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة[٢]".

---

(١) النكت في إعجاز القرآن،لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني: ص٧٨، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ط/ دار المعارف بالقاهرة.

(٢) المرجع السابق: ص٧٥.

وكما صور الشعراء البطل المختار في صورة الأسد الجسور والضيغم الشجاع، فقد صوروا أعداءه بالوحوش الضارية التي أصابها السُعار فصارت في بغيها وظلمها طائشة جهولة، وفي ذلك يقول عبد الغفار الدلاش في قصيدته (في ذكرى الشهيد) (١):

والـغـرب في أحـقـاده وغـروره كـالـوحـش فـيـه ضـراوة وسُـعـارُ

وهنا تتكشف بلاغة التشبيه من حيث مبلغ طرافته، وبعد مرماه، ومقدار ما فيه من خيال، فهو يفتن حتى لا يقف عند غاية، ويعمل عمل السحر في إيضاح المعاني وجلائها، وكلما كان عمل الخيال أكثر، كانت صورته أعجب والنفس به أطرب، ويكفي التشبيه في هذه الصورة ما حصل للنفس من العجب بإخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها (٢)

وقد كثرت تشبيهات الشعراء للبطل وأتباعه بالأسد كصورة حاضرة وكرمز للبطولة استقر في خلدهم.

وقد توالت تشبيهاتهم للمختار ولحربه، وأنصاره وأعدائه محاولين تقريب مشاهد ومواقف حياته وما كانت عليها تضحياته، ومن ذلك قول د. الحضيري في قصيدته (بطل الجهاد) (٣):

وأتـى كـلـيـثٍ سـابـقًـا جـلاده راضٍ بـمـا كـتـب الإلـه قضـاء

ومنه أيضا قول الشاعرة نوال مهنى في قصيدتها (ثائر الصحراء) (٤):

أَسَـدٌ تـغـار الأُسْـدُ مـن صـولاتـه فـإذا عـدا فـكـأَنَّـه الـنـكـبـاء

كـم كـرَّ في غسـق الـدجـى مـتـوثـبًـا كـالـبـرق لاح فـتـعصـف الأنـواء

ويبدو جمال هذه الصور مما يحصل للنفس من الأنس بالتشبيه، بإخراجها من الخفي إلى الجلي الواضح أي " إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة(٥) .

---

(١) عمر المختار قدوة الجهاد ص ٣٥.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، الرماني: ص٧٨.

(٣) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٤٦، ١٤٧.

(٤) المرجع السابق، ١٥٣.

(٥) النكت في إعجاز القرآن،الرماني: ص٧٦

ومنه قول شوقي:

يـا وَيـحَـهُـم نَصَـبـوا مَـنـاراً مِـن دَمٍ تـوحـي إِلـى جـيـلِ الـغَـدِ الـبَـغـضـاءَ

فقوله:(منارًا من دم) تشبيه عجيب، حيث جعلوا موضع النور والاستئناس محلاً للتنفير والإزعاج، ومن ثم صار ذلك محل تعجب واستغراب من الشاعر.

وفي هذه الصور وغيرها تفعيل لإيقاع القصيدة ووقعها النفسي، ومثيراتها البصرية وما يؤدي إلى زيادة خصوبتها. ومنه قول جمال عبده صالح في قصيدته (في ذكرى البطل العربي المغوار)[١]:

في أرض ليبيا صِيتُهُ مثلُ اللظى يكوي الذي جيشٌ له جرارُ

أضحى كطلقةِ ثائرٍ في نحرهم فتعلموا في الساح كيف الغارُ

وهكذا جاء التصوير بالتشبيه مجسدًا رؤية الشاعر في بطله المغوار كالنار المحرقة.... مستفيدًا من تقنية التشبيه لكسوة البطل بجميل الحلل التي يكتسي بها البطل في كل عصر، كما شبهه بشخصيات تراثية ماجدة لها حضورها وتأثيرها في وجدان المتلقي كقول الشاعر د. الحضيري في قصيدته (بطل الجهاد):

فَـذٌّ كـحـيـدر في الـوغـى وكـخـالـدٍ نـجـل الـولـيـد فـلا يـؤب وراء

وقول د. محمد الوزير في قصيدته (قائد الشهداء)[٢]:

والـذكـريـات كـوجـه عـقـبـةَ حـلـوةٌ تـغـشـى الـعـدو وتـنـفـع الإنسـانـا

ولا يخفى أن استدعاء الشخصيات التراثية، أومعطى من معطياتها – ولو بالتشبيه – يعد إحدى الوسائل التعبيرية التي يلجأ إليها الشاعر المعاصر، لتحديث بنية القصيدة العربية؛ قصد الوصول إلى تشكيل رؤاه للعالم والكون، والتعبيرعما يحس به من معاناة أمته وأزمتها، الأمر الذي يدل على مأزق الإنسان العربي في عالمنا المعاصر، كما أنها حملت تأثيرات عاطفية في جميع أجزائها" فبعض الصور التشبيهية المعتمدة على استدعاء الشخصية التراثية تترك في النفس انطباعًا قويًا يحمل شحنات مؤثرة

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، ص ١٩١

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

تجعل المتلقين يعيشون تجربة الشاعر من خلال الصور التشبيهية التي يطرحها النص[١]" خاصة وأنها شخصيات ذات تأثير في وجدان المتلقي لأن المشبه به - حيدر(علي بن أبي طالب) أو خالد بن الوليد أو عقبة بن نافع (رضى الله عنهم)- شخصيات حاضرة في وعي المتلقي، ولها من البطولات ما لا ينكره منكر، ويزداد جمال الصـورة بالتشـبيه في هذا الباب عندما يورد الشـاعر مثل هذه الشـخصـيات والتشـبيهات؛ ليسـقط أحواله النفسـية ومحنته مع عصـره على تلك التشـبيهات التي عملت عمل السحر في إيضاح المعاني وجلائها.

المطلب الثاني :التصويربالاستعارة:-

أولى النقاد – قديمًا وحديثًا- الصورة الشعرية اهتمامًا بالغًا لا سيما الصورة الاستعارية بحسبانها أداة كبرى من أدوات التعبير الشـعري، فابن رشـيق يرى أن الاسـتعارة "أفضـل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب

منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها[٢]".

كما أن الألفاظ من خلال الاسـتعارة تتسـع دلالتها وتزداد قوةً وتأثيرًا، وعليه تعد الاسـتعارة " بنت الحدس، أي سـرعة الفهم والانتقال وليس الظن والتخمين، والحدس يتجاوز المشـابهة ولا يتقيد بها[٣]" بل إن الصـورة الاسـتعارية تسـتطيع نقل الحالة الشـعورية لدى المتكلم من خلال عمل إبداعي يصـنع علاقـات غير مـألوفـة في سـيـاق الكلام، ويبقى قيـاس جودة الصـورة الاسـتعـاريـة مرهون بمدى"قدرتها على الإشعاع، وما تزخر به من طاقات إيحائية [٤] "

هذا وقد دوَّن الشـعراء في قصـائدهم حول البطل المختار صـورًا اسـتعاريةً صـوروا فيها بطولاته

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر السعودي، عبد الله السويكت، ص ٦٤٠.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني تحقيق/ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ١ / ٢٦٨، ط/ دار الجيل - بيروت -الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م

(٣) الصورة الأدبية د. مصطفى ناصف، ص ١٢٥،ط/ دار الأندلس للطباعة - بيروت.

(٤) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د. علي عشري زايد، ص ٨٧.

العظيمة، وصبوا فيها لوحة جهادية خالدة، وفرغوا فيها واقعهم المعاصر وما يشعرون به من معاناة أمتهم وأزماتها.

ومن ذلك قول شوقي:

عَضَّت بِساقَيهِ القُيودُ فَلَم يَنُؤ وَمَشَت بِهَيكَلِهِ السُنونَ فَناءَ
تِسعونَ لَو رَكِبَت مَناكِبَ شاهِقٍ لَتَرَجَّلَت هَضَباتُهُ إِعياءَ

فقوله:(عضَّت بساقيه القيود – مشت بهيكله السنون– تَرَجَّلَت هَضَباتُهُ) استعارات قصد بهما تشخيص أسره في شيخوخته وقيود عدوه، فتخيل القيود التي لفت حول يديه ورجليه بأنها تعض كما الحيوانات تلويحًا بألمها الجسدي والنفسي على البطل الأسير، وزاد في تصوير محنته بتصوير السنوات وهي تمشي في جسده فتفت فيه كما يفت السوس في الخشب والصدأ في الحديد، كذلك الإعياء الذي يصيب الجبال إذا مر عليها ما مر عليه في سنوات عمره فتنزل من عليائها.

وهكذا ألَّف شعراؤنا بين الحي وغير الحي من خلال التشخيص الذي يسبغ الحياة على ما لا حياة له كالجمادات، وبقدر "تفنن الشاعر في بث الحياة الإنسانية داخل النص، وإلحاق الأعضاء والأفكار والأفعال والصفات بالجمادات أو الكائنات الحية غير العاقلة تكمن فنية التشخيص ونجاحه وحركيته، وتكون الأعضاء والأفكار والأفعال قرائن للصورة الاستعارية ودلائل على انتمائها إلى عالمين: أولهما عالم الإنسان وكل مافيه، والآخرعالم الموجودات التي تحيط بالإنسان وتلازمه، ويكون دور الاستعارة التشخيصية صهر هذين العالمين وخلق عالم جديد ينتمي إليهما[١]"ولو رجعنا إلى قصيدة شوقي لوجدناه يحشد صورًا من البيان مستخدمًا التشخيص كوسيلة تعبير سواء من عالم الإنسان أو من عالم الموجودات من حوله، كقوله:

رَكَزوا رُفاتَكَ في الرِمالِ لِواءَ يَستَنهِضُ الوادي صَباحَ مَساءَ
يا وَيحَهُم نَصَبوا مَناراً مِن دَمٍ توحي إِلى جيلِ الغَدِ البَغضاءَ

(١) الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث – رؤية بلاغية لشعر الأخطل الصغير، د. وجدان الصايغ، ص٣٧،ط/ القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ م، بتصرف.

ما ضَـــرَّ لَـو جَـعَـلـوا الـعَـلاقَـةَ في غَـدٍ بَـيـنَ الشُـــعـــوبِ مَـوَدَّةً وَإِخـاءَ
جُرحٌ يَصـيـحُ عَلى المَدى وَضَـحِـيَّـةٌ تَـتَـلَـمَّـسُ الـحُـرِّيَـةَ الـحَـمـراءَ
....
لَـم تُـبـقِ مِـنـهُ رَحى الـوَقـائِـعِ أَعـظُـمـًا تَـبـلـى وَلَـم تُـبـقِ الـرِمـاحُ دِمـاءَ
إِنّـي رَأَيـتُ يَـدَ الـحَضـارَةِ أولِـعَـت بِـالـحَـقِّ هَـدمـًا تـارَةً وَبِـنـاءَ
يـا أَيُّـهـا الشَـعـبُ الـقَـريـبُ أَسـامِـعٌ فَـأَصـوغُ في عُـمَـرَ الشَـهـيـدِ رِثـاءَ
أَم أَلـجَـمَـت فـاكَ الـخُـطـوبُ وَحَـرَّمَـت أُذنَـيـكَ حـيـنَ تُـخـاطَـبُ الإِصـغـاءَ

ففي قوله:(لِواءَ، يَستَنهِضُ)(مَناراً، توحي) (جُرحٌ يَصيحُ - وَضَحِيَّةٌ تَتَلَمَّسُ)(رَحى الوَقائِعِ)(يَدَ الحَضارَةِ أولِعَت)(أَلجَمَت فاكَ الخُطوبُ)(حَرَّمَت أُذنَيكَ الإِصغاءَ) يبدونسيج الصورة الاستعارية وطاقتها التشخيصية وثرائها التصويري الذي منحها القوة والتأثير في المتلقي، ونقل الحالة الشعورية والانفعالية إليه، ومن ذلك قول الشاعرة نوال مهنى في قصيدتها (ثائر الصحراء) [1]:

يا سـيـدي والـقـدس تـنـعـي مـجـدنـا والـطـامـعـون الـعـابـثـون سـواء
في كـل عصـر يـنـفـثـون سـمـومـهـم فـقـلـوبـهـم وعـقـولـهـم عـمـيـاء
والـمسـجـد الأقصـى أسـيـرٌ بـيـنـهـم وتـعـيـث بـيـن رحـابـه الـحـربـاء
الـقـدس تـدعـو – مـن يـجـيـب نـداءهـا فـتـرِنُّ فـوق قـبـابـهـا الأصـداء
تسـتـنـهـض الـفـرسـان مـن غـفـواتـهـم أأتـاك يـاعـمـرُ الشـهـيـدُ نـداء؟

(القدس تنعي،المسجد الأقصى أسيرٌ، القدس تدعو - تستنهض الفرسان) فالثراء التصويري في بث الروح في القدس وتصويرها في مشهد الأحياء الطالبين الغوث المستنجدين بالمجيرين، يملأ فضاء النص، وينقل المعاناة، ومنه أيضا قول د. محمد محمود حسين في قصيدته (شيخُ الفوارس عمر المختار)[2]:

فـكـم رمـونـا بـغـدرٍ جـهـمِ الـمـلامـحِ أَسْـودَ

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٧.

فقد صور الشاعر كيد الأعداء وحقدهم وغدرهم بإنسانٍ متجهم وزاد من سوء منظره إذا كان في تجهمه أسودَ؛ ليضع الشاعر في قلب المتلقي صورة شرهم وقباحة غدرهم. ومن تلك الصور ما أورده سيد جبر في قصيدته (في موكب الشهداء)(١):

قاد أبطالًا تربوا عنده خرجوا للمعتدي مثل الأسود
بدماءٍ صنعوا نهر الوفا ء ومن أبدانهم أعلى سدود

فالشاعر هنا لا يكتفي بتصوير ما ربى عليه المختارُ أتباعه من فنون القتال ومهارات النزال، بل يركز على القيم الأخلاقية التي غرسها المختارُ في أتباعه حتى صار وفاؤهم نهرًا يجري بدمائهم، وأجسادهم سدودًا تحمي طوفان الهمجية الاحتلالية التخريبية التي انتهجها الطليان .

وتتعاطف الطبيعة مع أصحاب الأرض والحق فتنكر الهمجية وتغضب، يصور ذلك رشاد محمد يوسف في قصيدته(عمر المختار)(٢):

البحر ينكر خطوهم وسماؤهم والأرض غلَّف رملَها الإنكار

ويبرز محمد وجدي شبانة في قصيدته (مشوار عمر المختار) هذا الألم على حال الشعب العربي بعد المختاروحالة الوهن والضعف التي أصابته من خلال التصوير الاستعاري، فيقول (٣):

أيها الشعب استفق من غفلةٍ طال إيذاؤك فيها أو قصر
أرضك استوطنها مغتصبٌ كلبٌ استأسد فيها وانسعر
لاتنم عن حقك المهدرقُم حطِّم الأغلال فالقيد استعر
إن تدع حرية الأوطان في قبضة الشيطان أمستْ في خطر
وتداعى كلُّ شيءٍ يُرتجى والسلام استلَّ سيفا وانتحر
....

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ،ص ١٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٠، ١٨١.

نـائـمٌ في الـطـيـن تســتـجـدي الـخُـطـى والـغـد الـمـأمـول يـا مـخـبـول مـر
جـثَّـةٌ قـد رقـص الـدود بـهـا وتـمشَّـــى الـسُّـــوسُ فـيـهـا ونـخـر
يـارفـيـق الـقـهـر دنـيـاك مشـــت أتـــرى عـــنـــدك بـــالله الـــخـــبـــر

وهكذا استطاع الشاعر من خلال الصورة الاستعارية – التي تمثل في أساسها محاكاةً تشكيليةً وتخيلًا ذهنيًا – أن يوجد واقعًا جديدًا مشابهًا أكثر من تقريرما هو موجود سلفًا في الذهن، وهذا الخلق يؤدي إلى إيجاد مشـابهات جديدة ناتجة عن تفاعل الشـاعر مع واقعه، والتأثر بما فيه، ونقل صـورة انطباعاته النفسية من خلال صورته الفنية: (فالكلبٌ في تصويره استأسد وانسعر، والقيد استعر، والسلام استلَّ سيفا وانتحر، والدود رقص على جثَّةً الشعب، وتمشَّى السُّوسُ فيها ونخر..) كل هذه المقاطع التصويرية هي مشاهد نفسٍ متألمة بل منهكة من واقعٍ مريرٍ آلت إليه الحياة العربية في ظل القمع والقهر الذي تعانيه الأراضي المحتلة.

لكن رغم ذلك كله يظل الشاعر العربي يأمل في قائده المختار الغوث والنصرة والوثوب فوق الخزي والهوان، فيقول عبد الغفار الدلاش في قصيدته (عمر المختار القدوة الخالدة)[1]:

وقـف الـمـخـتـار لـهـم سـدًّا بـالـقـوة يـحـتـجـز الـسـيـلا
وجـد الـطـلـيـانُ بـه حصـنًـا لـم يـتـرك لـلـطَّـامـعِ أمـلا
بـحـرٌ لا يـقـهـره أحـدٌ في وجـه الـهـول بـدا جـبـلا

ومنه أيضا صورة البطل المختار في قصيدة (إلى روح الشّهيد عمر المختار) لعلي النحوي:

في كـفّـكَ الـيـمـنـى الـحـسـامُ مُشـرّعٌ وبـكـفّـكَ الـيـسـرى الـزّمـانُ يـهـلّـلُ
وعـلـى جـبـيـنِـكَ لـلـحـيـاةِ وأنـتَ م ـنْ آلِ الـخـلـودِ قـيـامـتـانِ ومشـعـلُ
مـازلـتَ تصـرخُ لـنْ نـعـيـشَ بـذلّـةٍ فـالـمـوتُ مـنْ أجـلِ الـتّـحـرّرِ أجـمـلُ
تـخـطـو كـأنَّ الـرّمـلَ عـرشٌ لـلـفـدى مـادمـتَ تـزرعُـهُ بـنـبـلِـكَ يـحـمـلُ
....

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٩٦، ١٩٧.

ســـاومـوكَ فـبـعـتَـهـمْ بصـــلـيـلِ ســـيـفٍ في الـوغـى لا يَـخـذِلُ
وركـبـتَ صـــهـوةَ غَـيْـرةٍ عـربـيّـةٍ بســوى المـنونِ أوِ العلا لاتُشـغَـلُ !!
يـا مـلـهـبَ الصّـــحـراءِ بـالـنّـارِ الـتـي ضـحكتْ، وصـوتُكَ للضّـوامرِ يُشـعلُ

وفي هذا المقطع من القصيدة يرسم الشاعر للبطل صورة أسطورية: يد تحمل السيف المشرع، ويد تحمل الزمان المتهلل، وجبين يحمل قيامتين ومشعلًا، وهذه المساومة التي كان الثمن فيها صليل السيف، وركوبه صهوة الغيرة وتصويرها بظهر يمتطيها البطل، ثم إلهابه للصحراء وإحماء لهيبها على أعدائه، ثم تصوير وتشخيص النار الضاحكة وهي صورة استثمر الشاعر فيها طاقة اللغة وطاقة التشكيل والتصوير؛ لإنتاج صورة مؤثرة ومتمركزة حول الشخصية وملامح عظمتها في قلوب الشعوب المنتظرة للنصر المنشود، وكأني به يصور مشهدًا أسطوريًا طغى فيه الخيال الملحمي، ولما لا والبطل في كل زمان يستحق ذلك والمختار ليس بدعًا من البطولة ؟!

وهكذا جاءت الصورة الاستعارية في معرض الحديث عن البطل المختار كاشفة عن نفسية الشعراء ومبرزة رؤاهم ومواقفهم من قضايا عصرهم وأمتهم.

المطلب الثالث: التصوير بالكناية: -

لما كانت الصورة الشعرية وسيلة الأديب، لإيقاظ النفس وإثارة العاطفة بتجربة شعورية ذات نمط فني إبداعي يجمع الشاعر فيها حقائق الكون الخارجية المختلفة يوحدها، ويعيد خلقها وفق رؤيا نفسية عميقة تعبرعن منطلقه الفكري والوجداني، فتنبض بالحياة والحركة بألوانها الأسلوبية، وبأشكالها الفنية المشخصة بالألفاظ، وصياغة العبارات التي فيها قدر من الخيال الذي يمنح الصورة قوة إيحائية مؤثرة؛ تجعلها قابلة لتعدد التأويلات عند المتلقي.

والصورة تقوم بوظيفة تعبيرية – ولو جزئية – داخل التجربة الشعرية الكلية،

وهي – أيضًا – التي تبرز مدى تمكّن الشاعر من صنعته الشعرية، بما يمتلكه من قوة الملكة اللغوية التي تنفذ إلى معانٍ جمالية، أو إنسانية، فيفيض الشاعر بخياله عليها، ويلصق أحاسيسه بها، فيصور الأشياء المادية والمعنوية على السواء بما يحقق التناسب بين اتحاد الألفاظ بالمعاني، والتي تتجلى فيها

قدرة الشاعر على صوغ صوره ضمن تجربته الآنية.

وللبيان العربي أساليب ووسائل في تصوير المعنى فنيًا، وللإبداع التعبيري عند العرب مظاهر في تجسيد المعنويات، ونقلها إلى عالم المحسوسات، والكناية إحدى هذه الوسائل التعبيرية المؤثرة بما تحمله من سمات من أبرزها أنها لغة التعبير غير المباشرة التي تمنح الصورة التهذيب واللطافة واللياقة في تصوير الأشياء، كما أنها تمتاز بالدقة والغموض، فتبعث المرء على التفكير وإجالة الذهن في معرفة شأنها، بيد أنها تحقق جمال التعبير، وعمق التأثير في نفس المتلقي الذي لا يدركها إلا بفحص المعاني والتعرف على ماهيتها، لا سيما في أثرها الإيحائي الذي يقدمه المعنى في إطار فني حسن، وهي تنم عن ذوق مبدعها، وصفاء قريحته، فتخرج بأشكالها المتنوعة من تعريض وتلويح وإشارة ورمز بحسب السياق الذي ترد فيه؛ لتؤثر في المتلقي وتجذب ذهنه وتشغل باله.

وإذا كان الأسلوب الكنائى يحمل قدرة كبيرة على الإيحاء بمعانٍ تتوالى وتنهمر لمن يتعمق فيه ويقتحم أسواره، ويسبر أغواره، فإنه أيضا يبرز مواقف شعورية خاصة تجلي الموقف النفسي والتجارب الشخصية الخاصة بالشاعر، أو الإنسانية العامة.

كما أنها تؤثر في المتلقي لامتلاكها الإمكانات الإيحائية المؤثرة في جلب انتباهه، وهز مشاعره ووجدانه بعد أن نبضت بأحاسيس مبدعها، وتضمنت أفكاره وانفعالاته.

وما سأذكره من شواهد ومختارات كنائية القصد منه بحث ما فى الكناية من قيمة جمالية – التي تتمثل في الإيجاز والرمز والإشارة – بما تحمله من قدرات إيحائية كبيرة تفجرها الألفاظ التي تنقل تجربة الشاعر وتؤثر في المتلقي.

ومن صور الكناية في شعرهم قول شوقي:

يا أَيُّها السَيفُ المُجَرَّدُ بِالفَلا ... يَكسو السُيوفَ عَلى الزَمانِ مَضاءَ

....

خُيِّرتَ فَاِختَرتَ المَبيتَ عَلى الطَوى ... لَم تَبنِ جاهًا أَو تَلُمَّ ثَراءَ

إِنَّ البُطولَةَ أَن تَموتَ مِن الظَما ... لَيسَ البُطولَةُ أَن تَعُبَّ الماءَ

فقوله:(يا أيها السيف)كناية رمز بها الشاعر إلى البطولة والشجاعة رامزًا بآلة من آلاتها وهو السيف، بيد أن ما ورد في عجز البيت يعزز الكناية في صدره بقوله:(يكسو السيوف... مضاء) وأهم ما انمازت به الصورة إثبات المعنى وتقريره في تكراره بأكثر من صورة، ثم يذهب لتوكيد المعنى بصورة كنائية أخرى بقوله:(المَبيتَ عَلى الطَوى -إنَّ البُطولَةَ أَن تَموتَ مِن الظَما) فهي كنايات عن الصمود والصبر والتضحية والثبات على المبدأ، وكلها من سمات البطل، لكن من محاسن التعبير الكنائي هنا أنه استُثْمِر لتوكيد المعنى وترسيخه في ذهن السامع.

ومن التعبير الكنائي الآسر قول مطران خليل:

أبيت - والسيفُ يعلو الرأس - تسليما وجُدتَ بالروح جَوْدَ الحر إن ضيما
لله يا عمر المختار حكمته في أن تلاقي ما لاقيت مظلوما
لكنها عظة للشرق أوسعها مصابه بك في الأخلاد تجسيما
لعله مستفيقٌ بعد ضجعتِه أو مستقيلٌ من الخسف الذي سيما
أجْدِر برُزئِك لم تُحْذَرْ عواقبُه أن يفجعَ العُربَ تخصيصًا وتعميما
وأن يؤجج نارًا من حميتهم وأن يرد فرندَ الصبرِ مَثْلوما
هيهات نوفيك والأقوالُ عُدَّتُنا حقا ونوفي الصناديدَ المقاحيما
من الأُولى صبروا الصبر الجميل وقد ذاقوا الكريهين تقتيلًا وتكليما

فقوله:(والسيف يعلو الرأس) كناية عن المذلة والهوان والضعة التي كان الناس عليها قبل أن تظهر بطولة المختار، وقوله:(لعله مستفيق بعد ضجعته-أو مستقيل من الخسف الذي سيما) كناية أخرى عن الصحوة العربية والوثبة الوطنية دفاعًا عن الأوطان والأعراض يوطدها بقوله:(مستقيل من الخسف)؛ ليكمل الصورة ويبرز المعنى، ويشير إلى نواتج الاستفاقة من الدعة والتسليم، ويعزز هذا المعنى بقوله:(وأن يؤجج نارًا من حميتهم - وأن يرد فرند الصبر مثلوما)وكلها - كما ترى معي - كنايات ساقها الشاعر في معرض حديثه عن شخصية البطل الملهم للشعب، وهكذا أوحت الصورة التعبيرية بدلالة (النار والفرند)على الشجاعة والإقدام والتحريك، وهذا لا يتم إلا بقلب شجاعٍ هصور،

وهمة بطلٍ جســور ، ولعل في قوله:(ذاقوا الكريهين) من إشــارة لما لاقاه المختار وأتباعه من موت أو جراح ما يكمل – بالكناية – الصورة ويجعلها أوقع في خلد المتلقي.

ولوعدنا إلى قصيدة شوقي وطالعنا تصويره لشخصية البطل وسلوكياته البطولية بتعبيرات كنائية أثرت النص وأسرت المتلقي من مثل قوله:

بَـطَـلُ الـبَـداوَةِ لَـم يَـكُـن يَـغـزو عَـلـى تَـنَـكٍ وَلَـم يَـكُ يَـركَـبُ الأَجـواءَ
لَـكِـن أَخـو خَـيـلٍ حَـمـى صَـهَـواتِـهـا وَأَدارَ مِـن أَعـرافِـهـا الـهَـيـجـاءَ
لَـبّـى قَضـاءَ الأَرضِ أَمـس بِـمُـهـجَـةٍ لَـم تَـخـشَ إِلّا لِـلسَـمـاءِ قَضـاءَ
وافـاهُ مَـرفـوعَ الـجَـبـيـنِ كَـأَنَّـهُ سُـقـراطُ جَـرَّ إِلـى الـقُضـاةِ رِداءَ
شَـيـخٌ تَـمـالَـكَ سِـنَّـهُ لَـم يَـنـفَـجِـر كَـالـطِـفـلِ مِـن خَـوفِ الـعِـقـابِ بُـكـاءَ
وَأَخـو أُمـورٍ عـاشَ في سَـرّائِـهـا فَـتَـغَـيَّـرَت فَـتَـوَقَّـعَ الضَـرّاءَ
الأُسـدُ تَـزأَرُ في الـحَـديـدِ وَلَـن تَـرى في السِـجنِ ضِـرغـامًـا بَكى اِسـتِخـذاءَ
وَأَتـى الأَسـيـرُ يَـجُـرُّ ثِـقـلَ حَـديـدِهِ أَسَـدٌ يُـجَـرِّرُ حَـيَّـةً رَقـطـاءَ

فقد وضعنا الشاعر أمام صورة عملاقة لكن ألوانها هادئة وراقية تعكس هدوء نفس المؤمن الذي كان على ضعف معداته قويًا في عدته، فلم يكن متسلحًا بالدبابات أو الطائرات(لَم يَكُن يَغزو عَلى تَنَكٍ)(يَركَبُ الأَجواءَ) لكن عدته البدائية (أَخو خَيلٍ) فلما وافاه قدره بالأسر والمحاكمة من أعدائه (قَضاءَ الأَرضِ) سار إلى قدره في شمم وإباء (وافاهُ مَرفوعَ الجَبينِ) صابرًا لم يخضع ولم يخنع رغم سنه (تَمالَكَ سِنَّهُ)، وذلك الإباء هو نتاج حياة عاشها متقلبًا بين الصبر والشكر (وَأَخو أُمورٍ) كل ذلك منحه الجلد والصبر وقوة الشكيمة وقيادة الذات إلى المعالي:

الأُسـدُ تَـزأَرُ في الـحَـديـدِ وَلَـن تَـرى في السِـجنِ ضِـرغـامًـا بَكى اِسـتِخـذاءَ

وهكذا تكاتفت الكنايات، بل تكاثفت؛ لتمنح الصورة الامتداد والتأثير من خلال براعة الأداء، وقوة بلاغتها؛ لأنها تنأى عن التصريح إلى التعبير اللطيف بالرمز والإشارة، المكثف الدلالة، الغني بالإيحاء.

ومن هذه الصور الكنائية قول عبد المجيد فرغلي:

لَـهُـمْ مَـوَاقِـعٌ بِـأسْ يُـعْـرفُـوْنَ بِـهَـا إِن زَمْـجَـرَتْ نَـارُهُـمْ لَـمْ يـعـرهـم خَـوْرُ

فقوله:(إِنَّ زَمْجَرَتْ نَارُهُمْ) تصـوير كنائي يعطي صـورة لحياة أولئك السـادة من أتباع المختار والمقتدين به في أعمالهم العظيمة، وهمتهم المتوقدة للحرب والذود عن الأوطان.

ومن جمال الكناية أنها تُصَوِّر المعاني بوصفها جزءًا من معطيات العقل في صورة محسوسة تثير إعجاب المتلقي بجمال أدائها؛ لامتلاكها الخيال الذي هو من أبرز وسائلها. ومن تلك الصور الكنائية الموجزة ماجاء في قصيدة (عمـــر المختار) لفرج أبي الجود:

مـقـدامٌ فـوق عـمـامـتِـه الـفـجـرُ تـربـع عِـرفـانـاَ
لـم يَـحْـنِ لـعـادٍ هـامـتَـه بـل عـاش يصـد الـعـدوانـا
واسـتـل مـن الشـمـس شـعـاعًا فَـجَّـرَ لـلـثـورة بـركـانـا
بـفـتـيـلٍ مـن قـوة شـعـبٍ أشـعـل لـلـثـائـر نـيـرانـا
لـيـفـيـقَ الـلـيـلُ عـلـى شُـهُـبٍ كـانـت لـلـفـاتـح إعـلانـاَ

رسـم الشـاعر بخيال خصـب صـورة للبطل المقدام الحامل للأمل متمثلًا في الفجر القابع فوق عمامته، ثم صور عزته وشموخه بقوله: لم يَحْن لعادٍ هامته، في تصوير كنائي يجسد الإباء والشمم، ثم يعود ليصور فضله وما بثه في نفوس شعبه من قوة وكيف فجَّر في نفوسهم التضحية وغرس الشموخ في نفوسهم رامزًا لذلك بشعاع الشمس المستل.

غير أن الشـعراء كما صـوروا – من خلال الكناية – مكارم الأخلاق ومعالي الأمور التي نادى بها المختار، فإنهم أيضا رسموا صورًا ترصد ما حل بالشعوب العربية بعد أن ضلت الطريق، وتخلت عن نهج المختارفي الجهاد والغيرة على الأوطان، فيصـور ذلك د. الحضـيري في قصـيدته السـلام الشـامخ العادل، [1]:

عـمَّ الـظَّـلامُ وغـاب الـفـجـر يـاعـمـر واسـتـأسـد الحملُ والطـاووسُ والهررُ

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ٢٤٠.

فقوله:(غاب الفجر، استأسد الحملُ..) كناية أراد من خلالها تصوير واقعٍ مريرٍ للشعوب العربية التي ورثت الإباء والعزة، فتطاول عليها شرذمة من نفايات الأرض وغثاء البحر، واجتمعت الأذناب لتتعالى على الرؤوس.

وهنا يتبين أن الصورة في يقين الشاعر وسيلة بالغة الأهمية في تصوير معاناته ونقل آلامه وأوجاعه وانفعالاته، ومن ثَمَّ فهي عندهم لا تقف عند حدود التعبيرية الجمالية، بل تتعدى ذلك إلى النفعية التأثيرية، ومن براهين ذلك عندهم قول محمد وجدي شبانة في قصيدته (مشوار عمر المختار)[1]:

ناحت الأُمُّ وأنَّتْ وبكتْ فبكي المختارُ أُمًّا تحْتَضَرْ
نهل الأحزانَ من بحر الأسى واحتسى كأس التَّجَنِي المستعرْ
فاضت الكأس دموعًا ودَمَا شرِب المحتلُ منها فسكِرْ

فهذه الصورة المأساوية التي ترسم آلام الشعوب المحتلة، وقد تمثل البطل المنقذ الذي تألم وتوجع لما يعانيه شعبه من أمهات ثكلى وزوجات أيامى وأبناء يتامى(نهل الأحزانَ- احتسى كأس التَّجَنِي - فاضت الكأس دموعًا ودَمَا)، وهنا يناجي الشاعر البطل ويطلب منه أن يزيح عنه تباريح الفكر قبل أن يزيل آثار القدم الهمجية، فيتساءل محمد الوزير من خلال قصيدته (قائد الشهداء) [2] أين الطريق ومتى النجاة في ظلام النكبة وركام الضعف والتقهقر:

يا أيها الفجر الشجاع أضيء دمي تَزْكُ العروقُ وتحسن الغليانا
تتنفَّسُ الإيمانَ عندك مهجةُ حرَّى تخافُ الله والكتمانا
نحن الضحايا الشهبُ نسعى في الدُّجى غرباءَ لا موتى الربيع حزانَى
قل لي بربك كيف عُدَّتَ معلمًا خصب العواطف ملهمًا فنانا
ورنوت نحو الشرق تفحص فجره أيُّ الليالي يحْجِبُ النيرانا
ماذا تبيت للغداة وليلنا عشيت بصيرتُهُ فنام مهانا

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

فيم التفكر والزمان كما ترى يمشي على أيامنا سكرانا
ماذا لديك وأنت سباقُ الخطى تهب الحياةَ وتستحثُ خطانا
قل لي فقد أمسيتُ طيرًا معدمًا لا أملكُ التحليق والطيرانا
أنا لا أقولُ، فقد غدونا أمَّةً تستورد الأذهانَ والآذانا

ففي قوله:(أضيء دمي – خصب العواطف – تفحص فجره – وليلنا عشيت بصيرتُهُ – الزمان يمشي على أيامنا سكرانا – لا أملكُ التحليق والطيرانا –أمَّةً تستورد الأذهانَ والآذانا) كنايات تشكل معاناة الشاعروشواغل ذهنه، وواقعه الذي يبدو حالكًا شديد الظلم والظلمة، لكن الشاعر حاول ألا يسلم لأحزانه أو يستسلم لواقعه المرير، بل حاول أن يستلهم من البطل الشجاعة والصمود وأن يسير على دربه متعلمًا منه، ومتأسيًا به، فيقول:

ضَوَّأَتَ في دمنا لهيبًا مؤمنًا يُذْكي الجبانَ ويوقظ الوسنانا
يا أخت قيسٍ قلتِ لي يومًا هنا وأنا وأنت نعتق الأشجانا
الناسُ قد عَمَروا الوجود وضاعفوا أحيانهم واستعمروا الأحيانا
ومشوا على قمم النجوم لأنهم سلكوا طريق النور في دنيانا
قولي ورَجْعِيُّ المُنَى متوثبٌ للأمس، مفتونٌ بما قد كانا
مَنْذا يصبُ الزيت في مصباحنا ويعايشُ المختارَ في ذكرانا
ويظلُ ممتلىء الضياءِ وآخذًا منه ويعطي للظلام أمانا
فتعيدُ أسرارُ الحياةِ جلالَها وأولئك الرهبانَ والفرسانا

فكما استخدم الشاعر الأسلوب الكنائي في نقل تجربته وآلامه امتطاه ظهرًا وأطلق للهواء ذراعي آماله وتطلعاته، وطالع معي تصويره ذلك في قوله:(ضَوَّأَتَ في دمنا لهيبًا – نعتق الأشجانا – مشوا على قمم النجوم – طريق النور – يصب الزيت في مصباحنا...) فالصورالكنائية مفعمة بالدلالة النفسية، فتجده يعبر عن الحراك المطلوب بإضاءة الدم، ويصور الانكفاء والبكاء على الأمس بتعتيق الأحزان، ويكني عن التقدم والتطور الذي أصاب الأمم بقمم النجوم، ويرسم العلم طريقا منيرًا (طريق النور) ومن

يلهب الحماس ويوقظ الهمم بمن يصب الزيت ويشعل فتيل المصباح، كل تلك الصور الكنائية جاءت لترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي، ولتدل على موقف نفسي، وتعبير عن انفعال شعوري للشاعر إزاء قضاياه المعاصرة، ومن هنا تظهر المقدرة الفنية على ربط الصورة برؤية ووجهة نظر الشاعر مع تناسب طبيعة البناء وجوهر التركيب، ويبرز ذلك قول محمد وجدي شبانة في قصيدته (ذكرى عمر المختار)[1]:

ربَّ ليلٍ ضاقت الدنيا به ... شقَّه الفجرُ بمسلول الرجاء
ربَّ لحنٍ قُرِح الجفنُ به ... أسعد الثكلى وأشقى السعداء
إنَّ للظالم يومًا يكتوي ... بلظاه، فجزاءٌ بجزاء
فتلال العدل تبقى صلدةً ... وجبال الظلم يذروها الهواء

فقد كنى الشاعر عن أمله في عهد جديد وبطولة تولد من رحم القهر كما الفجر يولد من رحم الظلام بسيف يتجرد من غمده يناصر الضعفاء ويبدد ظلام المكلومين، كما كنى عن الحق الضعيف بالتلال التي لا تطاول الظلم طولًا، لكنها أشدُ منه ثباتًا وأطولُ بقاءً، وهنا يتضح أن الصورة الكنائية حققت للمتلقي متعة كشف المعنى المستتر، فشارك الشاعر في متعته بتجربته الشعرية، ووافقه في رؤيته الفكرية.

وعندما أراد الشاعر أن يبرز حجم ما عاناه المعتدون وما سيعانونه عند لقاء أصحاب الأرض استخدم الصورة الكنائية كوسيلة للتعبير مفرغة للطاقة وموحية بما يجيش في صدره، فتقول فاطمة السيد في قصيدتها (ليثٌ اسمه عمر)[2]:

يا سائلَ البيدِ عنهم إنهم ذُكِروا ... في ساحة المجد أبطالٌ لهم سيرُ
تطاولُ الشمسَ هاماتٌ لهم رَفَعَتْ ... ذِكرَ العروبةِ في الآفاقِ ينتشرُ
وأثبتوا أن في الآجامِ مأسدةً ... من نسلِ يعْرُبَ، جندٌ للوغى نصروا

ففي تصوير همة وهامة أتباع المختار بمطاولة الشمس رفعةً ما يبرز قدرة شعرائنا على تطويع

(١) عمر المختار في التاريخ والأدب وعيون الشعراء ص ١٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٤.

الأسلوب الكنائي لإبداع صورٍ حماسية تعلي ذوات المقاتلين ومكانتهم، وبهذا يتضح أن مسلك الشعراء في استخدام الكناية كان متقاربًا- وإن اختلف الموضوع - يجلي المعنى المستتر، ويرسخ الفكرة في ذهن المتلقي، أو يدلل على مشاعر الشاعر ويعبرعن انفعالاته، أويشيرإلى موقفه النفسي، أويرمزلحركة وجدانه.

وهكذا جاء التعبير بالصورة ممتزجًا بعاطفة الشاعر متناسبًا مع موضوعه، متناسقًا مع الحالة النفسية للناظم والمتلقي، ومن ثمَّ منح النصوص الشعرية القدرة على الارتقاء بذائقة المتلقي وإمتاعه والتأثير فيه، والإبحار في عبق الشخصية التراثية، والتحليق في فضاءٍ شعري لا حدود له، جعلت المتلقي يتمثل الشخصية ويعايشها ويتخيل المواقف ويستوعبها.

ا

الخاتـمة

أما بعد، فقد آن للفارس أن يترجل عن صـــهوة جواده، وللقلم أن يفارق النامل بعد أن جف المداد وإن لم تنته الكلمات، لكن يبقى لكل صـــاحب رحلة من رحلته قطوف وثمار، وقد أســفر هذا البحث عن نتائج كثيرة نجملها في الآتي:

- البطولة قيمة إنسانية تجلها الأمم وسمة عظيمة مرهونة بمبادئ سامية ومُثل نبيلة، وقد أظهر الشعر العربي ملاح وسمات البطولة المناسبة للبيئة العربية ومواكبة للقيم التي يحيا بها العربي.
- ارتبط الشـــعر العربي بالبطولة والأبطال، وحظي البطل بمكانة رفيعة في ديوان الشـــعر العربي قديمًا وحديثًا.
- اكتســبت البطولة في ظل الإســلام معاني جديدة أرحب وأعمق، وصــارت ذات شــأوٍ عظيم، وذلك لارتباطها بتزكية النفس، وإرضاء الله عز وجل.
- يعد استحضـار واستلهام الشـخصيات التراثية أكثر الأسـاليب رقيًّا في التعامل مع التراث، وقد أدى اســتدعاء البطولة والأبطال في أدبنا المعاصــر إلى الخروج به عن النزعة الغنائية والذاتية أو التخفف منها، والابتعاد بالقصــيدة من البيان الخطابي والتعبير المباشــر إلى تجارب إنســانية أكثر شــمولًا وأعمق إحساسًا وتأثيرًا.
- تجلت صورة البطل في العصر الحديث في كثير من الشـخصيات كان المختار في مقدمتها، فقد كان المختار باعث نهضــة تحررية ليس في بلده ليبيا فحســب بل في الوطن العربي كله، وقد اتضــحت أصداء شخصيته فيما نظم حوله من أشعار صورت بطولاته التي وضعته في مصاف القادة الأخيار والزعماء الأفذاذ.
- ارتبطت النزعة الدينية عند المختار بقيمة البطولة؛ مما أبرز نشـاطه وكفاحه في صـورة زعيم روحي خاض الحرب وألهب مشاعر الجماهير وغرس القيم والمثل للأجيال المتعاقبة.
- كانت بطولة المختار متنوعة الميادين، فهو البطل المجاهد، والبطل المعلم القدوة، وهو البطل الأسير الصامد الأبيّ، وقد أعطى هذا التنوع مجالًا فسيحًا للشعراء للانطلاق إلى استلهام بطولاته

واستدعاء تضحياته وتصوير كل ذلك دون إغفال أو تغليب لناحية على أخرى.

- حرص الشعراء المعاصرون على توظيف عناصر فنية وأدوات أسلوبية أبرزت كفاح المختار، وخلدت تضحياته بشكل فني مثير، وبقوالب تعبيرية آسرة.
- عبر الشعراء من خلال التقنيات الأسلوبية والوسائل الفنية عن الوجدان المنفعل والمتفاعل مع شخصية ملأت الدنيا وشغلت الناس بلا جدل أو خلاف.
- وقد تنوعت الوسائل التعبيرية التي استخدمها شعراؤنا للتعبير عن حالتهم الوجدانية أو نقل الفكرة للمتلقي والتأثير فيه، فكان التكرار والتضعيف والجناس والحوار والالتفات مع الاقتباس والتضمين إلى جانب الأمر والنداء والاستفهام وسائل ناجعة ومعينة على بناء إيقاعات داخلية للقصيدة ومد جسور للتأثير في المتلقي، ونقل حركة وجدان الشاعر.
- أثرى عنوان القصيدة النص الشعري وكان بمثابة عتبة ذات قيمة في الولوج إلى أروقة النص، والتحليق في فضائه، وكذلك المطلع والختام، وقد أدى ذلك إلى قوة احتباك النص وترابطه.
- جاءت الصورة الفنية بألوانها المتعددة صادقة ومعبرة فأسهمت في قوة النص وإثارة انفعال المتلقي، وإلهاب مشاعره.

قارئي الكريم لقد أودعت قلمي بين أنامل فكرتي فكانت تلك الصفحات التي لا أدعي لها النضج والوفاء بحق الموضوع من الدرس والبحث، فلتكن هذه الصفحات باعث عزمٍ لمن يكمل النقص ويتم الحق، وهنا تكمن وصيتي للقادمين في الطريق أن الموضوع لايزال في حاجة إلى جمع متفرقاته والغوص في بحاره لإبراز صورة أكمل للأجيال القادمة عن قيمة وقامة عظيمة يستلهمون منها ما يعينهم على مواصلة الكفاح لبناء مجتمعاتنا المنشودة، واسترداد ما تبقى من أرضنا المغتصبة، واستعادة هويتنا المتلاشية، والله ولي التوفيق وواهب السداد.

ثبت المصادر والمراجع

أولا : أهم المصادر:

١. – أعلام التصوف السنّي (سيرة المجاهد عمر المختار) علي محمد محمد الصَّلَّابي،ط/ دار الروضة، إسطنبول، تركيا، ٢٠١٧م.

٢. البطل في الأدب العربي المعاصر (الشخصية البطولية والضحية) د/ سلمى الخضراء الجيوسي – مجلة الآداب – السنة الخامسة والعشرون – العدد العاشر ص ٧٤، سنة ١٩٧٧،

٣. البطولة، عبد الرحمن رأفت الباشا، ط/ دار الأدب الإسلامي ١٩٩٦ م.

٤. جهاد عمر المختار وتضحيات الجماهير. هاشم يحيى الملاح، مجلة البحوث التاريخية، العدد (٢)، يوليو ١٩٨٨م

٥. الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته، وأعماله، واستشهاده. علي محمد محمد الصَّلَّابي، ط/ المكتبة العصرية، صيدا- لبنان.

٦. عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء، جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٧. عمر المختار– في الذكرى الثامنة والستين لاستشهاده جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري،ط/ الأولى ٢٠٠٠م.

٨. عمر المختار قدوة الجهاد –في الذكرى السبعين لاستشهاده جمع وإعداد د. محمد حامد الحضيري، ط/ غزلان للطباعة والنشر الطبعة الأولى القاهرة ٢٠٠٢م.

٩. عمر المختار– محمد الطيب الأشهب الإدريسي– سلسلة أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا ط١٩٥٧.

١٠. عمر المختار– نشأته واستشهاده– مقال بالشبكة العنكبوتية (الأنترنت)موقع الإسلام ويب بتاريخ ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩

١١. عمر المختار ورجاله "سيد شهداء القرن العشرين"، عصام عبد الفتاح، ط/ دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر

ثانيا: أهم المراجع

القرآن الكريم

١. الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق د/ صابر عبد الدايم، ط/ دار الشروق –القاهرة

٢. أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، د/ حسني عبد الجليل يوسف، ط/ دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة بدون ت.

٣. استدعاء الشخصيات الإسلامية في شعر نزار قباني، د. رعد رفعة محمد مولود، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية العدد الخامس والأربعون – حزيران (يونيو) ٢٠١٨

٤. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر السعودي، عبد الله بن خليفة السويكت (من عام ١٣٥١إلى ١٤٢٦هـ) دراسة تحليلية ونقدية، ط/ مؤتمر الأدباء السعوديين الثالث – الرياض ٢٠٠٩ م.

٥. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. د/ علي عشري زايد، ط/ ، دار الفكر العربي – القاهرة،١٩٩٧م.

٦. أسرار البلاغة، للإمام أبي بكرعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، ط/ مطبعة المدني بالقاهرة

٧. أسس النقد الأدبي عند العرب، د.أحمد أحمد بدوي، ط/ نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٩٦م

٨. الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين أبي عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (الخطيب) ط/ دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى،بيروت ٢٠٠٣م.

٩. برقة العربية بين الأمس واليوم، محمد الطيب الأشهب، ط/ مطبعة الهواري، مصر– طبعة أولى ١٩٣٦م

١٠. البطل المعاصر في الرواية المصرية، د/ أحمد إبراهيم الهواري، ط/ دار المعارف ١٩٧٩.

١١. البطل في التراث العربي، نوري حمودي القيسي، ط/ المجمع العلمي العراقي ١٩٨٢م.

١٢. البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية، عنترة بن شداد أُنموذجا، محمد أبو الفتوح العفيفي،ط/

إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠١م.

١٣. تاريخ الإسلام للإمام الذهبي،ط/ دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٩٠م.

١٤. التكرار في شعر الخنساء، د/ عبد الرحمن الهليل،ط/ دار المؤيد، جدة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م

١٥. التكرير بين المثير والتأثير، د.عز الدين علي السيد،ط/ عالم الكتب ١٩٨٦

١٦. دلالات التراكيب، د. محمد محمد أبو موسى، ط/ مكتبة وهبة – القاهرة .

١٧. الدلالة المرئية، قراءات في شعرية القصيدة الحديثة،د.علي جعفر العلاق،ط/ دار الشروق للنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

١٨. ديوان إبراهيم ناجي (ليالي القاهرة)، ط / دار العودة- بيروت ١٩٩٠م.

١٩. ديوان أحمد شوقي (الشوقيات)،ط/ دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٠. ديوان أحمد محرم، ط/ الفتوح،مصر ١٩١٣م.

٢١. ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه ورتبه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري،،ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ .

٢٢. ديوان عزيز فهمي ،ط/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة ٢٠١٧م.

٢٣. ديوان عمر أبي غريبة – نشر بموقع ملتقى رابطة الواحة الثقافية بالشبكة الدولية (الإنترنت) بتاريخ ١٥ / ٩/ ٢٠١٠م.

٢٤. ديوان معروف الرصافي، ط/ دار العودة – بيروت ١٩٧٢م.

٢٥. زهرالربيع في المعاني والبيان والبديع، تأليف الشيخ أحمد الحملاوي، ط/ المكتبة التوفيقية – القاهرة بدون.ت.

٢٦. شعر الفتوح الإسلامية د. النعمان القاضي، ط/ الدار القومية – القاهرة ١٩٦٥

٢٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبي الحسين، تحقيق: أحمد حسن بسج،ط/ دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٢٨. صحيفة النور، العدد (٦٦٢) ٨/ ١٠/ ١٩٩٧م

٢٩. الصورة الأدبية د. مصطفى ناصف، ط/ دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت.

٣٠. الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث – رؤية بلاغية لشعر الأخطل الصغير، د. وجدان الصايغ، ط/ القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م، بتصرف.

٣١. الصورة الشعرية قديمًا وحديثًا، عبد الحميد قاوي، مقال بموقع ديوان العرب، الشبكة الدولية (الإنترنت) بتاريخ ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٨م.

٣٢. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر أحمد عصفور، ط/ دار المعارف – القاهرة.

٣٣. عتبات النص– المفهوم والموقعية والوظائف، مصطفى سلوى، ط/ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم ٧١، سلسلة بحوث ودراسات الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

٣٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق د. صلاح الدين الهواري،ط / دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م

٣٥. عن اللغة والأدب والنقد – رؤية تاريخية ورؤية فنية، د/ محمد أحمد العزب ، ط/ المركز العربي للثقافة والفنون (د، ت)

٣٦. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د/ علي عشري زايد،ط/ مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الخامسة ٢٠٠٣م.

٣٧. العنوان في الأدب العربي – نشأته وتطوره د. محمد عويس، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م

٣٨. فن الوصايا والحكم في الأدب العربي وتطوره من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي – دراسة موضوعية فنية – عوض عبد الباعث الأخرس، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة –٢٠١٢م.

٣٩. في قضايا الشعر العربي المعاصر (دراسات وشهادات) د. عز الدين إسماعيل، ط/ المنظمة العربية للتربية واالثقافة والعلوم – تونس ١٩٨٨م.

٤٠. في لغة الشعر، د/ إبراهيم السامرائي، ط/ دار الفكر للنشر والتوزيع – عَمَّان

٤١. قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر – تحليل الظاهرة، عبد الرحمن بسيسو،ط/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت (الطبعة الأولى) ١٩٩٩م.

٤٢. القناع في الشعر العربي الحديث " دراسة في النظرية والتطبيق"، د/ سامح الرواشدة، ط/ مطبعة كنعان الأردن الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٤٣. القيم الجمالية في الشعر الأندلسي –عصر الخلافة والطوائف، د. آزاد محمد كريم الباجلاني، ط/ دار غيداء – عَمَّان ٢٠١٣م.

٤٤. كتاب البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق عرفان مطرجي،ط/ مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ٢٠١٢.

٤٥. كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، مصر،١٩٧١.

٤٦. المعارضات الشعرية – دراسة تاريخية نقدية د. عبدالرحمن إسماعيل السماعيل، ص ١٦٧،ط/ النادي الأدبي الثقافي بجدة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٤٧. معجم المصطلحات البلاغية، أحمد المطلوب، ط/ مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٤٠٧هـ.

٤٨. المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل بديع يعقوب – د. ميشال عاصي،ط/ دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٤٩. معجم لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري.(٦٣٠ -٧١١ه) ،ط/ دار صادر – بيروت.

٥٠. معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١م. خليفة محمد التليسي، ط/ الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٣م.

٥١. موسيقى الشعر، د.إبراهيم أنيس،ط/ الأنجلو المصرية ١٩٥٢

٥٢. النداء في اللغة والقرآن د. أحمد محمد فارس، ط/ دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٥٣. النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ط/ دار المعارف بالقاهرة.

فهرس الموضوعات

الملخـــص: ٤٢٠٩
مقدمـــة ٤٢١١
التمهيد: (البطولة في التراث العربي) ٤٢١٥
الفصل الأول: عمر المختار البطل الحاضر في الشعر العربي ٤٢١٩
المطلب الأول: العوامل الخارجية المؤثرة في تكوين البطل. ٤٢٢٠
المطلب الثاني: العوامل الذاتية. ٤٢٢٣
الفصل الثاني: الدراسة الفنية لصورة البطل ٤٢٥١
المطلب الأول : العنوان. ٤٢٥١
المطلب الثاني: المطلع. ٤٢٦٠
المطلب الثالث: المضمون ٤٢٦٤
المطلب الرابع : الختام. ٤٢٦٨
المبحث الثاني: اللغة ومستوياتها في قصيدة البطولة. ٤٢٧٥
المطلب الأول: المستوى الصوتي ٤٢٧٥
المطلب الثاني: المستوى التركيبي. ٤٢٩٣
المبحث الثالث: الصورة ومحتوياتها في قصيدة البطولة. ٤٣٢٣
المطلب الأول: التصوير بالتشبيه:- ٤٣٢٤
المطلب الثاني:التصويربالاستعارة:- ٤٣٢٨
المطلب الثالث: التصوير بالكناية:- ٤٣٣٣
الخاتـمة ٤٣٤١
ثبت المصادر والمراجع ٤٣٤٤
فهرس الموضوعات ٤٣٥٠